مئة عام فلسطينية

مذكرات وتسجيلات

الجزء ٢



محمد عزة دروزة

محمد عزة دروزة

مذكـرات وتسجيـــلات

الجزء الثاني

تقديم

هذا هو الجزء الثاني من كتاب «مئة عام فلسطينية» للمؤرخ الفلسطيني المرحوم محمد عزة دروزة، المتوقع صدوره في عشرة اجزاء، والذي تقوم على نشره الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار.

الاستاذ المؤلف غني عن التعريف فكتبه الكثيرة التي أغنى بها المكتبة العربية تعرّف به، وكذلك البحوث والدراسات التي نشرها في المجلات والدوريات العربية والتي عالجت الكثير من القضايا الثقافية والفكرية المتنوعة. ولما كان الاستاذ دروزة فلسطينيا من مدينة نابلس وعاش مرارة الاستبداد العثماني، وحقد الاستعمار البريطاني بفلسطين ورأى بأم عينه تآمر الاستعمار والصهيونية على بلده فلسطين فقد كرس آخر أيامه للبحث والتدقيق في القضايا الفلسطينية التي عرفها عن قرب فسجل ووثق لنا كثيرا من الحوادث التي لانجدها في مكان آخر، والتي لولا ما قام به لذهبت الى غير رجعة من ذاكرة الزمن، فجاءت مذكراته اغناء هاماً للتاريخ الفلسطيني المعاصر.

لم يفرق «عزة دروزة» بين بلد عربي وآخر فكلها كانت بمثابة بلده، كيف لا وة تنقل فيها، موظفاً في العهد العثماني، ومناضلاً ساعياً داعياً ومشاركاً اخوانه العرب كـ تتحرر بلاد العرب من الاستعمار والصهيونية، فكان له في كل بلد عربي أحبة وأخوان وانتهى به المطاف الى دمشق الفيحاء فاستوطنها ممضياً بذلك فيها أجمل ايام عمره، فة كانت دمشق حبه الأول والاخير فظل وفيا لها مجاوراً عشيرة عمره التي سبقته الى د الآخرة حتى وافته المنية بها حيث ووري في ترابها الذي أحبه.

كتاب دروزة الذي نقدم الآن، والذي جاء تاريخاً فلسطينياً في صورة مذكرات شاملاً لكثير من المعلومات والحوادث، قامت على مراجعته الزميلة الدكتورة خيرية قاسميه الباحثة المجتهدة، أستاذة التاريخ الحديث بجامعة دمشق وأمينة سر الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار، وبذا توفر للكتاب معلومات العارف العالم، ودقة الباحث المختص.

وختاماً، لا يفوتني، أن أنوه بالمساعدة الكبيرة التي قدمها الاستاذ زهير دروزة وشقيقاته أبناء الاستاذ المرحوم عزة دروزة، تلك المساعدة التي كانت تظهر عند كل استفسار أو طلب للجمعية أو المراجع، بعيداً عن كل مغنم أو ربح مادي، وأن أقدر الجهد الكبير الذي بذله الاستاذ عبد الرحمن طافش مدير المركز الجغرافي الفلسطيني بدمشق الذي قام، مشكوراً، بتغطية نفقات طباعة الكتاب؛ وأن أثمّن المساعدة التي قدمها مركز الآثار والتراث الفلسطيني التابع لدائرة الاعلام والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية.

والله أسأل أن يوفق الجميع لخدمة فلسطين وتاريخها وتراثها وليس ذلك على الله بعزيز.

رئيس الجمعية الفلسطينية
للتاريخ والآثار
الدكتور شوقي شعث



حقبة عهد فيصل في بيروت وفلسطين ودمشق

(١)

تمهيـد :

تبدأ هذه الحقبة من أول عهد فيصل في بلاد الشام الى نهايته أي من تشرين الأول ١٩١٨ الى ٢٥ تموز ١٩٢٠ .

وقد خصصنا لها الجزء الثاني من مذكراتنا رغم كونها فترة قصيرة في حساب الزمن وذلك لأن عهد فيصل كان متميزاً ويصح أن يكون عهداً فاصلاً لما قبله ولما بعده وكانت فيه أحداث جسام كان لنا فيها مشاركات عديدة ونشاطات كثيرة والتقينا خلالها بعشرات من الشخصيات العربية وانعقد بيننا وبين كثير منهم صداقات ومعرفة وتعاون وتشارك في مختلف المواقف وكتبنا عنهم انطباعاتنا مما استغرق حيزاً كبيراً . وقد قضينا ثلث هذه المدة في فلسطين (تشرين الأول ١٩١٨ حزيران ١٩١٩) وثلثيها في دمشق (حزيران ١٩١٩ ـ تموز ١٩٢٠) وكان جل نشاطنا في نطاق هذا العهد .

(٢)

عودتنا من بيروت الى نابلس وسببها :

لقد كان تأثري شديداً مما شاهدته من بوادر ومظاهر الغدر الافرنسي ـ الانكليزي التي تبدل بها الموقف في بيروت ولبنان على النحو الذي شرحته في الجزء الأول فقررت عدم الاستجابة لدعوة الدكتور أحمد قدري الذهاب الى دمشق ، والسفر الى نابلس التي كان الانكليز قد احتلوها في أيلول ١٩١٨ في جملة ما احتلوه من أنحاء فلسطين الوسطى والشمالية . ولا سيما أن مرض عيون أبي كان يستفحل وتقدمت به السن .

ابحارنا الى حيفا على مركب شراعي ودوار البحر :

ولم يكن لنا طريق إلا البحر ولم يكن البحر قد اشتغل وليس هناك إلا المراكب الشراعية فاستأجرت واحداً ذا طابقين بأربعين مجيدية وحزمنا ما رأينا أن نأخذه مفيداً من أثاث البيت وبعنا الباقي وركبنا البحر متوكلين على الله أنا وأبي وأم زهير وشقيقتي وزهير. وكان زهير إذ ذاك يحبو وأظن أنه لم يكن عمره ليزيد عن السنة وأبحرنا بعد وداعنا مع أصدقائنا . وأظن أن ذلك في منتصف تشرين الأول ١٩١٨ ولم نكد نسير بضع ساعات حتى هاج البحر وصار يلعب بالمركب رفعاً وخفضاً وقد أصبنا جميعنا بالدوار ونزلنا الى الطابق التحتاني وتمددنا دائخين ولم يكن لنا قابلية للأكل أو النوم وظل زهير وحده غير دائخ يدور بيننا وبعد نحو عشر ساعات ركد البحر فاستفقنا قليلاً من دوارنا وقد قضينا في البحر ليلتين وفي صباح اليوم الثالث وصلنا الى حيفا في حالة اعياء شديد ولم يكن لها ميناء يمكن أن يقف عندها مركب فقرب المركب نحو خمسة أمتار

وحملنا البحارة على أكتافهم الى البر ثم أثاثنا وكانت ميناء خشبية خربة وبتنا ليلة في فندق بائس .

حالة حيفا آنذاك :

وكانت حيفا إذ ذاك بلدة صغيرة بائسة وكان عدد سكانها لا يكاد يزيد عن خمسة آلاف ، شوارع نصف مرصوفة وضيقة وحوانيت قليلة البضاعة والناس ما يزالون في دهشة الحرب والاحتلال الانكليزي الجديد الذي كان تم قبل نحو شهر والدوريات الانكليزية تسير في الطريق .

سفرنا من حيفا لنابلس :

واستأجرنا مركبة أميركية (كروسة) وحمّلناها ما معنا من أغراض وسارت بنا في طريق حيفا ـ زمارين ـ قاقون ـ طولكرم ـ عنبتا ـ نابلس وكانت الطريق ممهدة ترابياً ومهروسة بالحصى ولم يكن التزفيت ممارساً . وقد استرحنا قليلاً في زمارين وكانت مستعمرة يهودية أكثر مساكنها أخشاب وفيها بعض المنشآت الحجرية ثم في قاقون وهي قرية بين زمارين وطولكرم ثم طولكرم ثم في عنبتا حتى بلغنا نابلس وكان بيتنا في حارة القسارية مقفلاً وبعض أغراضنا وفراشنا في بيوت أقاربنا وأحضرنا أغراضنا ورتبنا حياتنا بعض الشيء .

إصابة أخي بشظية قذيفة جوية :

وكان أخي وأمي وبنت عمي بدرية ما زالوا في جنين حيث كان أخي مديراً للبرق والبريد فيها . وعلمنا أن أخي أصيب في ساقه بشظية من قصف جوي أثناء غارة أغارها الانكليز على المراكز العثمانية التي كانت في نابلس وجنين والناصرة وبينها ولكن كانت إصابته سليمة فأرسلنا اليه خبراً ولم يلبث ان جاء الينا مع أمه وبنت عمه .

استقرارنا في نابلس مع اجتماع شملنا :

فاجتمع الشمل من جديد في نابلس بعد فرقة دامت نحو سنتين .

* * * * *

(٣)

حكومة الشيخ عمر زعيتر في نابلس حين انسحاب العثمانيين :

وحينما جئت الى نابلس علمت أن السلطة التركية حينما انسحبت عهدت للشيخ عمر

زعيتر الذي كان يمارس مهمة رئاسة البلدية بالوكالة في أواخر عهد العثمانيين بإدارة الحكم في نابلس نحو ما جرى في المدن الاخرى وقد أنشأ إدارة حكومية كان جميل كمال قائد دركها وفائق العنبتاوي مدير بوليسها والشيخ نمر الداري رئيس محكمتها وعلاء الدين حلاوة مدير معارفها ونمر حماد مدير تحريرها وشاكر الجوهري محاسباً .

الحكم العسكري وموظفوه النصارى :

ولكن ذلك لم يدم طويلاً حيث عين الانكليز حاكماً عسكرياً ومعه ضباط مساعدون وأنهوا وظائف المذكورين وأبقوا بعض موظفي الدوائر الثانويين في وظائفهم وعينوا موظفين جدداً لمختلف الدوائر وهم من النصارى وبخاصة من البروتستانت . وقد اختير الجدد ممن يعرف اللغة الانكليزية .

حادث هتاف شكري القرّه المسيحي بمسلمي نابلس عقب الاحتلال الانكليزي

ومما قصه علي الأخوان مما جرى عقب الاحتلال أن النصارى شعروا بشيء من الإعتزاز والاغترار بالحكم النصراني الانكليزي الذي قام مقام الحكم الاسلامي العثماني وأنه كان من أثر ذلك أن شخصاً نصرانياً من نابلس اسمه شكري القرّه كان يشتغل في المحاماة في زمن الدولة العثمانية وكان ذا حركة ونشاط ويبدو فاهماً متفتحاً وله اعتبار ما بين المسلمين كما أعرف ذلك من قبل لم يمنع نفسه أن هتف بجماعة من المسلمين رآهم واجمين مكتئبين ، أيها المسلمون لا تخافوا من الحكم النصراني ولسوف نحفظ لكم مصالحكم وحقوقكم . وقد أثار هذا الهتاف السامعين حيث كان النصارى في نابلس قلة ضعيفة تعيش في كنف المسلمين وعطفهم فردوا عليه وشتموه وشتموا الانكليز وكادوا يبطشون به لولا أن تدخل العقلاء وهدّؤهم .

استطراد الى ذكر مواقف النصارى ازاء الانكليز واليهود

وبالمناسبة أذكر أن المسيحيين منذ الأصل وقفوا مثل المسلمين ومعهم ضد النشاط والمطامع اليهودية وأدركوا أبعادها ومخاطرها وظلوا على ذلك باخلاص ودأب أما ازاء الانكليز، فقد كان الأمر مختلفاً بعض الشيء فالبروتستانت منهم ، وأسرة (القرة)كانت منهم ، ومنهم قسيس ، فرحوا ورحبوا ووالوا خصّتهم السلطات الانكليزية وأخذت كثيراً منهم لوظائفها وأعمالها وصاروا حزبها الا قليلا منهم ، ولا سيما أن كثيرا منهم كانوا يعرفون الانكليزية ، وقد تعلم كثير منهم في مدارس التبشير الانكليزية ورضعوا فيها حب الانكليز والولاء لهم . والأرثوذكس كانوا مرحبين وكانوا محل اعتماد الانكليز وأخذ هؤلاء كثيراً منهم لوظائف الحكومة وأعمالها ولكنهم

لم يكونوا في هذا وذلك مثل البروتستانت . أما الكاثوليك فكانوا في البدء في الاتجاه الافرنسي ثم اندمجوا بعد تقرير مصير فلسطين وغدوّها تحت حكم الانكليز بموافقة فرنسا وصاروا أيضاً محل ا اعتماد الانكليز وأخذوا كثيراً منهم لوظائف الحكومة وأعمالها وان كانوا ظلوا في ذلك دون الارثوذكس . وكانت نسبة النصارى في وظائف الحكومة أكثر من نسبتهم العددية بثلاث أو أربع مرات بل كان مركزهم شبيهاً بمركز اليهود . على أن من الحق أن أذكر أن شدة الولاء للانكليز من النصارى كانت تتمثل في الأكثر في موظفيهم وأن من النصارى غير الموظفين من كان عروبياً استقلالياً وحدوياً مخلصاً وضد الانكليز وسياستهم بل كان ذلك شأن بعض موظفيهم ولم يكن عدد هؤلاء العروبيين قليلاً . ولقد كان من المسلمين من موظفين وغير موظفين من والى الانكليز أيضاً . ولقد كان من النصارى موظفين وغير موظفين موالين لليهود وكان مثل ذلك من المسلمين أيضاً وان كان هؤلاء وأولئك قلة ومن الحق أن نذكّر أيضاً أن النصارى غير الموظفين وهم الأكثرية طبعاً كانوا اجمالاً يتضامنون مع المسلمين في مواقف فيه ازعاج وعداء للانكليز مع بقاء قلة منهم مع الانكليز في كل موقف وهذا كان شأن المسلمين حيث كان قلة منهم مع الانكليز في كل موقف .

* * * * *

(٤)

حركة استقلال مصر بزعامة سعد زغلول

ومن الأحداث الهامة التي كانت في بداية هذه الفترة وكان لها رد فعل عظيم في بلا العرب حركة المطالبة بالاستقلال التي قادها سعد زغلول والتي تطورت أطواراً عديدة ولقد انبثقت هذه الحركة بعد اعلان الهدنة في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ ولسنا هنا في صدد تسجيل أطوار ومراحل هذه الحركة . فقد كتب عنها كثيراً وتفصيلاً . ولكنا رأينا ذكرها لما كان لها من دوي عظيم في بلادها وفي فلسطين وما كان من انفعالنا بها واستمرار هذا الانفعال طيلة استمرار وتطورات مراحل الحركة ولقد صار زغلول في مصر وبلاد العرب معاً ملء السمع والبصر وكان قوي الشخصية ذكياً ألمعياً قوي الحجة مع سعة العلم والاطلاع والتجربة خطيباً مفوهاً فتعلقت جماهير العرب في مصر وبلاد العرب وصارت تعتبره زعيمها وكان يختلف مع خصوم سياسيين فتؤيده جماهير العرب في مصر وبلاد العرب في كل موقف مهما كان وتعرّض لمطاردة السلطات الانكليزية فزاد ذلك في عظمته وبروزه وقد ألف ما يسمى الوفد الذي كان يجمع اشخاص بارزين أقوياء متحمسين وحسني المعارف والعقول ولكنه كان فيهم العلم المفرد والفاصل الأوحد ، رأيه هو النافذ وقوله هو الفاصل . وكان يقصي من أراد ويضم من أراد ويظل الزعيم

الأوحد ، المفرد . وقد استطاعت حركته أن تؤدي الى مرحلة ايجابية نوعـاً ما في صـدد مصير مصر حيث اضطرت الانكليز الى اعـلان اعترافهم بـاستقلال مصر وسيـادتها مـع التحفظات الشهيرة واعتبر زغلول ذلك مرحلة ايجابية وهي كذلك وسار فيها وصار رئيس وزارة مرة ورئيس مجلس نواب مرة وظل ملء السمع والبصر الى أن توفاه الله في سنة ١٩٢٧ رحمة الله عليه ، على أن هناك تحفظاً يجب أن نسجله وهو أن حركة زغلول ظلت مصرية اقليمية وكان اهتمامه بقضايا البلاد العربية أقل مما يجب أن يكون ومما يتناسب مع اهتمام وانفعال وتأييد بلاد العرب له وهذا كان مستطاعاً رغم ما كان من مشاغله ومشاكله المحلية .

* * * * *

(٥)

حيرة الناس وقلقهم وأملهم

ولقد كان الناس في حيرة وأمام احتمالات متنوعة حيث كان خبر وعد بلفور والنشـاط اليهودي يثير قلقهم واضطرابهم وكانت أخبار فيصل وحكمه في دمشق تثير آمالهم . ولقد كان الدكتور حافظ كنعان صديقي الحميم الذي ذكرت صلتي به وشيئاً عنه في مناسبة سابقة والذي كان مجنداً كطبيب في الجيش عاد الى نابلس عقب احتلالها وفتح عيادة .

نشاط الدكتور حافظ كنعان واتصاله بالشام ولقاؤنا به واتصالنا معه

وكان منتسباً لجمعيـة العربيـة الفتاة فـاتصل بمـركزهـا بدمشق وصـار يتلقى التعليمات والتوجيهات وينشط بسبيل تقوية اتجاه الناس للشام وتقوية الآمال فيهم وصارت عيادته مركز النشاط العربي أو كما كان يحلو له ان يسميها (بيت الأمّة) حيث صار البارزون الكثيرون من كهول وشباب في نابلس يترددون عليها ويتداولون في الاجتماعات والواجبات وكان من أوائل من التقيت بهم وصرت أتردد عليه . ويظهر أنه علم اني أنا أيضاً منتسب الى الفتاة وأخبر مركز الشام بوصولي فتلقى أمراً بالتعاون معي ففاتحني بذلك وأخبرني بما كان من نشاطه واتصـالاته وصرنا نتعاون تعاوناً حمياً في هذه الفترة .

لقائي مع ابراهيم القاسم وكامل هاشم والشيخ نمر الداري والحاج حسن حماد

والتقيت بعد وصولي بقليل بالأصدقاء القدماء ابراهيم القاسم عبد الهادي وكامل هاشم والشيخ نمر الداري والحاج حسن حماد وجددت عهد صداقتي معهم ولقد وجدت في ابـراهيم

وكامل استعداداً للنشاط في سبيل الحركة الوطنية فانسجمنا وأخذنا نتعاون واستمر تعاوننا على أحسن ما يكون الى النهاية . أما الحاج حسن حماد فقد رأيته منصرفاً الى مشكلة أراضيه في قرية تياسير التي وجد الفلاحين قد اعتدوا عليها اغتناماً لفرصة اختفائه وغيابه وحكمه ولم يشاركنا كثيراً في النشاط السياسي نتيجة لذلك ولكن صداقتنا وصلتنا به ظلت قائمة . وهذا كان شأن الشيخ نمر أيضاً الذي بدا أنه يتطلع الى منصب قضائي ما ولا سيما انه نال هذا المنصب في حكومة الشيخ عمر الموقتة ولم يبد ميلا للنشاط السياسي ولكن صداقتنا وصلتنا به ظلت قائمة بدوره ولقد نال ما تطلع اليه بعد سنتين حينما انشيء المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى حيث عين عضواً في محكمة الاستئناف الشرعية . وظل يمارس مهمته الى أن توفاه الله في أواخر الثلاثينات رحمة الله عليه .

لقاؤنا بالدكتور مصطفى بشناق وفريد عنبتاوي وابنه وتعاوننا

والتقيت بالدكتور مصطفى بشناق الذي ذكرت صلتي به وشيئاً عنه في مناسبة سابقة ايضاً وكان طبيب بلدية الخليل في زمن الدولة العثمانية ولما انسحب العثمانيون من الخليل بقي هو فيها الى ان احتل الانكليز نابلس فعاد اليها وفتح عيادة فيها وقد جددنا عهد الصداقة واندمج هو في النشاط السياسي فتعاونا تعاوناً قوياً وقويت صداقتنا واستمر ذلك بيننا الى النهاية على ما ذكرته سابقاً .

والتقيت منذ بدء الفترة بفريد العنبتاوي وابنه فائق اللذين ذكرت عنهما شيئاً في مناسبة سابقة وتصادقنا وتعاونا منذئذ واستمر ذلك بيننا على أحسن وأشد ما يكون الى النهاية .

لقائي مع حافظ آغا طوقان وانسجامي وتعاوني معه الى النهاية وشيء عنه

وممن التقيت بهم وانعقد بيني وبينهم صداقة وتعاون في بدء هذه الفترة وبعدها على أحسن وأشد ما يكون حافظ آغا طوقان وبالمناسبة اذكر أن كلمة (طوقان) صارت تضاف الى لقبه ولقب أسرته مؤخراً وكانت اسرته تعرف بلقب (الآغا) فقط ولكنها كانت معروفة انها من آل طوقان وهي تسكن الجناح الغربي من دار طوقان الكبيرة ومدخلها درج في الشارع الغربي القبلي وكلمة (آغا) في أصلها تركية تعني السيد أو الرئيس وتضاف للأسماء للتعظم وفي فلسطين وسورية أسر عديدة تتلقب بهذا اللقب ومنها في نابلس أسرة النمر حيث يذكر رجالها مع لقب (آغا) هذا مع تنبيه أن كلمة آغا في العهد العثماني كانت تضاف أيضاً لأسم الرجل الأمي مقابل كلمة (أفندي) التي تضاف الى اسم الرجل الذي يقرأ ويكتب وأفندي تعني سيد

وكذلك الآغا . وكان حافظ آغا أسن مني بنحو ١٥ سنة وذا نشاط وتطلع وحركة وقد انسجم في الحركة الوطنية بحماس واندفاع . وقد تغلب عليه البساطة . وكان نشط في أثناء الدولة العثمانية في التزامات الاعشار مع أخيه عبد الفتاح وفي نطاق تعاونهما مع عبد الكريم اليوسف عبد الهادي وصارا أثرياء نوعا ما . وأنشأ اصبانة صابون وصار لها عملاء ومعاملات واسعة في قرية طوباس الكبيرة والقرى المجاورة لها . وقد انسجمنا وتعاونا انسجاماً وتعاوناً وثيقاً في هذه الفترة وفيما بعدها الى أن توفاه الله سنة ١٩٢٨ رحمة الله عليه .

لقاؤنا مع الحاج توفيق حماد وتعاوننا معه

وقد كان البارز على زعامة نابلس الى الاحتلال الحاج توفيق حماد الذي كان يستمد زعامته من تاريخ غير قصير ومن كونه ظل نائبا عن نابلس في المجلس النيابي العثماني الى نهاية الدولة والذي ذكرنا عنه شيئا في مناسبة سابقة وقد التقينا به وتعاونا معه في هذه الفترة وبعدها وكان هو رئيس الجمعية الوطنية المسماه بالجمعية الاسلامية المسيحية وكنت أنا سكرتيرها على ما سوف يأتي شرح آخر له وكنا نلتقي كل يوم تقريباً في بيته وفي بيوت أخرى مرة أو مرتين أحياناً ونتداول مع اخواننا في شؤون الوطن والأحداث وكانت صداقتنا معه صداقة عمل ورسميات أكثر منها صداقة قلبية حميمة .

* * * * *

(٦)

ما جرى حول رئاسة بلدية نابلس بين الشيخ عمر زعيتر وحيدر طوقان

ومن القضايا التي شغلت بها نابلس في الفترة الأولى من الاحتلال قصة رئاسة البلدية فقد ذكرنا قبل أن السلطات العثمانية سحبت في آخر عهدها يد حيدر طوقان بسبب اختلاسات وقعت فيها وعينت الشيخ عمر زعيتر وكيلا وقد أبقته السـ يمارس مهام رئاسة البلدية بعد أن ألغت حكومته . وكانت تطلب مساعدته في وكان يفعل فيكسب بذلك ثقتها ولقد صار الحاج توفيق حماد كما قلنا رئيساً للجـ

وكان الشيخ عمر من أركان جمعيته القديمة وأدهى من الحاج توفيق على فكان يؤثر على الحاج توفيق ويبرز نفسه مع الوطنيين والحركة الوطنية وكان حـ مما أكسبه أهمية وقوّى مركزه عند الانكليز .

سعي حيدر طوقان للعودة الى رئاسة البلدية ونجاح الشيخ عمر في الاستمرار

ولقد كبر علي السيد حيدر طوقان أن يظل الشيخ عمر يمارس مهمة رئاسة البلدية وهو رئيس البلدية الأصيل . فأخذ بعد قليل من الاحتلال يراجع السلطات ويطلب اعادته الى منصبه ويقول لهم ان الشيخ ليس الا وكيلاً ويقدم اللوائح التي يذكر فيها عدم صحة ما كان نسب اليه وسحبت يده بسببه من الدولة العثمانية وكونه بريئاً، وتحرك الشيخ عمر بالمقابل فصار يوعز للناس بتقديم عرائض ضد حيدر وتصرفاته ورفضهم لرئاسته، وكانت صلة الحاج توفيق وسيلة لوقوف الحاج توفيق وغيره ممن كانوا ينشطون في الحركة الوطنية ويتوثقون مع الحاج توفيق رئيسها، مع الشيخ عمر مؤيدين.

جمعية كالفاريسكي للسلام مع العرب واليهود واستجابة حيدر لها بأمل مساعدته على العودة للرئاسة .

ولقد أراد اليهود خداع العرب فألفوا جمعية باسم جمعية السلام بين العرب واليهود وأقاموا على رأسها يهودي قديم مستعرب مستوطن في مستعمرة الجاعونة القريبة من صفد أسمه كالفاريسكي وأخذ يتصل هو ومن ضم اليه من اليهود المستعربين القدماء برجالات العرب في صدد الهجرة اليهودية ووعد بلفور وأهدافهما ويدعون الى السلام بين الشعبين الساميين والتعاون وكانت نشاطات ومطامع وتصريحات الصهيونيين متواصلة قوية أشد من أن تهدأ بمثل هذا النشاط التافه . وقد ظن حيدر طوقان أنه اذا ما استجاب لدعوة كالفاريسكي استطاع بنفوذ اليهود العودة الى رئاسة البلدية ولعل اليهودي نفسه أوهمه بذلك فاستجاب للدعوة وصار كالفاريسكي يأتي الى بيته في نابلس ويلتقي ببعض من كان يتردد عليه ومنهم الشيخ رفعة تفاحة والشيخ عمرو عرفات وشكري القرّه والحاج نمر النابلسي ويشرح لهم حركته ويؤمنهم بها نوعا ما . وكانت هذه فرصة الشيخ عمر الذهبية فأخذ يحرض الناس هو وأنصاره على نبذ حيدر ومن يلف عليه من أفراد قلائل ومقاطعتهم . وصارت المسألة مسألة وطنية هامة واستجاب الناس للدعوة الحق وقاطعوا حيدر طوقان بخاصة مقاطعة جماعية فلم يعد بيته يزار ولم يعد أحد يطرح عليه سلاماً أو يرد عليه سلامه وصار منبوذاً .

اضاعة حيدر فرصة عضوية المجلس الاستشاري وتعيين سليمان طوقان له وشيء عنه

وقد أضاع حيدر بذلك منصباً جديداً كان يمكن ان يكون له حينما تأسست الحكومة المدنية الانتدابية حيث أنشأت مجلساً استشارياً خليطاً من العرب واليهود ونصحها أولياؤها بأن تختار الأعضاء العرب المسلمين من رؤساء الأسر العريقة أو البارزة فاختارت نتيجة لذلك اسماعيل الحسيني وراغب النشاشيبي من القدس وعبد الفتاح السعدي من عكا ومحمود أبو

خضرة من غزة وعاصم السعيد من يافا ومصطفى الخيري من الرملة وأمين عبد الهادي من حيفا على ما يرد الى ذاكرتي وكان هذا الأخير قد صار نائباً عن نابلس في مجلس النواب على ما ذكرنا قبل ولم يكن من أهل حيفا وانما كان مقيماً فيها وكان يظهر الولاء للإنكليز حتى أنه ألف حزباً موالياً لهم ؛ ولم يكن من الأسر العريقة في نابلس مؤهلاً لمثل هذا المنصب في نظر الانكليز الا واحداً من آل طوقان أو واحد من آل عبد الهادي . ولم يكن من المعقول أن يعينوا واحداً ثانياً من آل عبد الهادي وكان من آل طوقان شخصان بارزان هما حافظ آغا وحيدر بك وكان الأول مندمجاً في الحركة الوطنية متحمساً فيها فلا يمكن أن يقبل ولا يكلف ورشح اليهود حيدراً لما كان منه من استجابة لدعوتهم ولكن الاستجابة لهذا الترشيح متعذرة بسبب ما صار اليه أمر حيدر في نابلس فرشح الدكتور حبيب سالم البروتستانتي الذي كان شديد الولاء للانكليز واختاروه عضواً للمجلس الاستشاري عن النصارى (وفي المناسبة ان العضو الثاني النصراني الذي اختاروه هو سليمان نصيف الذي كان بدوره شديد الولاء لهم) وصديقاً له هو سليمان عبد الرزاق (الذي كانت أسرته فرعا من أسرة طوقان) فوافقت السلطات وعينته رغم انه كان صغير السن كثيراً بالنسبة لمن عينتهم ورغم أنه كان مولوداً في السلط ومقيماً فيها لأن أباه كان نزح اليها وأقام فيها في زمن الدولة العثمانية وقد تعلم في مدرسة تبشيرية وصار ملماً بعض الشيء باللغة الانكليزية . وقد طلبت الحركة الوطنية منه ان يستقيل من عضوية المجلس فاستجاب واستقال ولكن مكانته ظلت محفوظة لدى الانكليز فعينوه رئيساً لبلدية نابلس حينما مات الشيخ عمر في سنة ١٩٢٤ وظل في هذا المنصب تعييناً وانتخاباً الى نهاية الإحتلال الانكليزي وكان رضي الخلق حسن السلوك مستقيماً في عمله وكانت مواقفه الوطنية متنوعة أحياناً وطنية وأحياناً شاذة على ما سوف نذكره بعد ، وقد تعاشرنا وتعاونا معه في الأولى وقد استطاع ان يكسب ثقة الملك عبد الله بعد النكبة ثم الملك حسين وأن يصير وزيراً لبلاطه ثم وزيراً للدفاع . ثم صار عندما قام الاتحاد العراقي الأردني في شباط ١٩٥٨ وزيراً في حكومة الاتحاد وفي تموز من هذه السنة اندلعت في بغداد ثورة ضد الأسرة الهاشمية وقتل الثوار الملك فيصل الثاني والأمير عبد الاله وبعض أفراد الأسرة وبعض رجال الحكم وكان سليمان آنذاك في بغداد فاتجه بعض الثوار الى فندقه وقتلوه أيضاً رحمة الله عليه وسيأتي كلام عنه في مناسبات أخرى .

* * * * *

(٧)

انشاء رجال القدس للجمعية الاسلامية المسيحية ودواعي ذلك

ولقد حدثني الدكتور حافظ كنعان والأخوان الآخرون انهم تلقوا ، قبل قدومي بقليل،

من القدس ، خبراً بأن رجالاً بارزين من مسلميها ونصاراها أنشأوا جمعية باسم الجمعية الاسلامية المسيحية بعد أيام قلائل من احتلال القدس الذي تم في ٩ كانون الأول ١٩١٧ ، وقبل احتلال نابلس بعشرة أشهر ، لما رأوا من ازدياد استيثار ونشاط اليهود في صدد استعمار فلسطين وانشاء الوطن القومي استناداً الى وعد بلفور ، وزير خارجية بريطانيا الصادر في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ ، الواعد بالعطف والتشجيع على قيام وطن يهودي قومي في فلسطين .

مساعي اليهود في أثناء الحرب في تحقيق أطماعهم في فلسطين ووعد بلفور

وكان اليهود في أثناء الحرب قد ضاعفوا جهودهم لاغتنام فرصة الحرب والحصول من الدول المتحاربة على مساعدة وعهد بتحقيق غاياتهم وآمالهم الواسعة في فلسطين وانشاء دولتهم فيها التي قرروا انشاءها في مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ وأخذوا يبذلون نشاطهم في سبيلها على ما شرحنا سابقاً . ولقد انقسم رجال الصهيونية اثناء الحرب فريقين، فريقاً يسعى مع الالمان وحلفائهم وفريقاً يسعى مع الانكليز وحلفائهم بحيث يضمنون بذلك المساعدة المنشودة من أي فريق ينتصر ولما بدأت الحرب لمصلحة الانكليز وحلفائهم ولا سيما بعد انضمام الولايات المتحدة لهؤلاء .

فرقة اليهود العسكرية أثناء الحرب

وكان للفريق الساعي وراء هؤلاء الحلفاء عمل دعائي قوي أسهم في جعل الولايات المتحدة تدخل الحرب الى جانب الحلفاء أخذوا يكثفون جهودهم ومساعيهم بزعامة وايزمان الذي كان رأس الفريق الانكليزي واستطاعوا أن يأخذوا موافقة الأنكليز وحلفائهم على انشاء فرقة عسكرية يهودية تساعد الحلفاء في الحرب اسهاماً منهم وجعل ما يحصلون عليه من مساعدة مقابل ثمن كما كان فعل العرب وكانت نتيجة هذه الجهود حصولهم من بريطانيا على الوعد المذكور وتأييد الولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا له . ولما تحركت جبهة سيناء في أوائل عام ١٩١٧ واستطاع الحلفاء بقيادة اللنبي اخراج القوات العثمانية من سيناء والاستيلاء على معظمها وصار من اليقين أنهم منتصرون وسوف يحتلون فلسطين أصدر وزير خارجية بريطانيا بلفور ذلك الوعد كتابة بعد ان كان شفوياً وكان ذلك قبل احتلال القدس بنحو (٣٥) يوما وكان كتابا موجها من الوزير لروتشيلد الزعيم الثري اليهودي المشهور .

استعجال اليهود في تحقيق مطامعهم

وبعد أن احتلت قوات الإنكليز والحلفاء القدس وسائر مدن المنطقة الجنوبية الأخرى نشط

اليهود في سبيل السير في تنفيذ الوعد وجاء وايزمن على رأس جماعة من الصهيونيين الى القدس وأخذ يطالب السلطات بتسهيل هجرة اليهود وشرائهم للأراضي وانشائهم المستعمرات وإقامتهم الأجهزة والمنشآت السياسية والاجتماعية والاقتصادية وكان الحكم عسكرياً .

اجتماع وايزمن بزعماء القدس وكلامه المثير لهم

ولاحظ الحاكم العسكري ان من المحتمل ان تثور مخاوف العرب فطلب وايزمن منه ان يجمعه ببعض الزعماء في القدس فدعا الحاكم بعض الزعماء ومنهم المفتي الشيخ كامل الحسيني وابن عمه اسماعيل بك وعارف باشا الدجاني الداوودي وراغب النشاشيبي ويعقوب فراج وآخرين من مسلمين ونصارى فخاطبهم وايزمن بأسلوب فيه استعلاء وغرور مع التطمين وقال لهم فيما قال أن اليهود يريدون ان يعودوا الى وطنهم القديم بحق وليس بمنة وينشؤا لهم فيه كياناً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً . ويعمروه ويرقوه وانهم لن يعتدوا على العرب وحقوقهم وسيكون العرب معهم في أمن وسلام ولقد استاء زعماء القدس من الخطاب ولهجة الخطيب ولا سيما انهم اخذوا يلحظون استبشار اليهود وبوادر نشاط شديد ينم عن مطامع كبيرة وكان مثل ذلك قد ظهر منهم اثناء الحكم العثماني بخاصة بعد اعلان الدستور على ما شرحناه من قبل -.

نص الوعد المتناقض وحتمية اخلاله بمركز العرب

ولقد نص الوعد المكتوب ان انشاء الوطن القومي اليهودي يجب ان يتم بشرط عدم الاضرار بمصالح أهل البلاد ولكن الزعماء ادركوا ان الضرر واقع حتما وأن الوعد كاذب متناقض بالنسبة لهم لأن العرب كانوا يؤلفون ٩٣٪ من نسبة السكان وكانوا يملكون ٩٨٪ من أراضي فلسطين ومرتفعاتها وكلما زاد عدد اليهود بالهجرة وكلما شروا أراضي جديدة نقصت نسبة العرب لصالح اليهود وصار اليهود في موقف قوة أكبر فضلاً عن أن فلسطين كانت جزءاً من بلاد العرب اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وسوف تتراخى هذه الصلات ثم تنقطع ويصبح أهل فلسطين وجها لوجه مع اليهودية العالمية والاستعماريين الذين يتخذون الحركة الصهيونية ذريعة ووسيلة لتحقيق مطامعهم وتتخذهم هذه الحركة بدورها وسيلة وذريعة لتحقيق غاياتها في فلسطين .

ترسم بريطانيا للهيمنة على شرق الأردن وغربه والعراق

ولقد كانت بريطانيا ترسم للاستيلاء على غرب الأردن وشرقه والعراق بعدهما لتأمين

طريق الهند . وكانت قبل قد احتلت بأساليب ماكرة السواحل الشرقية والجنوبية من جزيرة العرب للغاية نفسها وكان شرق الأردن جزءاً من سورية ادارياً .

لم يكن لبريطانيا مصالح تقليدية في فلسطين في الأماكن المقدسة

ولم يكن لبريطانيا مصالح ودعاوٍ في فلسطين في حين كانت كل من روسية وفرنسا تدعي ذلك لأن الأولى كانت تصطنع حماية النصارى الأرثوذكس والثانية لحماية النصارى الكاثوليك وكانت الأماكن النصرانية المقدسة في فلسطين تحت يد الأرثوذكس والكاثوليك دون البروتستانت الذين كان مذهبهم اصلاحياً انقلابياً خرجوا به من المجمع النصراني التقليدي ومن أجل ذلك انفقت بريطانيا وفرنسا وروسية في الاتفاقات السرية التي عقدتها فيما بينها اثناء الحرب التي قسمت فيها بلاد الدولة العثمانية الى مناطق نفوذ استعمار على ما ذكرناه قبل على ان يكون لبريطانيا حيفا وعكا وخليجهما لتنشيء بين البحر الأبيض والعراق عبر شرق الأردن سكة حديد ويكون باقي غرب الأردن تحت ادارة دولية حلا للخلاف التنافسي بين فرنسا وروسيا .

استعانتها باليهود لبسط هيمنتها

وكان أن هداها الشيطان الى الاستعانة باليهود حتى يبذلوا جهودهم السياسية ويجعلوا فلسطين جميعها تحت اشرافها فكان ذلك مما جعلها تتبنى تشجيع انشاء الوطن القومي وتصدر وعدها بذلك .

اتفاق رجال القدس على تشكيل جمعية للوقوف ضد المطامع اليهودية والدفاع عن حقوق العرب ومركزهم وتنفيذهم ذلك ونشاطهم قبل احتلال فلسطين :

ولما استمع زعماء القدس لخطاب وايزمن المستعلي الوقح استاؤوا كما قلنا وقرروا تنظيم الجهد العربي في جمعية للمعارضة والمناوأة لذلك ورفض الهجرة وبيع الأراضي لليهود والمطالبة بحكم وطني استقلالي وقد أرادوا كما علمنا بعد أن يسموا جمعيتهم باسم الجمعية العربية الوطنية فأوعزت لهم السلطات بأن يسموها الجمعية الاسلامية المسيحية وقالوا لهم ان ذلك يشعر العالم ان المعارضة من المسلمين والنصارى على السواء وتم التشكيل المختلط وقامت الجمعية برئاسة عارف باشا الدجاني الداوودي واشترك في هيأتها الادارية اعضاء مسلمون ونصارى وباشرت نشاطها حيث أخذت تكتب العرائض المنكرة لدعوى اليهود والمعترضة على أهدافهم والمحتجة على وعد بلفور والرافضة له والمطالبة بالحقوق الطبيعية الشرعية لأهل البلاد

الذين اكثريتهم الساحقة عرب ، ويرسلونها الى السلطات الانكليزية ويعقدون الاجتماعات المنبهة المحذرة .

المدن الجنوبية تحذو حذوهم

وقد اخبروا المدن التي احتلهـا الانكليز في المرحلة الأولى اي الخليل وبيت لحم ورام الله والرملة ويافا وغزة بما فعلوا ويفعلون وطلبوا من زعمائها ان يحذو حذوهم وأخذت هذه المدن تنشيء جمعيات على غرار القدس وتكتب وترسل عرائض مثلها ولما تم احتلال نابلس وسائر مدن الشمال في أيلول ١٩١٨ ارسلوا خبرا لرجالها بما فعلوا ويفعلون وطلبوا ان يحذو حذوهم ايضاً .

اتصالهم بنابلس وغيرها بعد اتمام احتلال فلسطين لتحذو حذوهم وتأليف الجمعية في نابلس

وحينما عدت من بيروت وأخبروني بما أخبرهم به رجال القدس كان الحديث يجري في هذا الصدد فاندمجت فيه وبذلت جهدي مع جهدهم حتى تمكنا من تشكيل جمعية برئاسة الحاج توفيق حماد وكان أعضاؤها بالاضافة الي والى الحاج توفيق كل من ابراهيم القاسم عبد الهادي وكامل هاشم والحاج شافع عبد الهادي واسماعيل آغا النمر وفريد العنبتاوي وحافظ آغا طوقان وأحمد الشكعة وطاهر المصري وعبد الرحيم النابلسي ومحمد علي الخياط وعفيف عاشور والدكتور مصطفى البشناق وجميل التميمي ويوسف الخوري (أبو حنا) ، من المسيحيين الذين كانوا قلائل في نابلس ، واختاروني سكرتيرا لها .

تعريف موجز بأعضاء الجمعية

وهنا تعريف وجيز بهم :

١ ـ ان **أحمد الشكعة** هو ابن محمد حسن الشكعة الذي كان من جمعية الحاج توفيق حماد القديمة وكان ذكيا نشيطا وله صلات مع العمال والفلاحين وظل محتفظاً بنشاطه وصلاته وصار له حيزاً مهما في البلد وصار فيها بعد من أركان ما سمي باسم المعارضين على ما سوف نشرحه بعد .

٢ ـ **طاهر المصري** كان زعيم آل المصري، الأسرة الكبيرة ذات الفروع العديدة، وكان كأحمد نشيطا وله صلات وكلمة في أوساط العامة والعمال . وظل محتفظاً بنشاطه ونفوذه وأثرى بعض الشيء وصار له حيز مهم في البلد وصار كذلك من أركان ما سمي باسم المعارضين

وقد أدخل الاثنان للجمعية لأنهما كانا عضوين نافعين بالنسبة لحالة البلد .

٣ ـ **عبد الرحيم النابلسي** كان ذكياً طموحاً وكان آل النابلسي أسرة كبيرة وثرية فأخذ للجمعية لمزاياه وأسرته وقد كان يتصرف حسب طموحه ولكنه لم ينحرف عن الخط الوطني .

٤ ـ **ومحمد علي الخياط** وجيه في البلد ومتزن واسرته كبيرة فأخذ لهذه المزايا وكان وظل سليم السيرة والانسجام .

٥ ـ **اسماعيل آغا النمر** من أسرة النمر العريقة وكان آدمياً فأخذ لهذه المزايا وكان وظل سليم السيرة والانسجام .

٦ ـ **الحاج شافع عبد الهادي** كان متعلماً بعض الشيء ونشيطاً ووجيهاً وأسرته كبيرة ذات حيز واسع في البلد وكان وظل سليم السيرة والانسجام .

٧ ـ **عفيف عاشور** هو ابن الحاج بدوي عاشور الذي كان من أركان جمعية الحاج توفيق حماد القديمة وكان شاباً نشيطاً وجيهاً سمح اليد ميسور الحال وكان وظل سليم السيرة والانسجام .

٨ ـ **جميل التميمي** كان من أسرة وجيهة وهو شاب عامي دمث الأخلاق مستقيم السيرة وظل كذلك .

٩ ـ ولقد سبق شيء عن ابراهيم القاسم عبد الهادي وكامل هاشم وفريد العنبتاوي وحافظ آغا طوقان والدكتور مصطفى بشناق ولكل منهم المزايا المؤهلة التي كانوا بها من أقوى أركان الجمعية وانشطهم وأعقلهم ومن أشدهم انسجاما وحماسا لأهداف الحركة الوطنية وظلوا كذلك .

اسم الجمعية وتعديله فيما بعد

وبعد هذا التعريف الوجيز، أقول أنه لم يرق لنا اسم الجمعية منذ البدء رغم ما قيل في تبريرها لأننا رأينا فيه اخراجاً لقضيتنا من كونها قضية عربية استقلالية الى كونها قضية طوائف دينية . وهذا ما كان اليهود يريدون ترسيخه ايضا ولكننا سايرنا الموقف الراهن سنتين . وبعد عودتي من دمشق بقليل على ما سوف يأتي شرحه اتفقنا على تغيير الاسم وقدمنا طلباً للسلطات بتعديله وصار اسم الجمعية (الجمعية الوطنية العربية) ونابلس فقط هي التي فعلت ذلك وكنت أنا ورفاقي الحميمين الواعين القوميين في الجمعية ممن اهتموا لهذا التعديل وكان الحاج توفيق من أشد المتحمسين له أيضاً .

ولقد كان شباب نابلس المثقف وبتوجيه من الدكتور حافظ ومساعدته انشأوا عقب الاحتلال نادياً باسم النادي العربي في البناية التي فوق قهوة المموز في الشويتره ، فيها قاعة كبيرة وغرفة ، فاتخذنا الغرفة مركز اجتماع للجمعية وكنا احياناً نجتمع في ديوان الحاج توفيق ايضاً في الليل فنسهر ونتداول في مختلف الشؤون الوطنية .

اجتماع عام في نابلس وتأييد للجمعية

وبدأنا نشاطنا في نطاق الجمعية باجتماع عام دعونا اليه جمهوراً كبيراً من رجال المدينة وتكلمت انا والحاج توفيق وابراهيم القاسم والدكتور حافظ عن الأسباب الداعية لتأليف الجمعية وعن الأخطار التي تتهدد بلادنا من وعد بلفور والهجرة اليهودية والاحتلال الانكليزي وواجب التضامن في معارضة ذلك والدفاع عن حقوق العرب في وطنهم والاتصال بدمشق وتوثيق التعاون مع الحكم العربي فيها والاستمداد منه والاستعانة به الخ . . . وقد تجاوب المجتمعون بحماس مع الخطباء وأعلنوا تأييدهم التام للجمعية وتضامنهم معها واستعدادهم للاستجابة لكل ما تدعو اليه .

تقديم مذكرة مفصلة للحاكم ولمؤتمر السلم

وقد قررنا بعد ذلك وضع مذكرة مفصلة فيها تفنيد لدعاوى اليهود التاريخية وتثبيت لحقوق العرب في وطنهم واستقلالهم وتنبيه على ما كان لعرب فلسطين من مشاركة في الحركة العربية في زمن الدولة العثمانية ثم في الثورة العربية الهاشمية في سبيل حرية بلاد العرب جميعها واستقلالها ، ثم فيها رفض حاسم حازم لوعد بلفور وتفنيد متطلباته وعدم شرعيته ورفض للهجرة اليهودية وطلب بحظر بيع أراضي العرب لليهود والحد من أطماعهم ونشاطهم وتنبيه على ما سوف ينجم من مسايرة أطماع اليهود والسير في سياسة ضارة مخلة بحقوق العرب من اضطرابات وأخطار . وقد وضعت أنا المذكرة وعرضتها على الجمعية ، وكانت مبادىء ويلسون التي منها وجوب الغاء كل معاهدات واتفاقات ووعود سرية فيها اضرار بحقوق اهل البلاد المحررة ومركزهم ووجوب مراعاة رغائبهم في تقرير مصيرهم وحقهم فيه وحظر كل مطامع استعمارية من الدول المنتصرة في هذه البلاد والتي جعلها شرطا لدخول الولايات المتحدة للحرب ووافق عليها الحلفاء ، مما استندت اليه أيضاً .

القسيس الياس مرمورة وترجمته للمذكرة

وبعد اقرار صيغتها من الجمعية طلبنا من القسيس مرموره وكان رجلاً فاضلاً يجيد

الانكليزية ، أظنه من رام الله او الناصرة ، ترجمتها . وكان متحمساً لمناهضة الصهيونية رغم ولائه للانكليز وبعد أن تمت الترجمة وقع الحاج توفيق المذكرة بصفته رئيساً ووقعتها بصفتي سكرتيراً للجمعية وحملها وفد من الجمعية كنت أنا منهم الى الحاكم العسكري ، نسختين واحدة بالعربية وأخرى بالانكليزية ، وقدمناها له ليرفعها الى حكومته ونسخة أخرى ليرسلها الى مجلس السلم الأعلى الذي أخذ يعقد اجتماعاته في باريس بعد انعقاد الهدنة في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ .

اجتماعات الجمعية .

وقد صرنا نعقد اجتماعات اسبوعية أو نصف شهرية ندعوا اليها الناس ونخطب فيهم منبهين شارحين كما استمر نشاطنا في اجتماعات خاصة بهيئة الادارة نتداول مختلف الشؤون ونقرر القرارات ونكتب المذكرات فيما يعن أو يحدث من أمور تتصل بالقضية ومصالح البلد والناس مما سوف يأتي كلام عنه في مناسبة آتية .

النادي العربي الذي كانت تجتمع فيه الجمعية

وبمناسبة ذكر النادي العربي الذي كانت تجتمع فيه الجمعية أقول أنه كان يقوم عليه عدد من الشباب المثقفين العروبيين وقد أنشأوه كما قلنا بمساعدة وتوجيه الدكتور حافظ على غرار ما قام في دمشق بهذا الاسم عقب دخول فيصل على ما سوف نشرحه بعده وكان من هؤلاء الشباب راشد أبو غزالة وراشد يعيش وعادل كنعان وعادل التميمي وعادل تفاحة وجميل كمال وجمال القاسم وأمين المصري ورفعة المصري وضياء عبده ومحمد صلاح وآخرون لم يبقوا في الذاكرة .

ولما جاء أخي محمد علي من جنين انضم اليهم وصار مع الوقت لولبة النادي وعماده وكان النادي يدعو لاجتماعات عامة تلقى فيها خطب التوعية السياسية والاجتماعية والأدبية وتنشد فيها الأناشيد الحماسية وقد أعد جناح لخزانة كتب فيها مختلف الكتب الأدبية والتاريخية والاجتماعية وجعل في جناح منه عيادة للفقراء يعاينهم طبيب وتصرف لهم الأدوية وكانت ترفع على النادي في المناسبات أعلام الثورة الهاشمية وبغضّ الانكليز عن ذلك لأن اليهود كانوا يفعلون هذا وظلت حركة النادي ولولبية أخي فيه مستمرة نحو أثني عشرة سنة .

* * * *

ما كان من جهد عقب الاحتلال في سبيل انشاء مدرسة النجاح وتنفيذه واسماء مؤسسيها ومعلميها في أولوياتها .

ومما جرى قبل وصولي لنابلس ان تداعى فريق من المعلمين الذين توقفت مدارسهم في ظروف الإحتلال مع فريق من المثقفين في المدينة الى انشاء مدرسة وطنية وكان من الأولين علاء الدين حلاوة وأديب مهيار والشيخ فهمي هاشم وجميل كمال ومن الآخرين داود طوقان وفارس السخن وابراهيم القاسم عبد الهادي والحاج حسن حماد وكامل هاشم والحاج قاسم كمال وابراهيم والحاج حسن وكامل كانوا ممن أنشأت واياهم جمعية التعليم في الدولة العثمانية لنفس الغاية على ما ذكرته سابقاً . والحاج قاسم كان ذا حركة ونشاط في أوساط البلد فدعى الى الاجتماع للاستفادة من نشاطه وجمع المساعدات للمدرسة . ولعل هناك آخرون لم أتذكرهم .

وقد تمت الموافقة على انشاء المدرسة واستؤجر لها بناية في محلة الغرب خارجة عن بوابة المدينة الغربية الأخيرة القبلية التي في نهاية الشارع الطويل يملكها آل القرة وكانت كبيرة ذات ثلاث طوابق وان لم تكن مرتبة ترتيباً حسنا في بنايتها، وتسمى (البرج) لعلوها واشرافها ، وسميت المدرسة (مدرسة النجاح) واعتبر المجتمعون هيأة تأسيسية لها ، وأسندت مديريتها الى علاء الدين حلاوة وكان متخرجاً من دار المعلمين العليا في الآستانة وذكيا ومثقفاً وكان يشغل في زمن الدولة العثمانية مديرية مدرسة . واسندت أمور حسابها مع حصص في التعليم لأديب مهيار وكان هو الآخر يمارس التعليم في مدرسة حكومية أثناء الحرب وقبلها . وعين كل من الشيخ فهمي هاشم وجميل كمال وداوود طوقان وفارس السخن من هيأة التأسيس معلمين . وعين أيضاً آخرون للتعليم من ذوي الاختصاصات الرياضية والطبيعية واللغة الانكليزية منهم وصفي عبد الهادي وعزة عبده وواصف هاشم ومحمود هاشم وخليل الخماش وعين الشيخ أسعد شرف والشيخ زكي أبو الهدى معلمين للقرآن والدين والخط وقد أقبل كثير من الناس على ارسال ابنائهم للمدرسة مقابل رسم سنوي معتدل هو ثلاثة جنيهات للصفوف الابتدائية وخمسة للأعدادية التي كانت تسمى استعدادية وقد فكر المؤسسون في انشاء قسم داخلي للمدرسة لأبناء القرى أو المدن الأخرى وكان الطابق الأول في البناية كاف للصفوف التعليمية ولادارة المدرسة والطابق الثاني يصلح ليكون محل نوم والطابق السفلي الأول يصلح ليكون محل طبخ وطعام). ونفذوا فكرتهم وجهزوا الأسرّة والفرش واللوازم الأخرى وأقبل بعض الميسورين من قرى نابلس وجنين وطولكرم على ارسال ابنائهم . . وكان رسم القسم الداخلي والتعليم معا ٢٥ جنيها للصغار الابتدائيين و ٣٠ للاستعداديين وهكذا دارت العملية نشيطة مشجعة وكان

المعلمون مستغرقين في عملهم بحماس فائقين بمرتبات زهيدة تتراوح بين خمسة وعشر جنيهات في الشهر وكان القسم الداخلي مما ساعد على نمو المدرسة وانتشار اسمها وتحسين حالتها المادية نوعا ما . وبعد أيام قليلة ترك علاء الدين حلاوة المدرسة لأن السلطات أعادت تشغيل المدارس وانتدبته مديراً لاحداها ويظهران مرتبها كان أكثر كما أنه رأى انها أضمن له وقد صار أديب مهيار مديرا محله . وانسحب الحاج حسن حماد من التأسيس لانشغاله في شؤونه المرتبكة، وانسحب آخرون أيضاً .

هيئة تأسيس المدرسة الأولى

واقتصر التأسيس على ابراهيم القاسم عبد الهادي وكامل هاشم والحاج قاسم كمال من غير هيأة التعليم وعلى الشيخ فهمي هاشم وجميل كمال وداوود طوقان وأديب مهيار وفارس السخن ، وهم اللذين تعهدوا أن يتفرغوا للتعليم والعمل للمدرسة ، ولقد كان عزة عبدو ووصفي عبد الهادي تعهدا منذ البداء بتعليم ساعات لغة انكليزية ورياضيات وكان لهما عمل يعملان فيه في وظائف حكومية ، فكانا غير متفرغين فلم يعتبرا من هيأة التأسيس وهذا كان شأن الشيخ أسعد شرف والشيخ زكي أبو الهدى لأنهما عينا معلمين تعيناً وكان من حق هيأة التأسيس ان تقرر ما ينبغي من شؤون المدرسة المتنوعة في اجتماعات تعقدها .

اندماجي في جو المدرسة منذ عودتي من بيروت

وحينما عدت الى نابلس اندمجت في جو المدرسة وعملها وكأني أحد مؤسسيها ومعلميها لأن العملية راقتني وقد كنت أنا وابراهيم القاسم وكامل هاشم والحاج حسن حماد نحاول انشاء مدرسة وطنية عربية في زمن الدولة العثمانية على ما ذكرته سابقاً (في الجزء الأول) .

مديريتي للمدرسة ونموها واستمرارها

وقد قدر لي بعد ثلاث سنين أن أكون مديراً لها لمدة خمس سنين وقدر لها ان تستمر وتنمو الى الآن وتشغل فراغاً في التعليم الوطني العربي ويتخرج منها مئات الشباب الذين كان لكثير منهم بروز ونشاط في المجال السياسي والإقتصادي والعلمي والأدبي .

وقد طرأ بعض التبدل في مسألة التأسيس عند انضمامي الى المدرسة رسميا سنة ١٩٢١ مما سوف نزيد شرحاً في الجزء الثالث ان شاء الله .

* * * * *

(٩)

أندية القدس والتنافس الحسيني ـ النشاشيبي فيها

ومما حدثني الدكتور حافظ عنه أن شباب القدس المثقفين أنشأوا بعد احتلال مدينتهم بقليل ناديين سموا أحدهما النادي العربي وثانيهما المنتدى الأدبي وان الأول كان هو الأسبق في الظهور وان شباب آل الحسيني ورفاقهم هم اللذين أنشأوه . وصار يسهم في التوعية الوطنية ومناوأة الأطماع اليهودية وأن الثاني أنشأه شباب من آل النشاشيبي ورفاقهم وصار بدوره يجزي في نفس المجرى ولكن انشاء هذا النادي كان لغرض التناظر مع الأسرة الحسينية حيث كان بين الأسرتين تناظر أو تنافس منذ العهد العثماني . وأن خط النادي الأول أقوى عروبة وأشد اخلاصاً وحماساً وانه ـ أي الدكتور حافظ ـ أنشأ صلة مع هذا النادي بعد احتلال نابلس في نطاق ما كان من نشاطه بعد اتصاله بمركز جمعية الفتاة في دمشق وتوجيهاته وأن المتزعم للنادي هو الحاج أمين الحسيني وأنه جاء الى نابلس واجتمع بالدكتور نتيجة لهذه الصلة وتم الاتفاق معه على السير في نطاق توجيهات الحكم العربي الفيصلي الاستقلالي الوحدوي وأنه ساعد النادي مادياً .

تعارفنا مع الحاج أمين الحسيني وشيء عنه

وبعد نحو شهر من قدومي الى نابلس التقيت بالحاج أمين عند الدكتور وكان اعتاد ان يأتي حينا بعد حين الى نابلس لتناول الحديث وتلقي التوجيهات والمساعدات وتعارفنا وكنت أسن منه ببضع سنين كما كان أمري بالنسبة للدكتور حافظ وكان بطبيعة الحال حليقاً متطربشاً وتبدو عليه علائم الجد والعزيمة والاخلاص .

تواثقنا معه الى نهاية حياته

ومنذئذ توثقت الصلة والصداقة الحميمة بيننا وتعاونا في مختلف مناسبات العمل الوطني وأنواعه وحقبه وكان يشوب ذلك أحيانا بعض الفتور والخلاف ولكنا كنا لا نلبث أن نرجع الى تواثقنا وصداقتنا الى ان توفاه الله سنة ١٩٧٤م رحمة الله عليه . .

تنويه بما شغله من حيز في تاريخ فلسطين

وقد شغل في تاريخ فلسطين الحديث وفي تاريخ القضية الفلسطينية حيزا عظيماً حتى كان

من ألمع الشخصيات العربية الاسلامية ومن أبرزها وسجل مواقف وصوراً متلاحقة من الجهاد والجد والجهد والدأب بدون ملل ولا توان بدأ من أيام شبابه الى نهاية حياته .

نشاطه الأول عبر النادي العربي

ولقد بدأ نشاطه وجده في سبيل قضية فلسطين العربية وبدت مواهبه الزعامية في وقت مبكر فمنذ ان تم احتلال القسم الجنوبي من فلسطين في أواخر سنة ١٩١٧ وظهور اليهود بمظهر القوة والغرور وجهرهم بمطامعهم وغاياتهم الخطيرة وتحرك رجال القدس لتنظيم العرب لمقاومتهم تزعم هو فريقاً من شباب أسرته ورفاقه منهم أخوة فخري وابن اخته اسحق درويش وابن عمه عبد اللطيف والشيخ يوسف ياسين اللاذقي الذي كان اذ ذاك في القدس والشيخ حسن أبو السعود فأنشأوا النادي العربي الذي أخذ ينشط في التوعية السياسية والقومية والاجتماعية .

نشاطه في مدرسة روضة المعارف وجمع المتطوعين للثورة

وعاضد هو ورفاقه مشرع مدرسة روضة المعارف الوطنية التي كان يديرها الشيخ محمد الصالح لتكون منهلا للناشئة ويتخرج منها شباب وطنيون قوميون ونشط في جمع متطوعين ممن تمرنوا على العمل الحربي العسكري في الجيش العثماني وارسالهم الى الجناح الشمالي من الثورة الهاشمية الذي كان بقيادة الأمير فيصل والذي كان ينشط في منطقة العقبة .

تفنيد ما يقال من علاقته بجبرائيل حداد

ولقد قيل أنه كان مرتبطاً بجبرائيل حداد الذي كان في معسكر فيصل وضابط استخبارات انكليزية وان نشاطه في جمع المتطوعين من ذلك ونعتقد أن لخصومه أصبعاً في هذا القول وبذل جهده في جمع متطوعين لجبهة فيصل فليس ذلك دليلاً عليه حتى ولو صح انه فعل ذلك بطلب من جبرائيل حداد . فهذا كان مع الأمير فيصل كضابط ارتباط بينه وبين الانكليز . والانكليز كانوا حلفاء للعرب وكان هؤلاء يقاتلون معهم تحت راية الهاشميين في سبيل استقلال بلادهم . وقد يكون جبرائيل حداد جاء بعد احتلال الانكليز للقدس لمح في الحاج أمين نشاطا وحيوية فطلب منه جمع متطوعين من أهل المنطقة لجبهة فيصل وليس في هذا أي مأخذ .

كان خطه منذ شبابه وطيلة حياته قومياً وحدوياً استقلالياً ضد الانكليز والاستعمار والصهيونية

ونبه على اننا لم نلحظ اي ريب في سلوك الحاج أمين في لقاءاتنا المبكرة به وكان خطه

قومياً وحدوياً استقلالياً وضد الانكليز والاستعمار والصهيونية منذ ذلك الوقت وظل على ذلك طيلة حياته . وحينما عقدنا المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس في أوائل سنة ١٩١٩ - على ما سوف نشرحه بعد - كان هو وشباب النادي العربي متحمسين لذلك الخط أشد الحماس ولقد جاء جبرائيل حداد المذكور الذي صار مدير أمن الشام في بداية حكومة فيصل الى القدس وحاول أن يجعل المؤتمر يبدل الميثاق الذي وضعه وهو (فلسطين جزء من سورية واستقلال تام ضمن وحدة تامة لجميع سورية ورفض لوعد بلفور وهجرة اليهود والانتداب والحماية والوصاية) كان موقفه وموقف رفاقه شديداً مؤيداً لنا في رفض وساطة جبرائيل حداد واحباط محاولته وحينما قدمت لجنة الاستفتاء الامريكية لمعرفة رغبات ومطالب العرب في فلسطين وبذلنا جهدنا بجمع الناس في كل فلسطين على ذلك الميثاق كان هو ورفاقه من أقوى المؤيدين في أوساط القدس التي كان بعض زعمائها مثل راغب النشاشيبي وعارف الدجاني يرون ان تكون فلسطين وحدها وهو ما كان الانكليز يوحون به وجاء حداد للعمل له وكل هذا مما يجعل ذلك القول في غير محله أو لا أثر له في سلوكه .

موقفه الثوري الأول في مهرجان النبي موسى سنة ١٩٢٠ ونتيجته

ومن أولى مواقفه الثورية العملية موقفه في المهرجان العربي الاسلامي الكبير في نيسان سنة ١٩٢٠ في موسم النبي موسى حيث اغتنم فرصة المهرجان الذي كان يجتمع فيه آلاف العرب من القدس والمدن والقرى فخطب فيهم خطبة قومية وطنية أهاجتهم وأدت الى صدام دموي بين العرب واليهود والبوليس الانكليزي ووقع كثير من القتلى والجرحى ولكن الجانب اليهودي كان الأشد خسارة .

هربه لدمشق والحكم عليه مع عارف العارف لسبب ذلك

وحاولت السلطات اعتقاله مع رفيق له خطب في المهرجان ايضا وهو عارف العارف فهربا الى شرق الأردن فدمشق وحاكمتهم السلطات العسكرية غيابيا وحكمت عليهم بالسجن عشر سنين .

تعاوننا معه في دمشق

وكنا آنذاك في دمشق فجددنا العهد وتعاونا في سبيل القضية وكان من ذلك انشاء جمعية فلسطين سرية للعمل المسلح في حدود فلسطين وبدأت مهمتها التي لم يقسم لها حظ كبير لأن

الحكم الفيصلي لم يلبث أن سقط بغزو الجنرال غورو لسورية وعدنا نحن الى فلسطين وعاد هو الى شرق الأردن وكان أخوه مفتي القدس الشيخ كامل قد توفي .

ترشيحه لمنصب الإفتاء عقب موت أخيه الفتي والعفو عنه ونيله المنصب

وتطلع آل الحسيني الى الاحتفاظ بالمنصب حسب التقاليد ومع أنه كان للحاج أمين أخ أسن منه وهو فخري فقد رأوا ان يكون المنصب له لما رأوا منه من مزايا ومواهب ففعلوا أولا واستطاعوا أن يستصدروا عفواً عنه وعن رفيقه العارف ولما عاد جرت انتخابات للمنصب بواسطة العلماء الدينيين حسب القانون العثماني وترشح الحاج أمين مع آخرين وكان المنصب من نصيبه .

جهده في انشاء المجلس الاسلامي وانتخابه رئيساً له

طالب المسلمون قبل توليه المنصب وعلى رأسهم أخوه المفتي الشيخ كامل بالاشراف على أوقافهم ومحاكمهم الشرعية أسوة باليهود الذين كانوا يشرفون على مصالحهم الطائفية . فلما تولى منصب الافتاء واصل الطلب فاستجابت السلطات لذلك وأدى الى وضع قانون من قبل جمعية من علماء المسلمين وبارزيهم بانشاء مجلس شرعي اسلامي أعلى وافقت عليه السلطات وجرت انتخابات لهيأة المجلس حسب المجلس النيابي العثماني بالنسبة للأعضاء ونجح كل من الحاج سعيد الشوا عن غزة وعبد الله الدجاني عن يافا والشيخ محمد مراد مفتي حيفا عن لواء عكا وعبد اللطيف صلاح عن نابلس (وكان زوج بنت الشيخ عمر زعيتر نجح بتأييده) ثم جرت انتخابات الرئاسة حسب قانون المجلس وفاز الحاج أمين بالمنصب أيضاً وهكذا جمع بين الافتاء ورئاسة المجلس .

أثر المنصبين في ما كان من أثر جهوده في ابراز قضية فلسطين

وكان منصب الافتاء ورئاسة المجلس من أقوى العوامل على ما كان من بروز قضية فلسطين كقضية اسلامية عامة بالاضافة الى كونها قضية عربية عامة وعلى بروزه كزعيم عربي اسلامي كبير مجاهد في سبيل الاسلام والعروبة وقضية فلسطين سواء في المجال المحلي الفلسطيني الشعبي أم في المجال العربي أم في المجال الاسلامي بحيث يمكن ان يقال انه لو لم يشغل هذين المنصبين لما عدا جهاده ونشاطه في هذه السبل كثيراً على جهاد ونشاط من كان له جهاد ونشاط في ميدانها من رفاقه وزملائه .

يد المندوب السامي اليهودي في نيل المنصبين رغم ضعف المبررات المعتادة وتعليل ذلك

ومن عجيب الأمور أنه كان للمندوب السامي الانكليزي اليهـودي الصهيوني هـربرت صموئيل اليد في شغله للمنصبين بحيث انه لو لم يرد ذلك لما كان شغلهما وكانت مبررات عدم تعيينـه لهما أشـد من مبررات تعيينـه وكان ملموحاً في هذه اليـد فكرة ايجـاد توازن بـين الأسر والتيارات الفلسطينية وبتعبير أدق (تنافس) وانفساح المجال لهذه اليد لأن تمتد او تتمثـل في هذا التوازن والتنافس فالحاج امين لم يكن عالماً دينياً مرشحاً ترشيحا طبيعيا لمنصب الافتاء وكان المرشحون له وهم الشيخ موسى البديري والشيخ حسام الدين جار الله والشيخ أمين العورى أسن منه كثيراً وأبرز في مجال العلم الديني والفقه الديني والممارسـة والزّي . وفي الانتخـابات كانت درجته الرابعة حيث كان الثلاثة متقدمين عليه جار الله والبديري والعوري بالتوالي ثم هو وكان الاختيار من حق الحاكم فاختاره المندوب السامي عليهم رغم تقدمهم عليه في الانتخابات والسن والفقه والممارسة. وفي انتخابات رئاسة المجلس كاد الشيخ عمر زعيتر يغلبه لأنـه كان أقوى منه انتخابيا ووجاهة ومؤيداً من كتلة راغب النشاشيبي التي كان لها قـوة انتخابيـة كبيرة فضلاً عن القوة الانتخابية في لواء نابلس التي كان الشيخ عمر يهيمن عليها ولكن الشيخ عمر زعيتر ولأسباب ارتآها تنحى له عن المنصب ولقد كان موسى كاظم باشا الحسيني رئيساً لبلدية القدس حين الاحتلال وفي مهرجان النبي موسى المذكور آنفاً تحمس هو ايضاً وخطب حينما مر الموكب من أمام البلدية فلما كانت المصادمات الدموية عزله المندوب السامي وعين مكانه راغب النشاشيبي وصار موسى كاظم تلقائياً زعيم للحركة الوطنية فرأى المندوب أنه لو عين غير الحاج أمين لظلت السلطات مع طرف واحد أو تيار واحد وكان الطرف الثاني خارجاً من يدها وضدها وهو الوطني فأرضى باختياره الحاج أمين للمنصبين تباعاً للتقاليد بتعيين أخ مفتي الميت للافتاء وتعيينه رئيساً للمجلس الاسلامي فصارت يد الحكومة في التيار أو الطرف الثاني أيضاً .

الحكومة في المنصبين

ولقد كان منصب الافتاء على كل حال حكـومياً لأن راتبـه يدفـع من الحكومـة ومع ان المحاكم الشرعية وضعت تحت اشراف المجلس الاسلامي فقد كانت الحكومة هي التي تدفـع مرتبات قضاتها وموظفيها وكانت تتقاضى حتى مقابل ذلك رسوم المحاكم بصفة طوابع حكومية تسلمها للمحاكم وكان رئيس وأعضاء المجلس يتقاضون نصف مرتباتهم من صندوق الحكومة لأنهم مشرفون على المحاكم الشرعية التي يدفع صندوق الحكومة مرتباتها بالاضافة الى اشرافهم على الأوقاف التي كانوا يأخذونها اضافة الى ان نصف مرتباتهم الثانية كان من ايرادها وكان من المعروف ان طوابع المحاكم الشرعية لا تسد مرتبات محاكمها ونصف مرتبات المجلس فيكـون

صندوق الحكومة هو الذي يتكفل بالفرق الذي يمكن ان يكون بضعة آلاف جنيه . ولقد كان قسم كبير من ايراد الأوقاف اعشار قرى تجبيها الحكومة في سياق ما تجبيه من القرى من ضريبة الأعشار وتدفعها للمجلس فكل هذا يبين مقدار اليد التي كان للحكومة في الافتاء والمجلس والمحاكم الشرعية والأوقاف .

نفخ الحاج امين للمنصبين واثر ذلك في قوة اسمه وبروز القضية

ولقد نفخ الحاج أمين منصب مفتي القدس حتى صار راسخاً في الأذهان أنه المفتي الأكبر وأنه مفتي جميع فلسطين ونفخ كذلك المجلس حتى كاذ يستقر في الأذهان انه حكومة اسلامية اكثر منه هيئة مشرفة على الأوقاف والمساجد والمحاكم الشرعية وبغض النظر عن ما في هذا وذاك من مفارقة بالنسبة للقوانين والتقاليد والواقع وما أثاره من نقد ومعارضة من معارضي الحاج أمين ، فقد صار في ظلهما وبما كان من خطه الوطني الوحدوي الاستقلالي الجهادي ذا اسم وبروز داوى كأبرز زعيم في فلسطين وكزعيم كبير عربي واسلامي خارج فلسطين وكان لذلك اثر كبير في ابراز القضية الفلسطينية عربياً واسلامياً وعالمياً .

اثر حكومية المنصبين في سير الحاج امين وما كان من مأزق له في ذلك

ومع ما كان لحكومة فلسطين الانكليزية من يد في المجلس الاسلامي والمحاكم والافتاء فقد حاول الحاج أمين بكل جهده ان يحتفظ بالخط الوطني الوحدوي والجهادي غير ان علاقة الحكومة الاستعمارية الواقعية كانت وظلت شبه كابح له عن الخروج في محاولته وخطه عن المدى الذي تتسع حوصلة هذه الحكومة له .

وقد كان الحاج امين نتيجة لذلك يداري هذه الحكومة مع جهده بحفظ ذلك الخط والزعامة الوطنية عبره . وكان هذا مأزقه الذي عاش فيه من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٣٧ ولقد كان الحاج « امين » واصدقاؤه وزملاؤه فضلا عن خصومه يشعرون بهذا المأزق وكان الأولون يشعرون بالحرج من ذلك ولكنهم كانوا يحاولون تجاوزه وتفسيره وتبريره اما الآخرون فكانوا دائما يستغلونه ويحاولون احراج الحاج وتجريحه به وتحديه .

مواقف برز فيها اثر ذلك المأزق المحرج

ولقد كان الحاج أمين يندمج في السير في مواقف ضد الانكليز فكان هذا مما يساق كمبرر من أصدقائه وانصاره ولا سيما انه كان قائد المناوأة القوية للصهيونية وخططها . ولما قوى

سيل الهجرة والحركة الصهيونية في سنة ١٩٣١ وبعدها وتراجعت الحكومة الانكليزية عما وعدت في (كتابها الأبيض) بالحد من الهجرة وبيع الأراضي وباشراك الوطنيين في الحكم بشكل ما مما كان يطالب به العرب واشتد سيل الهجرة وتصامم الانكليز عن الاحتجاجات . وأخذت تتعالى الأصوات بوجوب مواجهة الإنكليز بالعداء الصريح واللاتعاون بدون مداورة فكان ظرف اشتد به ذلك المأزق . ولقد رأينا وبعض رفاقي ان نصارحه بذلك ونحاول انشاء حزب يحمل ذلك الشعار ، واجتمعنا معه في طبريا في اوائل سنة ١٩٣٢ وكان معه اسحق درويش وكنت انا ومعين الماضي ورشيد الحاج وابراهيم نحاول ان نقنعه بصواب المحاولة ونتفق معه على تنفيذها فداور ولم يوافق مما جعلنا ننفرد عنه وننشيء حزب الاستقلال وقد أثاره انفرادنا لانه يكشف مأزقه لأننا كنا متعاونين متضامنين معه . وحاول عرقلة نمو الحزب وبروزه بأساليب متنوعة وقام جفاء بيننا وبينه وبين جماعته استمر الى الإضراب الطويل . ولقد احدث الحزب تيارا قوياً اشتدت به الأصوات بالدعوة الى اللاتعاون مع الإنكليز وانعقد مؤتمر فلسطيني عام شامل في يافا حضره الحاج أمين وأنصاره والمعارضون والخصوم للحاج امين معا وحضرناه مع جمهور كبير ايضا وارتفعت فيه الأصوات بوجوب تخلي اصحاب المناصب شبه الرسمية عن مناصبهم تعبيرا عن عدم التعاون مع السلطات وقام عاصم السعيد رئيس بلدية يافا وهو من خصوم الحاج فأعلن استعداده واستعداد راغب النشاشيبي وغيره من رؤساء البلديات للإستقالة اذا تضامن الحاج امين وأعضاء المجلس وأعلنوا استعدادهم للاستقالة وسارع الحاج امين وأنصاره على القول ان هذا كيد وفخ للحاج أمين وحسب وان المعارضين هم عملاء الانكليز ولن يلبثوا ان يعودوا لمناصبهم بعد ان يتخلى الحاج عن منصبه الذي كان يستمد منه قوة ومجدا وعلى كل حال فقد انكشف المأزق في هذا الاجتماع الكبير لجميع الناس وقد ظل الحاج امين يعاني منه ويتحمل حرجه ويبرره صراحة وضمناً بأنه في سبيل القضية القومية الى اواخر سنة ١٩٣٧ ولقد اشتدت الهجرة واشتدت السلطات في انحيازها لليهود وأدى ذلك الى توتر ومواقف شديدة ثم انفجر في اضراب سنة ١٩٣٦ الطويل وتشكلت لجان قومية اندمج فيها ممثلون من مختلف الأحزاب والميول وصار من الضروري قيام لجنة عليا للزعامة والتنسيق . واجتمعنا في بيتنا انا والحاج أمين وامين التميمي ومحمد علي التميمي ورشيد الحاج ابراهيم ومعين الماضي وأحمد حلمي عبد الباقي والشيخ حسن ابو السعود واسحق درويش وتحدثنا في الأمر فاقترحنا ان تتألف اللجنة العليا من رؤساء الأحزاب وممثليهم . وتكون برئاسة الحاج أمين .

ظهور الحاج رسمياً على رأس الحركة الوطنية اخذ يبعده عن ذلك المأزق

وتردد في قبول ذلك وكان تردده متصلا بدون ريب بذلك المأزق لأن الأضراب حركة

تمردية موجهة للسلطات الانكليزية فقلنا له انه امام موقف حاسم فأما ان يقبل هذه الرئاسة او يتخلى عن ما يجب ان يتمسك به سرا من زعامة الحركة الوطنية ولم يبق احتمال لغير ذلك وسأل عما اذا كان الاستقلاليون مستعدين للتضامن معه في الموقف فأجيب بالايجاب اذا برز في الزعامة الوطنية جهارا امام الانكليز لأن هذا هو سبب ما بيننا من فتور وعدم تضامن فقبل وتألفت اللجنة برئاسته ومن رؤساء جميع الأحزاب المعارضة له والمماشية ولقد حاول جهده مع ذلك في التوفيق بين موقفه الجديد ومأزقه ولكن الموقف صار اشد من المأزق وكان مما جعله يبتعد شيئا بعد شيء عن هذا المأزق الى خصومة السلطات العلنية وفي أثناء الإضراب اندلعت الحركات الثورية تدريجيا ثم قويت حتى صارت ثورة لاهبة ازعجت السلطات اشد الإزعاج وكان للحاج امين يد قوية سرية في ذلك مع استمراره في التظاهر بالتهدئة والمداورة ولا شك في ان السلطات كانت تعرف ذلك ولكنها ظلت تقبل منه تظاهره لأن الإضراب والثورة جعلاها مرتبكة وجعلاها تفضل عدم تصعيد الموقف معه في ظروفها ما امكن ذلك ولقد وعدت الحكومة الانكليزية بارسال لجنة تحقيق ملكية لتكون معبراً لتوصيات بحلول مناسبة للقضية وتدخل ملوك العرب نتيجة لذلك وحملوا اللجنة العربية العليا على اعلان فك الإضراب وجاءت اللجنة ثم تواطأت مع اليهود وبتأييد من الأمير عبد الله على اقتراح انشاء دولة لليهود في قسم من فلسطين وضم باقيها لمملكته ووافقت الحكومة الانكليزية على ذلك واعلنته فرفضته اللجنة العليا برئاسة الحاج امين واخذت البلاد تدخل في توتر وتسير نحو استئناف الثورة وكان هذا متوقعاً من قبل حتى فاتحنا بذلك الملك عبد العزيز حينما ذهبنا للرياض وفدا من اللجنة العليا في أوائل سنة ١٩٣٧ وطلبنا مساعدته ثم كررنا طلب المساعدة حينما ذهب الحاج امين وأنا معه الى الحج بعد قليل من ذلك ولما قتل حاكم الناصرة اندروز في أيلول ١٩٣٧ اشتد التوتر واشتد السير نحو استئناف الثورة وكانت أصابع الحاج أمين وراء ذلك فلم يعد في امكان السلطات ولا الحاج امين الاستمرار في تبادل المداراة والمواربة فعزلت السلطات الحاج امين من رئاسة المجلس وحلّت اللجنة العربية العليا واللجان القومية واعتقلت كثيراً من اعضائها ومن القضاة والوعاظ وأنصار الحاج امين ونفت من وجدته واعتقلته من اعضاء اللجنة العليا الى سيشيل وحاولت ان تعتقله فاعتصم في الحرم ولم ترد اقتحام الحرم .

المدة التي قضاها متحرراً من المأزق اكثر من ضعفي المدة التي قضاها فيه

والمدة التي قضاها متحرراً من ذلك المأزق وغدا فيها صريحاً وقوياً ودؤوباً أطول اكثر من مرتين من المدة التي قضاها وهو يعاني حرج ذلك المأزق اي من خريف سنة ١٩٣٧ الى سنة ١٩٧٤ بينما المدة الأولى من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٣٧ .

ذهابه من لبنان الى العراق وضلوعه في ثورة العراق ضد الإنكليز ورحلته الى أوروبا بعد انهيار الثورة

ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية ذهب الى العراق وكانت له يد قوية في الثورة التي اندلعت فيها ضد الانكليز اثناء حكومة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١ واثناء الثورة اقام اتصالاً مع الزعامة الألمانية ونال حظوة لدى الزعامات الألمانية والايطالية وتحالف معهم ولما استطاع الانكليز قمع الثورة استطاع ان يفلت من مطاردتهم الى اوروبا وحصل منهم هو ورشيد عالي الكيلاني ، على كتب رسمية بالاعتراف باستقلال بلاد العرب ووحدتها والغاء وعد بلفور واثاره من فلسطين.ولما انكسر المحور في الحرب افلت الى فرنسا ومنها الى مصر في خريف ١٩٤٦ .

عودته الى رئاسة الهيئة العربية العليا في مصر ثم في بيروت

ولقد حظي في مصر ، حينما عاد اليها ، بالرعاية وتوسد رئاسة الهيئة العربية العليا التي كانت انشأت في صيف هذه السنة بمساعي جامعة الدول العربية وتركت رئاستها شاغرة ليشغلها هو حين يعود اعترافاً واحتراماً بجهوده وزعامته السابقة وامتداداً لرئاسته للّجنة العربية العليا التي قامت في ظروف الاضراب الطويل ، واخذ ينشط في سبيل قضية فلسطين مع اعضاء الهيئة التي ضم اليها آخرين من رفاق جهاده (كان اعضاء الهيئة الأولون ، جمال الحسيني والدكتور حسين الخالدي واحمد حلمي عبد الباقي واميل الغوري ، وضم اليهم كل من عزة دروزه ورفيق التميمي ومعين الماضي واسحق درويش والشيخ حسن ابو السعود) وأخذ يتنقل بين مصر وسورية اثناء الحرب الفلسطينية ٩٤٧ - ٩٤٨ ثم استقر في مصر الى سنة ١٩٥٤ .

انتقاله الى بيروت وبقاؤه الى آخر حياته

وحدث بينه وبين حكام مصر الثورة ما جعله يختار الانتقال من مصر الى بيروت في اوائل العقد الخامس حيث صارت دار سكن وعمل له وقد انشأ مسكناً واتخذ مركزاً للهيئة العربية العليا وظل ينشط فيها الى ان توفاه الله في عام ١٩٧٤ ودفن فيها رحمه الله .

وقد تكون انكشفت شمس غروبه من نطاق القضية الفلسطينية بعد قيام منظمة التحرير برئاسة احمد الشقيري نتيجة لمؤتمر القدس في حزيران ١٩٦٤ حيث اخذت المنظمة ولجنتها التنفيذية تبرز ويعترف بها كممثلة للشعب الفلسطيني لدى الحكومات العربية وغيرها ولدى هيئة الأمم ومجلس الجامعة العربية تدريجياً . وقد كان مناوئاً للشقيري في انشاء الكيان

الفلسطيني وجمع المؤتمر الفلسطيني من اجل ذلك بتشجيع من الجامعة وكان يطالب باجراء انتخابات للمؤتمر ولكن رغبته لم تتحقق وبرزت المنظمة ولكنه كابر وظل ينشط في نطاق الهيئة العربية العليا في سبيل القضية العربية ثم نشط في نطاق رابطة العالم الاسلامي وظل ينشط ويصدر عن الهيئة نشرات وبيانات وتذهب وفود واحترمت المنظمة جهاده وجهوده فلم ينشب بينهما صدام وظل كذلك الى آخر حياته .

حساسيته في صدد الزعامة

وقد يؤخذ عليه انه كان شديد الحساسية ازاء ما يكون من الآخرين من تحدي لزعامته وخاصة في مجال القضية الفلسطينية فهو يقف مواقف شديدة ازاء من يتحداه في ذلك حتى يصل احياناً الى التجني وحتى ازاء من لا يكون منحرفاً وطنياً وعربياً واخلاقياً بل وازاء من يكون له بلاء واخلاص للقضية الفلسطينية والقضية العربية . وهناك امثلة كثيرة يمكن ان يذكر منها على سبيل المثال مثلما كان بينه وبين رشيد عالي الكيلاني وفوزي القاوقجي واحمد الشقيري وموسى العلمي وحزب الاستقلال وغيره مما سوف يرد تفصيله في مناسبات عديدة في هذه المذكرات . وقد يؤخذ عليه مآخذ ثانوية اخرى في أساليب العمل والتعامل ولكن من الحق ان يقال ان ذلك ليس فُريداً وهو يتشارك فيه مع معظم الزعماء العرب كما ان من الحق ان يقال ان كل ذلك لم يكن ليطغى على ما كان له من جهاد وجهود مخلصين قويين داويين في سبيل القضية الفلسطينية والقضايا العربية والاسلامية فمنذ شبابه الأول الى آخر حياته وهو في كل ذلك قوياً شديد المراس شديد الاخلاص لا يكل ولا يمل حتى اصبح في كل ذلك علماً بارزاً في سماء العروبة والاسلام بل والعالم رحمة الله عليه رحمة واسعة وما ذكرناه هو غيض من فيض وله حيز كبير في مذكراتنا وتسجيلاتنا حتى ليمكن ان يقال انه اكثر الشخصيات حيزاً وذكراً .

علاقتنا الشخصية معه

ومنذ تعرفنا به في ١٩١٨ توطدت بيننا الصداقة والتعاون وظلت تقوى حتى صارت حميمة قوية وكنت المح ـ ولا أقول هذا للتزين ، فاننا والحمد لله في غنى عن ذلك ولكن للحقيقة ـ ان لي في نفسه تقديراً واحتراماً واهتماماً خاصاً ، وكان يهتم كثيراً لآرائي وأفكاري واقتراحاتي وحضوري معه في مختلف المواقف والمناسبات الخاصة والعامة وقد كان يحصل احياناً شيء من التراخي والغبار بيننا وبينه كما كان ذلك اثناء انتخابات المجلس الاسلامي وفي سياق نشوء حزب الاستقلال وفي سياق العمل في الهيئة العربية العليا التي انضممت اليها مدة من الزمن بناء على طلبه ولكن كنا لم نلبث ان يعود الصفاء والتواثق والاحترام المتبادل الى ما كان

عليه وظل كذلك الى آخر حياته . وبعد قدومه الى بيروت كنت حينما اذهب الى بيروت أو إلى الجبل أزوره ويرد لي الزيارة وكان يزورني حينما يأتي الى دمشق وقد كان ضيفاً علي مراراً .

شيء عن عارف العارف

وبمناسبة ورود اسم عارف العارف رفيق الحاج أمين نقول انه شاب من القدس كان يدرس في الكلية الملكية في الاستانة بعد اعلان الدستور وعاش في جو الحركة العربية وما كان من تشاد بين رجالها ورجال الترك وتشرب الروح القومية ولا نعرف يقيناً اذا كان تخرج من تلك الكلية ونال اجازتها . وقد تعرفنا به في دمشق حينما جاء مع الحاج امين هاربين من مطاردة الانكليز وتعاونا معه في سبيل قضية فلسطين في نطاق جمعية فلسطين السرية التي انشأناها في دمشق وقد لمحنا فيه روحاً قومية ثورية مع هدوء واتزان وكان على درجة حسنة من الثقافة التركية والعربية ولما سقط العهد الفيصلي عاد مع الحاج امين الى شرق الأردن ولما عفى عنهما وعين الحاج امين مفتياً عينته السلطات قائمقاماً لبئر السبع وقد تقلب في وظائف ومراكز عديدة طيلة مدة الانتداب ولم يكن له مشاركة في نشاط سياسي ولكنه ظل محتفظاً بخطه القومي واخلاصه لقضية فلسطين العربية وكان حسن الاسم والسمعة والنشاط ولما انتهى الانتداب الانكليزي اشتغل موظفاً كبيراً في الحكومة الأردنية وكان ميالاً للبحث والدراسة والتأليف وقد الف بعض الكتب عن قبائل بئر السبع وتاريخها اثناء وظيفته فيها ثم كتب سلسلة باسم (النكبة) في ستة أجزاء سجل فيها مراحل حرب فلسطين ٩٤٧ ـ ٩٤٨ وشهداء فلسطين فيها ووصفاً لمدنها فكان عمله هذا مفيداً مشكوراً وعاد من الأردن فأقام في فلسطين واتخذ رام الله مقاماً له وقد التقينا به فيها حينما زرنا فلسطين في سنة ٩٦٤ وجددنا تعارفنا وصداقتنا . وجاء مرة الى دمشق فزارنا وسألنا عن بعض الأمور المتصلة بقضية فلسطين وبعد النكبة الثانية في حزيران ٩٦٧ بقي في رام الله وكان يدون مذكرات ويوميات عن تصرفات العدو وظل مواظباً على ذلك الى ان توفاه الله في سنة ٩٧٤ رحمة الله عليه وقد علمت انه ارسل الى مركز ابحاث منظمة التحرير ما سجله من مذكرات ويوميات لا بد من ان تكون مفيدة شاملة قياساً على سلسلة كتابه (النكبة) .

* * * * *

(١٠)

المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس كانون ثاني ١٩١٩

بعد ان تكامل انشاء الجمعيات الاسلامية المسيحية في المدن الشمالية التي احتلت في

المرحلة الثانية وقد استغرق ذلك نحو شهرين فكرنا في نابلس في عقد مؤتمر لدرس مختلف شؤون القضية والأحوال ووضع ميثاق وطني عام وفاتحنا جمعية القدس والجمعيات الأخرى فرحبت بالفكرة وتم الاتفاق على عقد المؤتمر في القدس وانعقد فعلاً في اوائل كانون الثاني سنة ١٩١٩ .

وقد انتدبتني جمعية نابلس انا وابراهيم القاسم عبد الهادي ورامز آغا النمر واحمد الشكعة وابراهيم عبد النور كممثلين عن نابلس وجماعين .

سفرنا وحياتنا في القدس

وقد سافرنا في عربيات حنتور كل شخصين في واحدة وكان رفيقي ابراهيم القاسم وكانت اجرة الحنتور ربع جنيه بنكنوت مصري الذي كان هو المتداول في أوائل الاحتلال (ثم صدر بنكنوت فلسطيني قيمة الورقة الليرة بقيمة الجنيه الاسترليني)ونزلنا في فندق في باب الخليل داخل العمارة السوق ذات البوابة واظن ان اسمه (فاست) وصاحبه ألماني . وكنا ننام ونأكل منه مقابل ربع جنيه في اليوم للشخص الواحد وكانت نفقة الوفد من صندوق الجمعية التي جمعت بعض التبرعات من الميسورين من اعضائها وغيرهم وكان كل اثنين في غرفة وكان رفيقي في الغرفة ابراهيم ايضاً .

اسماء من اتذكرهم من مندوبي مدن فلسطين الأخرى

وأتذكر انه كان يمثل (غزة) في المؤتمر الحاج سعيد الشوا ومحمد الصوراني وخليل بسيسو و (طولكرم)الشيخ سعيد الكرمي والشيخ عبد اللطيف الحاج ابراهيم ، و(جنين) نافع العبوشي والحاج حيدر عبد الرحمن عبد الهادي وعبد القادر اليوسف عبد الهادي ، و(حيفا) رشيد الحاج ابراهيم واسكندر منسي،او(عكا) الشيخ ابراهيم العكي ، و(صفد) الشيخ احمد النحوي ، و (طبريا) الشيخ طاهر الطبري ، و(الناصرة) اسكندر كوزما وسيف الدين الزعبي ، و(يافا) الشيخ راغب الدجاني ويوسف العيسى و(بيت لحم) عيسى البندك ، و(الخليل) الشيخ عبد الله طهبوب ، و(بئر السبع) الشيخ فريح ابو مدين ، او(القدس) عارف الدجاني الداوودي ويعقوب فراج وقد يكون اشخاص آخرون مع هؤلاء من مدنهم او من مدن اخرى نسيتهم فقد كان في فلسطين مدن اخرى بينها رام الله والبيرة والمجدل وخان يونس واللد ولا بد من ان يكون قد مثلها بعضهم فذهب ذلك عني حينها دونت خبر المؤتمر في مذكراتي الأولى .

وقد تعرفت بهم جميعاً وصار بيني وبين كثير منهم صداقة وتواثق وتعاون في مواقف ومؤتمرات عديدة اخرى .

مكان انعقاد المؤتمر

وقد انعقد المؤتمر في البناية التي صارت مدرسة للايتام الاسلامية وكانت مركز متصرفية القدس على ما اظن ومدخلها بوابة كبيرة وفيها طابقان واسعان وقاعات وغرف عديدة على نحو ما كانت عليه سرايا نابلس التي وصفناها .

انتخاب عارف الدجاني الداوودي رئيساً وانتخابي سكرتيرا

وقد انتخب عارف الدجاني الداوودي الذي كان رئيساً لجمعية القدس لرئاسة المؤتمر وكان انتخابه تلقائياً بسبب ذلك وانتخبت أنا سكرتيرا للمؤتمر .

عارف باشا الدجاني الداوودي

وعارف الدجاني كان يلقب بلقب باشا واظن انه كان متصرفاً في مدينة ما او وكيلا لمتصرف في زمن الدولة العثمانية وهو ذو جسم ضخم طويل نوعاً ما ولحيته مخروطية وشعرها في الوجنات قليل على الطريقة الأفرنسية فيها شيب غير قليل وكان بدون لون ان صح التعبير وممن يمشون مع الحكومات ويسيرون في فلكها بصورة عامة وفيه شيء من الدهاء ولقد اختارته السلطات الفلسطينية عضواً للمجلس الاستشاري حينما قام حكم مدني بديلاً عن الحكم العسكري سنة ٩٢٠ على ما ذكرناه قبل ، ولقد انتهت مدة هذا المجلس وارادت السلطات اجراء انتخابات لمجلس تشريعي فعارضته الحركة الوطنية واخفقت الانتخابات نتيجة لذلك على ما سوف يأتي شرحه فجددت السلطات عضويات اعضاء المجلس الاستشاري وطلبت الحركة الوطنية منهم الاستقالة فاستقال معظمهم وأبى هو وزميل آخر هو راغب النشاشيبي الاستقالة واحتفظا بعضويتهما رغم ان السلطات اضطرت الى الغاء المجلس لعدم تمكنها من ايجاد من يقبل العضوية بدلاً من المستقيلين وكان موقفه سلبيا من فكرة ربط مصير فلسطين بسورية التي كان يؤيدها معظم اعضاء المؤتمر حتى لم يتورع عن القول حينما كان يحتدم النقاش معه في ذلك (ان اهل الشام سيخطفون طرابيشنا) واصر على بقاء فلسطين وحدة خاصة ولقد قلت له حينما قال ذلك اذا كان هذا منطقك فيمكن لغير القدسي ان يقول اذا القدس صارت عاصمة لفلسطين سيخطف اهلها طرابيش الناس الآخرين . وكان له مواقف غير سليمة في

الحركة الوطنية على ما سوف نذكره بعد ولكن ليس فيها انحراف خطير ولم يكن له شعبية وشخصية مؤثرة فكانت مواقفه مع ذلك محدودة الاثر ، رحمه الله .

سبب نسبة الداوودي لاسمه

ونسبة (الداوودي) جاءت من ان اسرته كانت هي القيّمة على المقام المعروف بمقام النبي داود القريب من باب الخليل في القدس القديمة وهي أسرة كبيرة وسوف يأتي كلام عنها وعن مقام النبي داود في مناسبة آتية .

وفي يافا أسرة تلقب بالدجاني ولكن ليس بين هذه الأسرة وأسرة الدجاني الداودي المقدسية قرابة فيما علمت واسرة يافا من قرية اسمها بيت دجن قرب يافا فيما سمعت ولعل اسرة المقدس ايضاً من هذه القرية أو من قرية بنفس الاسم قرب نابلس لأن كلمة دجن هي من (داغون) وكان داغون من آلهة فلسطين القدماء وبيت دجن كانت تعني مقام هذا الاله .

اقتراح يوسف العيسى بتسمية فلسطين سورية الجنوبية والميثاق الذي قرره المؤتمر

ولقد اخذ أعضاء المؤتمر يتداولون في مصير فلسطين وما تواجهه من مطامع اليهود ونشاطهم من اخطار تهدد العرب في وطنهم الشرعي استناداً لوعد بلفور . وكان حكم فيصل لسورية قائماً والآمال معلقة عليه . فكان اتجاه الاكثرية وجوب ربط قضية فلسطين ومصيرها بسورية واقترح يوسف العيسى ان يتخذ المؤتمر قراراً مبدئياً بأن فلسطين جزء من سورية وتسمى سورية الجنوبية فوافقت اكثرية المؤتمر الكبرى على هذا الاقتراح وقد تعاقب خطباء المؤتمر بعد ذلك في صدد وعد بلفور ودعاوى اليهود وخطر هجرتهم على مركز العرب وحقوقهم وعدم شرعية الوعد وقيمته ومخالفته للوعود والعهود المقطوعة للملك حسين الذي صار حليفاً للحلفاء لتكون جميع بلاد العرب ومنها بلاد الشام وفلسطين مملكة مستقلة . وفي سقوط قيمة الوعد بقبول الحلفاء مبادىء ولسون التي منها حق اهل البلاد المحررة في تقرير مصيرهم والغاء كل وعد واتفاق سري مخالف لذلك وفي ما كان لعرب فلسطين من مشاركة كبيرة في الحركة العربية في اثناء الحكم العثماني ثم في الثورة الهاشمية وما قدمته من شهداء وتضحيات وانتهت الابحاث الى اقرار ميثاق وطني هذه بنوده :

١ ـ فلسطين هي سورية الجنوبية وجزء لا يتجزأ من سورية .

٢ ـ الاستقلال التام لسورية جميعها بلا حماية ولا وصاية ولا احتلال وضمن الوحدة العربية .

٣ ـ رفض وعد بلفور ورفض الهجرة اليهودية الى فلسطين ورفض كل دعوى لليهود فيها .

مذكرة مفصلة من المؤتمر لمؤتمر السلم

ثم قرر المؤتمر كتابة مذكرة مفصلة بحقوق العرب في فلسطين ومركزهم وتفنيد دعاوى اليهود ورفضهم لها وعزمهم على معارضتها والدفاع عن وطنهم وكيانهم وحقهم في تقرير مصيرهم واختيارهم لهذا المصير بتقرير كون فلسطين جزءاً من سورية ومرتبطاً بها غابراً وحاضراً ومستقبلاً ويطلبهم الاستقلال التام لسورية جميعها ضمن وحدة عربية مستقلة وذكر ما كان من مشاركة العرب والفلسطينيين في الحركة العربية والثورة العربية في سبيل استقلالهم .

وقد توليت انا ويوسف العيسى كتابة المذكرة وترجمت للانكليزية واخذها وفد كان فيه الرئيس وأنا وقدمها للحاكم العسكري وطلب منه ارسالها الى حكومته ومنها الى مؤتمر السلم .

قرار المؤتمر بارسال وفد لباريس . ووفد لدمشق واسماء الوفدين

ثم قرر المؤتمر ارسال وفدين واحد الى باريس لمقابلة مؤتمر السلم الأعلى والمطالبة بالتسليم بحق تقرير المصير لأهل فلسطين واعلان رفض دعاوى اليهود ووعد بلفور . وآخر لدمشق لمقابلة الأمير فيصل ورجال الحركة العربية وتبليغهم الميثاق المقرر وطلب تأييدهم ومساعدتهم وانتخب المؤتمر للوفد الأول الحاج توفيق حماد وسعيد الحسيني وكلاهما كانا نائبين في مجلس النواب العثماني الأول عن نابلس والثاني عن القدس مع جبران كزما ممثل الناصرة في المؤتمر . وانتخبت انا والشيخ راغب الدجاني ويوسف العيسى وفداً لدمشق .

شيء عن جبران كزما

وكان هذا الشاب عروبياً صلباً متفتح الذهن يجيد الأفرنسية ودرس الزراعة في فرنسا وحصل على اجازة من احدى كلياتها وكان من العناصر النشيطة في المؤتمر وقد تواددنا وتواثقنا وتصادقنا وكان يبعث في النفس ثقة ودفئاً بصفاء روحه وعروبيته ووحدويته وصدق لهجته ووطنيته ولم يعمر مع الأسف طويلاً حيث مات بعد سنين قليلة وظل الى ان مات على استقامته وصفائه وصدق عروبيته ووطنيته .

شيء عن سعيد الحسيني

وقد سبق التعريف بالحاج توفيق حماد . ونقول في صدد سعيد الحسيني اننا التقينا به في القدس في ظروف انعقاد المؤتمر وفي ظروف قدوم لجنة الاستفتاء الاميركية . وهو رجل رزين

بشوش الوجه يبعث على الطمأنينة وهو خال الحاج أمين وتبدو الطيبة والبساطة عليه مع اخلاق مرضية وسريرة صافية وكان عروبياً وحدوياً وقد أيد الميثاق الوطني وسار في خطه. وانتدب ممثلاً للقدس في المؤتمر السوري العام ولكنه لم يشهده وحينما أعلن استقلال سورية في مارس ١٩٢٠ سمي وزيرا للخارجية في أول وزارة استقلالية ليكون رمزاً لفلسطين في العهد. فأقام أياماً ثم عاد الى القدس بسبب حالته الصحية وبعد عودتنا من دمشق كنا نلتقي به من آن لآخر في القدس وخاصة اثناء عملنا فيها مديرا عاما للأوقاف وكان بيننا محبة وتعاطف. وظل محتفظاً بصفاء سريرته وطيبته دون نشاط في الحركة الوطنية وكان شديد التعضيد والعطف على ابن اخته الحاج امين وكان هذا يحبه ويستدفىء به وقد توفي على ما اظن في الأربعينات رحمة الله عليه.

شيء عن الشيخ راغب الدجاني

وكان الشيخ راغب يتعاطى المحاماة في يافا ولا بأس في معارفه الدينية والحقوقية التاريخية وكان من العناصر النشيطة في المؤتمر يتكلم في كل موقف ذو نزعة اسلامية عربية وحدوية استقلالية رضي الخلق صافي السريرة.

وقد تصادقنا وتعاونا منذ المؤتمر وكان يسارع الى العمل والنشاط كلما طلب منه او دعا الداعي اليه بل كثيراً ما كان هو الطالب والداعي وظل على خطه المستقيم الاسلامي الوحدوي الاستقلالي وعلى نشاطه طيلة حياته التي طالت الى سنة ٩٦٤ حيث توفي في رام الله التي كان يقيم فيها على الأكثر منذ النكبة وكانت له املاك وبيارات في يافا خسرها باحتلال اليهود وهو اسن مني بنحو عشر سنين رحمة الله عليه.

شيء عن يوسف العيسى

وكان يوسف العيسى ذكياً المعياً وكاتباً لبقاً وكان يشارك ابن عمه عيسى العيسى في تحرير جريدة فلسطين التي كانت صدرت بعد اعلان الدستور في يافا وكان لها جهد في محاربة الصهيونية والتحرير منها على ما ذكرناه قبل وكان يوسف يبدو ذا خط استقلالي وحدوي وهو الذي اقترح كما ذكرنا قبل تسمية فلسطين باسم سورية الجنوبية وكان الى هذا يبدو بعيد الغور لا يكشف عن كل ما في نفسه ولا يستطيع الانسان ان يكتشف ذلك حتى ليحمل على الحذر وكان من العناصر النشيطة في المؤتمر وقد انتدبته يافا فيما بعد ممثلاً لها للمؤتمر السوري العام وظل في دمشق الى ان سقط عهد فيصل وكان في المؤتمر السوري ايضاً من العناصر النشيطة ثم عاد الى فلسطين واستمر ردحاً من الوقت مشاركاً في إصدار جريدة فلسطين ثم رحل الى دمشق

فأنشأ جريدة خاصة له سماها (ألف باء) في اثناء الاحتلال الافرنسي وكان سليم الخط الوطني الوحدوي الاستقلالي واستطاع ان يجعل لجريدته مكانة في الصحف السورية وقد استمر يصدرها مدة طويلة وتوفي في دمشق في الخمسينات على ما يرد لذاكراتي وكان له بعض المواقف المنسجمة مع سياسة الامير عبد الله على ما سوف اشرحه بعد .

اكثر اعضاء المؤتمر كانوا وحدويين استقلاليين وتنويه ببعض النشيطين منهم وصلاتنا بهم

ولقد كان اكثر اعضاء المؤتمر وحدويين استقلاليين على السجية والطبيعة ونتيجة لحسن ادراك وطيبة قلب وسريرة فكان ذلك مما ساعد على انجاح المؤتمر ووضع الميثاق في الصيغة التي وضع فيها وكان منهم عناصر متفتحة ونشيطة ساعدوا على التركيز والنجاح في المؤتمر .

منهم صديقنا ابراهيم القاسم عبد الهادي بعقله وسعة أفقه وحسن ادراكه ونزعة الحرية والاستقلالية والوحدوية فيه ومنهم يوسف العيسى وجبران كزما والشيخ راغب الدجاني الذين مر تعريف بهم .

شيء عن الشيخ حامد النحوي

ومنهم الشيخ حامد النحوي وهو اسن مني ولا بأس في علمه الديني والفقهي والاجتماعي والتاريخي وعقله راجح وكان يتكلم في اكثر المواقف بكلام موزون ومفيد ومختصر وكان وحدوياً استقلالياً عروبياً اسلامياً وقد تصادقنا وظللنا اصدقاء والتقينا في مؤتمرات ومناسبات عديدة في الثلاثينات وظل محافظاً على خطه الوطني السليم ولما نشأ المجلس الاسلامي الأعلى عين قاضياً شرعياً لنابلس وكان حسن السيرة والسمعة وظيفياً واجتماعياً ووطنياً ونقل الى الناصرة وكان ذلك آخر عهدي به وكان ممن اعتقلته السلطات على ما يرد الى ذاكرتي حينما قتل (اندروس) حاكم الناصرة في خريف سنة ١٩٣٧ وانفجر الموقف في فلسطين وكنت آنذاك خارج فلسطين وأظن انه توفي في الأربعينات رحمة الله عليه .

شيء عن الشيخ طاهر الطبري

ومنهم الشيخ طاهر الطبري وقد كتبت شيئاً عنه في مناسبة ما كتبت عن عملي في طبريا وكان من جيلي او اقل قليلاً وقد تعمم واطلق ذقناً خفيفة وتلقى دروساً دينية وفقهية وكان وحدوياً استقلالياً عروبياً وكان يتكلم في اكثر المواقف بكلام موزون يدل على عقل ووعي وقد تصادقنا منذئذ والتقينا به ثانية في المؤتمر السوري العام في دمشق حيث جاء ممثلاً عن طبريا وكان

في المؤتمر على خطه الذي ذكرناه ولما عدنا الى فلسطين التقينا به في مناسبات عديدة وتعاونا وقد صار قاضياً شرعياً بطبرياً ثم الناصرة وظل في هذا المنصب الى ما بعد النكبة والاحتلال اليهودي الأول ولكنه ظل محتفظاً بسلامة موقفه وخطه محترماً من الناس والسلطات الى ان توفي في الستينات رحمة الله عليه .

شيء عن الشيخ سعيد الكرمي

ومنهم الشيخ سعيد الكرمي وكان متقدماً في السن ولكنه متفتحاً نشيطاً حسن العلوم الدينية والأدبية وكان شاعراً ايضاً وكان وحدوياً استقلالياً عروبياً في المؤتمر حسن الكلام .

ولقد كان ممن اعتقلهم جمال باشا وحكم عليه بالاعدام لصلته بحزب اللامركزية ثم بدل حكمه المؤبد لشيخوخته وجاء الى فلسطين بعد الحرب فمثل طولكرم في مؤتمر القدس ثم ذهب الى دمشق فمثلها في المؤتمر السوري وكان له نشاط في تأسيس المجمع العلمي اللغوي في العهد الفيصلي ولما سقط هذا العهد رجع الى فلسطين ثم سافر بعد استقرار الأمير عبد الله الى عمان وعاش في جو وكنف الأمير وعين قاضياً للقضاة وظل في هذا المنصب الى ان مات في الثلاثينات رحمة الله عليه .

شيء عن رشيد الحاج ابراهيم

ومنهم رشيد الحاج ابراهيم واظنه كان في سني وكان في زمن الدولة العثمانية موظفاً في سكة الحديد ومنذ الاحتلال اشتغل بالتجارة مع اخيه وكان يبدو حينما التقيت به في القدس خلال المؤتمر كثير الحركة والنشاط وحدوياً وطنياً عروبياً اسلامياً استقلالياً طموحاً للزعامة وقد نالها في الثلاثينات وبعدها حيث صار من زعماء حيفا والشمال البارزين . ومنذ بدء الاحتلال اخذ يشارك في الاحداث والحركات الوطنية ويشغل حيزاً فيها وظل كذلك الى آخر حياته وقد تصادقنا في القدس وتوافقنا في المواقف وظللنا صديقين متواثقين الى النهاية وتشاركنا وتعاونا في مختلف المواقف والمناسبات وأسسنا معاً حزب الاستقلال وكان جم النشاط في نطاقه ولما أنشأ أحمد حلمي بنك الأمة العربية في الثلاثينات صار مديراً لفرع البنك في حيفا وفي ظروف الاضراب في صرفند في جملة من اعتقلتهم من رجال الحركة والنشاط وكنا معا في المعتقل . ثم اعتقلته في خريف عام ١٩٣٧ حينما قتل اندروز حاكم الناصرة وانفجر الموقف ونفته الى سيشل مع اعضاء اللجنة العربية العليا الذين استطاعت ان تعتقلهم وهم احمد حلمي والدكتور حسين الخالدي وفؤاد سابا ويعقوب الغصين مع انه لم يكن من اعضائها ولكنه كان عنصراً بارزاً في

الشمال جم النشاط وقد وطد هذا الاعتقال زعـامته واسمـه داخل فلسطين وخارجها وكان متزوجاً من دمشق وكانت له صداقات مع زعماء حركتها الوطنية وخدمات مفيدة لهذه الحركة ايضا في ظروف الثورة السورية ٩٢٥ وبعدهاهوبعد اطلاق سراحه من سيشل بقليل عاد الى فلسطين واستأنف نشاطهومشاركاته في الأحداث والحركات التي كانت اثناء الحرب العالمية ثم في حرب فلسطين وقد بذل جهدا مشكوراً في هذه الحرب وبعد النكبة جاء وأقام في سورية وما لبث ان وافاه الأجل في الخمسينات رحمة الله عليه وهو مستقيم الأخلاق نقي اليد والسريرة . وفيه حدة وسرعة انفعال وجرأة وحماس واعتداد بالنفس وتكلف وترسم وفيه عادة كتابة الاقتراحات والمناهج في كل موقف ومناسبة .

شيء عن اسكندر منسي

وكان مع رشيد في المؤتمر عن حيفا اسكندر منسي وكان عنصراً نشيطاً وكان يحاول الاتصال بالانكليز ضباط وغير ضباط لمعرفة ما عندهم من اخبار وأفكار وكان يأتي بأخبار وأفكار مختلفة نقلا عنهم ويذكر ذلك صراحة فيثير التشاؤم احياناً والتفاؤل احياناً في مستمعيه ويحاول عبر ذلك ان يبرز نفسه وكان يصطحب معه رشيد الحاج ابراهيم للاستماع لتلك الأخبار والأفكار فيشاركه في نقل ما يسمعون من اراء مختلفة . وقد ظل نشيطاً في حيفا وأظنه توفي بعد مدة غير طويلة .

شيء عن عيسى البندك

ومن العناصر النشيطة في المؤتمر عيسى البندك وكان شاباً ذكياً حسن الكلام والسمت يبدو منهما ذا نزعة عربية استقلالية وحدوية وظل محافظاً اجمالاً على هذا الخط وكان يصدر في بيت لحم جريدة اسمها (صوت الشعب) يعبر فيها عن نزعته وكانت رافدة من روافد الحركة الوطنية اجمالاً وصار بيننا صداقة ولكنها لم تكن حميمة . وتعاونا معه في مواقف ومؤتمرات فلسطين المختلفة وكان يحسن الكلام والخطابة وقد صار رئيساً لبلدية بيت لحم وكان فيها نشيطاً وشغل عبرها حيزاً في الزعامات الفلسطينية وظل ينشط في سبيل القضية الوطنية ولكن دون تطرف يجعل السلطات تتحرش به وتعتقله حينما كانت تتحرش بالعناصر الوطنية النشيطة وتعتقلهم في المناسبات ولا اعرف يقيناً ماذا كان من احداثه بعد خروجي من فلسطين ١٩٣٧ وأظن انه صار سفيراً للأردن بعد النكبة في اسبانيا وسيأتي ذكره في مناسبات آتية .

شيء عن نافع العبوشي

وممن تعرفنا بهم وتواثقنا معهم في المؤتمر نافع العبوشي وكان ذا مظهر زعامي ومن العناصر المفيدة في المؤتمر وقد ظلت صداقتنا مستمرة وتعاونا معه في مواقف ومؤتمرات عديدة وظللنا وظل على ذلك الى ان توفاه الله سنة ١٩٣٠ رحمة الله عليه .

مدة المؤتمر

ولقد امتدت، اجتماعات المؤتمر نحو اسبوع وقبل يوم من انتهائه قال الرئيس ان موفدا من الشام قادم يحمل للمؤتمر وحيا ويجب ان تنتظر قدومه .

قدوم جبرائيل حداد ومحاولته حمل المؤتمر على اعادة النظر في قرار ربط فلسطين بسورية واحباطنا اياها .

ولم يلبث ان جاء الكولونيل جبرائيل حداد من دمشق وعرف انه هو القادم المنتظر وقد كان هذا مديراً للأمن العام في حكومة فيصل العسكرية وكان في معسكر فيصل في الجبهة ورافقه في دخول الشام وكان المعروف انه من رجال المخابرات الانكليزية وقد زار موسى كاظم باشا الحسيني الذي كان يتولى رئاسة بلدية القدس وطلب منه ان يجمعه بأعضاء المؤتمر ليحدثهم ويعرض عليهم بعض افكاره . ودعا موسى كاظم فريقاً من الأعضاء الى البلدية وكنت أنا وابراهيم القاسم منهم وكان الرئيس عارف الدجاني ايضا من الحاضرين وقد احتشد في البلدية نحو نصف اعضاء المؤتمر البالغ عددهم جميعاً نحو اربعين وبعد ان حيا جبرائيل الحاضرين وشكرهم قال انه يرى الأفضل لمصلحة فلسطين ان لا يرتبط مصيرها بسورية وان تطلب الاستقلال لنفسها مع رفضها وعد بلفور ودعاوى اليهود كما تشاء فناقشته انا وابراهيم القاسم ويوسف العيسى وجبران كزما والشيخ راغب الدجاني وفندنا رأيه وقلنا له ان فلسطين دائماً في التاريخ والجغرافيا جزءاً من سورية ويجب ان تبقى كذلك في مصيرها ولكنه ظل يكرر اقواله وطلب من رئيس المؤتمر جمع جميع الأعضاء في جلسة واعادة النظر في الموقف وكان موقف موسى كاظم حيادياً وموقف عارف الدجاني ايجابياً وقد وعده هذا ببذل الجهد لعقد جلسة يحضرها هو ويخاطب الأعضاء برأيه وسارعنا نحن بعد انفصالنا الى دعوة بقية اعضاء المؤتمر الى جلسة عاجلة عقدناها برئاسة نائب الرئيس الشيخ سعيد الكرمي وقررنا فض المؤتمر خشية من تأثر فريق من الأعضاء بما يقوله حداد وبشخصيته التي كانت توهم صلتها الوثقى بفيصل وحدوث بلبلة وقررنا اذاعة بيان بانتهاء المؤتمر وانفضاضه وأضعنا بذلك الفرصة على جبرائيل حداد وعلى

عارف باشا ومن الجدير بالذكر ان جبرائيل حداد لم يذكر انه موفد من الأمير فيصل وكنا نعرف من أخبار الصحف ان الأمير فيصل كان في هذا الظرف في أوروبا حيث ذهب في آخر السنة للمطالبة بحق العرب وحق سورية بحدودها الطبيعية بالاستقلال التام .

نفقات وفدي باريس ودمشق

ولقد قدر المؤتمر لنفقات وفدي باريس ودمشق (٣٥٠٠) جنيه وزعها على مناطق فلسطين وكانت حصة منطقة نابلس (١٠٠٠) جنيه وقد بذلنا جهدنا ونجحنا في جمع هذا المبلغ وتعثر الجمع في اكثر المناطق كثيراً ولم يكد المجموع في المناطق الأخرى يبلغ ثلثي المفروض عليها .

منع السلطات سفرهما

وبعد انفضاض المؤتمر اخذ الوفدان يستعدان للسفر لمهمتهما وطلبنا من السلطات تسهيل ذلك ولكنها لم تفعل لأنها على ما يظهر لم ترتح للميثاق ولربط مصير فلسطين بمصير سورية لأنها كانت تخطط للانفراد في الهيمنة عليها وأبلغت وفد باريس ان مؤتمر السلام الآن مشغول في المسائل السياسية الكبرى وان وقته الآن لا يسمح باستقباله ومنعت وفد دمشق من السفر وكان الشيخ راغب ويوسف العيسى قد جاءا الى نابلس لنذهب معا بطريق جنين فصفد فالقنيطرة وهو الطريق السالك الممكن في هذا الظرف حيث ابلغنا مدير البوليس العسكري بالمنع وقال ان فيصلاً الآن في أوروبا ولقد كانت دمشق في هذه الأثناء جائشة بالحركة العربية الاستقلالية الوحدوية والرافضة لكل حماية ووصاية والمطالبة باستقلال سورية الطبيعية وفلسطين جزءاً منها ضمن وحدة عربية مستقلة فخشيت السلطات على ما يبدو من ان يندمج الوفد في ذلك ثم يعود فينقل ما رآه وسمعه من جيشان عربي .

شيء عن موسى كاظم الحسيني

ونذكر شيئاً عن موسى كاظم باشا الحسيني بمناسبة ورود اسمه وقد سمعت في صدد لقب الباشا انه كان متصرفا او وكيلا لمتصرف في زمن الدولة العثمانية فجاءه اللقب من هنا وهو طويل القامة وكان متقدماً في السن حينما قابلنا في بلدية القدس وهي المرة الأولى وتبدو عليه الطيبة والبساطة ولقد كان اخوه سليم رئيساً للبلدية قبله فحل محله بأمر من الحكومة العثمانية في أواخر عهدها ووقع احتلال القدس وهو في المنصب فسكت المحتلون عنه .

ومن المحتمل ان ذلك كان لانه لم يبد منه اي موقف ضدهم وانهم عرفوا ان لأسرته مكانة اجتماعية وسياسية فقد كان منصب الافتاء فيها وكان منها نائبا في المجلس النيابي العثماني وهو سعيد بك وكانت رئاسة البلدية فيها وحتى موسم النبي موسى نيسان ١٩٢٠ انقلب مهرجان المسلمين كالمعتاد الى مظاهرة وطنية تهتف بسقوط الانكليز ووعد بلفور ورفض الهجرة اليهودية نتيجة لما ذاع وشاع عن مطامع اليهود وورودهم وما بدا من نشاطهم وسارت المظاهرة في شوارع القدس حتى جاءت الى بناية البلدية وخرج اليها موسى كاظم وتحمس وألقى كلمة في المتظاهرين بارك فيها مظاهرتهم وأيد مطالبهم ثم سارت فوقفت في موقف آخر خطب فيه الحاج امين وعارف العارف خطبتين حماسيتين فزاد الحماس والهياج وادى الى اصطدام بين العرب واليهود والبوليس وهو اول اصطدام دموي في فلسطين واستاءت السلطات التي كانت انقلبت الى مدنية وقام على رأسها هربرت صموئيل اليهودي الانكليزي مندوباً سامياً فأقالته وعينت راغب النشاشيبي مكانه ومنذئذ صار راغب زعيم الموالين للسلطات الانكليزية وموسى كاظم زعيم الحركة الوطنية وقد بدأ بروزه في الزعامة الوطنية بنوع خاص في المؤتمر الذي عرف بالثالث والذي انعقد في حيفا في كانون الأول ١٩٢٠ بعد سقوط العهد الفيصلي للنظر في الموقف الجديد الذي صارت تواجهه فلسطين بعد هذا السقوط على ما سوف يأتي شرح اوفى له ، فقد اختير رئيساً للمؤتمر إبان انعقاده ثم اختير رئيساً للجنة التنفيذية التي انتخبها المؤتمر ثم استمرت رئاسته التلقائية للمؤتمرات الرابع والخامس والسادس وللجانها التنفيذية وترأس الوفد الأول الفلسطيني الذي قرر ايفاده المؤتمر الرابع الى لندن والوفد الثاني الذي قرر ايفاده المؤتمر السادس والوفد الثالث الذي قررت ايفاده اللجنة التنفيذية للمؤتمر السابع ولم يكن ذا حزم كاف لضبط الجلسات والمداولات ولم يكن يحسن الخطاب ولا الكلام المنمق الطويل وكان صافي القلب والسريرة مخلصاً في وطنيته وكان وقار شيخوخته وطيبته وبساطته وعدم عنفه مما جعل الناس يحبونه ويحترمونه . ولقد قررت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السابع اقامة مظاهرات بدون ترخيص في سنة ٩٣٣ حينما اشتد تدفق الهجرة ونكثت الحكومة الانكليزية بوعودها بوقفها على ما نشرحه بعد فكان في طليعة الذين مشوا فيها في القدس مع قسم كبير من اعضاء اللجنة اولاً ثم في يافا ثانياً . وقد وقع في اثناء مظاهرة القدس نتيجة لما كان من زحام وصدام بين المتظاهرين والبوليس واصابه شج صغير في جبهته ولقد توافد اعضاء اللجنة الى بيته بعد مظاهرة القدس وقرروا متابعة تنفيذ قرارهم واقامة مظاهرة ثانية في يافا فكان من الموافقين رغم ما تعرض له في مظاهرة القدس وجاء الى يافا في الموعد المحدد ومشى في طليعتها وكان فيها اصطدام دموي كبير وفي سنة ٩٣٤ توفي مودعا باحترام الشعب واجلاله رحمة الله عليه .

ولم تكن صلتي به حميمة لفارق السن الكبير . ولكني كنت التقي به كثيراً او اتحدث معه

في اجتماعاتنا المشتركة في المؤتمرات واللجان التنفيذية وكنت اكن له محبة واحترام لسلامة نيته وطيبة قلبه وصافي وطنيته وكنت اشعر انه كان يبادلني ذلك .

شيء عن راغب النشاشيبي ومواقفه وسيرته

والمناسبة تجر الى ذكر شيء عن راغب النشاشيبي ولقد كان نائباً في المجلس العثماني واظن انه احتفظ بنيابته الى آخر العهد العثماني وهذا يفيد انه كان له ولأسرته بدورهما بروز ومكانة اجتماعية وشعبية ومن المحتمل ان يكون بين الأسرتين الحسينية والنشاشيبية تنافس في ذلك العهد وهذا مألوف بين الأسر البارزة ولا سيما في مناسبات الانتخابات التي كانت تقع في ذلك العهد وان يكون الانكليز اختاروه لهذه الأسباب جميعها وقد رجحنا وجود هذا التنافس بين الأسرتين في ما كان من مسارعة شباب النشاشيبيين وانصارهم الى انشاء المنتدى الأدبي حينما رأوا شباب الحسينيين وانصارهم ينشئون النادي العربي وأول مرة التقيت به كانت بعد مؤتمر القدس ببضعة اشهر وقبيل قدوم لجنة الاستفتاء الاميركية في أواخر مارس ٩١٩ . حيث زرته أنا والدكتورحافظ كنعان لأجل اقناعه بالتزام الميثاق الوطني امام اللجنة وتغدينا عنده ثم التقيت به مرارا في مناسبات وظروف مختلفة ولقد بدا كما في اللقاء الأول انه ذكي المعشر حسن الكلام والسمت يميل الى التنكيت وكان يعيش عيشة مترفة حيث يدل هذا على انه كان ميسور الحال . وكان يعارض ربط مصير فلسطين بسورية ولكنا استطعنا اقناعه بالتزام الميثاق على ما سوف يأتي شرح اوفى له . ولعل موقفه هذا كان من مظاهر التنافس المذكور لأن الحسينيين كانوا وحدويين متجهين نحو دمشق على ما ذكرناه قبل ومنذ ان صار رئيساً للبلدة وصار موسى كاظم زعيماً للحركة الوطنية ثم صار الحاج امين مفتياً ورئيساً للمجلس الاسلامي الأعلى وكل هذا تم في ظروف متقاربة خلال سنة ترسم معارضتها بما يقومان به من نشاط في مجالي الحركة الوطنية والمجلس الاسلامي ولا سيما ان الحاج امين لم يكن يحصر نشاطه في نطاق الأوقاف والمساجد والمحاكم التي كان اشرافها للمجلس بل كان يتعدى ذلك ليشغل جزءاً كبيراً أساسياً واجتماعياً داخل فلسطين وفي بلاد العرب والاسلام معا وكان يترشح ليكون الزعيم الحقيقي للحركة الوطنية في فلسطين . وقد حشد حول كتلته من رؤساء البلديات ورجال المال والأعمال والملاك الذين كانت تحفزهم مصالحهم ليكونوا موالين للسلطات وكان منهم من له علاقات باليهود ايضا . وهكذا أقام بزعامته ما سمي بالمعارضة التي كان اسمها مفارقة ساخرة لانها معارضة للحركة الوطنية المناوئة للاستعمار والصهيونية وموالية بالنتيجة للسلطة القائمة التي كانت انكليزية استعمارية صهيونية واستمر هو وكتلته في هذا الخط حتى النهاية وسجل على نفسه وكتلته مواقف عديدة فيها انحراف وشذوذ عن الخط الوطني السليم والمصلحة القومية

وضرور لها . ومن انكر هذه المواقف ابراقه مع آخرين من كتلته الى لندن بأن الوفد العربي الذي أوفده المؤتمر الرابع في سنة ٩٢١ برئاسة موسى كاظم غير ممثل للشعب العربي تمثيلاً كاملاً ومن ذلك دعوته الى مؤتمر مناوىء للمؤتمر الوطني وتبنيه في هذا المؤتمر مع كتلته فكرة المسايرة والتساهل في المطالب.وكان موقفه هذا في سنة ٩٢٢.بعد ان نجحت الحركة الوطنية في احباط تنفيذ الدستور القائم على صك الانتداب ووعد بلفور واقامة مجلس تشريعي انتخابي.قابل بذلك، وكان هذا المؤتمر شاقاً للحركة الوطنية مضعضعاً لها، تبرزمن ورائه الأصابع الأنكليزية واليهودية وكان يتظاهر هو وكتلته في معارضة الأهداف اليهودية ولكن لم يقفوا في وجهها موقفاً جاداً وكان كثير من كتلته كما قلنا ذوي علاقات باليهود سمسرة وبيع اراضي وتبادل مصالح وكان يتظاهر مع كتلته في معارضة الحاج امين والمجلس الاسلامي ويبثون الدعاية ضد تصرفات الحاج امين فيه ويسمون انفسهم معارضين بسبب ذلك ولكن هذا لم يكن ليخفي ما كان من مواقفهم الشاذة ضد الحركة الوطنية . ومن المواقف الشاذة التي تسجل عليه وعلى كتلته موقفهم حينما انعقد المؤتمر الاسلامي العام الذي دعا اليه الحاج امين والذي كان يهدف الى اشراك العالم الاسلامي في قضية فلسطين الذي استجاب للدعوة اليه أقطاب بارزون من مختلف البلاد العربية والاسلامية في كانون الأول ٩٣١ حيث وقف هو وكتلته يشوشون ويشاغبون على المؤتمر والحاج امين عبره ويعطون اسوأ انطباع عن التضامن العربي الفلسطيني في سبيل قضية فلسطين العامة .

ولقد اندمجت كتلة المعارضة في المؤتمر السابع الذي انعقد في سنة ٩٢٧ وفي لجنته التنفيذية ولكن ما حتموا ان صاروا يشذون عن النهج المقرر ويعرقلون خطط اللجنة .

ولما اعلنت فلسطين اضرابها الطويل سنة ٩٣٦ واندمج فيه وفي اللجان القومية جميع الفئات والأحزاب اندمج راغب وكتلته وانصارهم ايضا ودخل هو فيها مثلا عن حزب الدفاع الذي انشأه قبل ذلك ولكنه لم يكف عن التشويش والشذوذ . وكان منذ الأصل وثق هو وكتلته صلاتهم بالأمير عبد الله الذي كان يصطنع سياسة المسايرة مع الانكليز ودعوة الفلسطينيين اليها على ما سوف يأتي شرحه وكان هو وكتلته يتلقون دائماً توجيهات الأمير ويسيران فيها ولقد كان الأمير نتيجة لسياسته المذكورة ينتقد الحاج امين ورجال الحركة الوطنية لما كان يزعمه من تطرفهم في المواقف والمطالب فكان ذلك مما جمع ووثق بين الأمير وراغب وكتلته ايضا ولقد انشأنا حزب الاستقلال لمواجهة الانكليز بالعداء والمواقف بدون مواربة ومع ان ذلك أثار الحاج امين على ما ذكرناه في كلمتنا عنه فقد كان راغب وكتلته معارضين ايضا للحزب مما فيه دلالة خاصة على اصالة خطه وخط كتلته الذي نوهنا به . ولقد توافق الأمير مع لجنة التحقيق الملكية على انشاء دولة لليهود في فلسطين وضم باقيها لامارته فأوعز لراغب بالانسحاب من اللجنة

العربية العليا حتى لا يرتبط بالرفض المؤكد لذلك من قبل اللجنة ففعل وظل خارجا عنها يشوش عليها ويعرقل مساعيها . ولما انفجرت الثورة من جديد في أواخر سنة ٩٣٧ وعزلت السلطات الحاج امين وحاصرته في الحرم وحلت اللجان القومية واعتقلت كثيرا من رجالها واعتقلت ونفت ما استطاعت من اعضاء اللجنة العليا تقدم للميدان بحجة املاء الفراغ السياسي ولكن جماهير الشعب ابت الانخداع والانصياع واعتبرته مع كتلته حلفاء للانكليز واليهود وتجهمت لهم حتى اضطر كثير منهم الى الفرار من فلسطين وهو من الجملة حيث ظل خارج فلسطين الى ان اندلعت الحرب العالمية الثانية وهدأت الثورة فعاد وسيأتي كلام كثير آخر عنه من مناسبات عديدة آتية .

ولم يكن بيننا وبينه علاقة حميمة او سيئة او حسنة وكانت لنا لقاءات عابرة ولقاءات عمل ومصلحة ولم يكن احد منا يشعر نحو الآخر بود او استلطاف وننبه على ان ما كتبناه وسوف نكتبه عنه مشهور معروف وليس من وحي ذلك .

ونعود الى سياق ظروف المؤتمر فنقول اننا اثناء وجودنا في القدس كنا نتردد على النادي العربي وعلى المنتدى الأدبي ولم يكن هذا ظاهر الشذوذ عن الخط الوطني ونلتقي بشباب الناديين ونتعرف عليهم .

تعارفنا مع اسحق درويش وشيء عنه

وممن تعرفنا عليهم اسحق درويش وهو ابن اخت الحاج امين واصله ارناؤوطي كان جده جاء متسلما للقدس ثم استوطنها واستعرب هو وأولاده وتزوج والده باخت الحاج امين وكادوا يصبحون فرعاً من الأسرة الحسينية وقد بدا لنا اسحق شابا متزنا ولينا ودمثاً شديد التمسك بالقومية العربية وبالخط الوطني القويم وكان من اقوى مساعدي الحاج امين حتى انه لقب حينما صار الحاج امين رئيسا للمجلس الاسلامي وعظم شأنه بلقب (أبي بكر) وظل هذا لقبه الذي يعرفه الناس وينادونه به بدون حرج وقد انعقدت الصداقة الحميمة بيني وبينه وكان من جيلي وأسن قليلاً من الحاج امين وقد تولى مديرية مدرسة روضة المعارف وصرت بعد قليل مديرا لمدرسة النجاح في نابلس فكثرت اتصالاتنا وتعاونا عبر ذلك ايضا وكنت حينما ازور القدس اثناء ذلك انزل في بيته بطلب والحاح منه ويبذل جهده في حسن ضيافتي . . وظللنا نتعاون في المواقف والأحداث الوطنية المتنوعة ثم اشتغل في المجلس الاسلامي مديراً لمدرسة الايتام ومفتشا لمدارس الأوقاف التابعة للمجلس وكنت انتقلت انا الى مأمورية اوقاف نابلس ثم الى مديرية الأوقاف العامة في القدس فالتقينا معا في مجال المجلس . . ولما خرج الحاج امين من

فلسطين في سنة ٩٣٧ مفلتا من الحصار الذي ضربه عليه الانكليز كما ذكرنا قبلاً وأقام في جبل لبنان شبه لاجىء انضم اليه وكنت انا في دمشق واتردد من آن لآخر على الحاج امين فالتقي به ونجدذ عهدنا وتواثقنا وتعاونا . ولما غادر الحاج امين لبنان بعد نشوب الحرب العالمية الثانية الى العراق ذهب معه ولما اخفقت ثورة رشيد عالي الكيلاني وتفرق الشمل جاء هو الى دمشق وذهبنا معا لاجئين الى تركية . وقد اخرجته تركية الى أوروبا فانضم الى الحاج امين الذي كان فلت من مطاردة الانكليز واستطاع ان يسافر اليها ولما عاد الحاج امين من اوروبا الى مصر عاد هو الآخر وصار عضواً في الهيأة العربية العليا وكنا زملاء متعاونين فيها وانتقل الحاج الى سورية فانتقل معه ايضا . وظل الى أن وقعت النكبة فأقام قليلاً مع الحاج امين ثم ذهب الى القدس التي كانت تحت سلطة شرق الأردن واقام بها . ولما كانت نكبة حزيران ٩٦٧ بقي فيها ونشط مع من نشط من رجال القدس وفلسطين سياسيا في سبيل الدفاع والمقاومة وكان يأتي احيانا لسورية وبيروت ونلتقي به ونجدد عهد صداقتنا وظل على خطه القويم واتزانه ووعيه الى أن توفاه الله سنة ١٩٧٤ رحمة الله عليه .

ومن عجائب الصدف انه توفي ثاني يوم وفاة الحاج أمين متأثراً بوفاه خاله وصديقه الحميم ولقد اخذ يستعد للسفر الى بيروت لحضور موكب دفن خاله وفي المساء شعر بالتعب وما لبث ان توفي .

تعارفنا مع الشيخ حسن ابو السعود وشيء عنه

وممن تعرفنا بهم الشيخ حسن ابو السعود وكان شابا ذكيا نشيطا زلق اللسان يحسن الخطابة ولا بأس في معارفه التاريخية والأدبية وقوي مع الزمن في العلوم الدينية والفقهية والشؤون التاريخية والاجتماعية ايضا وكان من أقوى اعضاء ومساعدي الحاج امين وقد تصادقنا وتواثقنا ولكن صداقتنا لم تكن حميمة دافئة كما كانت مع اسحق وقد تعاونا في مختلف المواقف والمناسبات والظروف . ولما كبر وقام المجلس الاسلامي الأعلى صار مفتياً للشافعية في القدس ثم صار مفتشاً للمحاكم الشرعية وكان مستقيم السيرة وطاهر اليد . ولما خرج الحاج امين من فلسطين سنة ١٩٣٧ الى لبنان انضم اليه ولازمه وذهب معه الى العراق ولما تفرق الشمل جاء الى دمشق وذهبنا معا الى تركيا . ولما ذهب الحاج الى أوروبا انضم اليه ثم عاد الى مصر حينما عاد الحاج . وصار عضواً في الهيئة العربية العليا ولما خرج الحاج من مصر الى بيروت جاء معه وظل الى جانبه الى ان توفي في سنة ١٩٦٠ وظل على خطه الوطني القومي الاستقلالي الاسلامي مع تأييده القوي للحاج امين الى ان مات رحمة الله عليه وسيأتي كلام عنه في مناسبات آتية .

تعارفنا مع فخري الحسيني وشيء عنه

وتعرفنا على فخري الحسيني اخي الحاج وكان اسن منه قليلاً وكـان دمثاً ولكنـه لم يكن شديد النشاط في الحركة السياسية والوطنيـة وقد كـان درس الحقوق في الأستـانة فـاشتغل في المحاماة ولم تكن صلتنا به حميمة ومتواصلة . ولكنا كنا نلتقي ونتبادل المحبة والاحترام واظن انه توفي في الأربعينات رحمة الله عليه .

تعارفنا مع فخري النشاشيبي وشيء عنه

وتعرفنا على فخري النشاشيبي الذي كان لولب المنتدى الأدبي وكان شابا ذكيا جدا نشيطا جدا زلق اللسان سمح اليد مرحا مترفا في حياته ومعاشراته ومع ان المنتدى كان كالنادي العربي يتظاهر بالعروبة والاستقلال ومناوأة الصهيونية الا انه لم يكن يـوحي بصدق اللهجـة كما هي الحال بالنسبة للنادي العربي وقد كان ملموحاً بقوة انه قام للمنافسة او التناظـر للنادي العربي وكما كان لولب المنتدى الأدبي طيلة قيامه صار لولب كتلة المعارضة التي قـامت بزعـامة راغب شديد النشاط في مجالها وكانت له مواقف تثير الريب اكثر من راغب ورجال كتلته حتى صار ثابتاً منها انه كان او صار عميلاً للانكليز ولليهود معا . وان مواقفه هذه كانت بوحي من هؤلاء أو أولئك وكان من مواقفه القوية حملة التشويش على المؤتمر الاسلامي العام الذي ذكرناه في سياق سابق وكان من مواقفه مذكرة قدمها اثناء ثورة سنة ٩٣٧ ـ ٩٣٩ اعلن فيها تأييد قـرار اللجنة الملكية وحمل فيها على الحركة والثـورة العربيـة الفلسطينيـة وعلى الحـاج امين ثم انشـأ كتائب لمحاربة الثورة بمال الانكليز واليهود وسلاحهم ولقـد غـلا في انحرافاته ومـواقفه هـذه حتى اضطر راغب النشاشيبي الى التنصل منها اثنـاء الثورة . وقـد ذهب الى العراق في سنـة ٩٣٩ فتعقبه احد الوطنيين الفلسطينيين واغتاله غفر الله له وسيأتي كلام كثير عنه .

وقد كنا نلتقي به مراراً ولكن كلامنا كان على حذر وريب من صاحبه ولم يشعر احد منا نحو الآخر بود او استلطاف وما كتبناه وما سوف نكتبه عنـه مشهور معـروف وليس من وحي ذلك ايضا .

تعارفنا بحسن صدقي الدجاني وشيء عنه

وممن تعرفنا عليهم حسن صدقي الدجاني الداوودي وكان هو الآخر شابا نشيطا ذكيا زلق اللسان ومن اركان المنتدى الأدبي واظن انه نال فيها بعد اجازة بالحقوق من معهد حقوق القدس وصار محامياً وصار حسن الثقافة ملما بالانكليزية والأفرنسية وكان يحسن الكتابة بالعربية فكان

يكتب بالصحف مقالات متنوعة في الأحداث الجارية منها الحماسي الصواب ومنها المتناقض مع ذلك ويرد لذاكرتي انه اصدر لفترة ما جريدة (القدس الشريف) سارت على نفس الخط وحينما برز الحاج امين الحسيني زعيما كبيرا وطنيا واسلاميا صار من مناوئيه مع شيء من الرجرجة او التقلب احيانا وحينما جاءت لجنة الاستفتاء الاميركية في مارس ١٩١٩ كان شاذا عن المنهج الوطني المتفق عليه حيث دعا الى الوصاية الأفرنسية التي كانت الدعوة اليها محصورة في بعض جماعات من الطوائف المسيحية الكاثوليكية التي كانت تتحرك بتوجيه من فرنسا او بسابق ما كان لهذه من دعوى حماية المسيحية الكاثوليك في الشرق وليس عندي ما يثبت ان حسن صدقي كان يسير بتأثير الدعاية الأفرنسية وهو طموح للبروز والزعامة وغالباً ما كانت معارضته او شذوذه منطلقا من هذا الاعتبار وكان يبدو احيانا متحمسا في الحركة الوطنية ثم يترجرج ولقد اندمج في حركة الأضراب الطويل في سنة ٩٣٦ وكانت له مواقف حماسية فيها واعتقل في صرفند مع من اعتقل وكان اثناء الاعتقال متحمساً مندمجاً في المطالب الوطنية وظل على ذلك بعد خروجه من الاعتقال ولما جاءت اللجنة الملكية في اعقاب الاضراب ساقه طموحه للبروز الى ان لا يكتفي بما كان من شهادات ومذكرات اللجنة العربية العليا حيث احب ان يسجل لنفسه بروزا كما فعل الآخرون ايضا فتقدم للشهادة امامها وقدم مذكرة فيها مع ذلك ترديد للمطالب والحقوق الوطنية ولما انفجرت الثورة في اواخر سنة ٩٣٧ واستمرت سنتي ٩٣٨ أو٩٣٩ سلك موقف المتحفظ او المتردد اسوة بكثيرين وان لم يناوئها صراحة كما فعل بعض اركان المعارضة ولكنه مع ذلك قدم مذكرات للجنة التقسيم فيها ترديد للمطالب العربية وقدم مذكرات للحكومة طلب منها اطلاق سراح المنفيين والمعتقلين والتخفيض من اجراءات القمع كسبيل لتهدأة الثورة ولقد اغتيل في اواخر سنة ٩٣٨ ونسب اغتياله للحاج امين وايعازه بل بعضهم يشركني في ذلك ويشهد الله على انه لم يكن لي علم بذلك فضلا عن يد واستبعد جدا ان يكون للحاج امين علم او يد وقد سمعت توكيد ذلك وهو لم يكن مناوئا صريحا للثورة ولا للحاج امين بل وكان له مواقف ايجابية اثناءها وأثناء الاضراب على ما ذكرته قبل وكل هذا يجعلني استبعد ان يكون اغتياله عملاً ثوريا واعتقد ان لذلك أسبابا خاصة او شخصية ربما كانت الثورة تغطية لها . رحمه الله وغفر له . وسيأتي كلام كثير عنه في المذكرات والتسجيلات الآتية ولقد كنا نلتقي كثيرا ولكن صلتنا لم تكن حميمة وحسنة ولم يكن احد منا يشعر نحو الآخر بود او استلطاف ولكن هذا لم يمنعنا من التجاذب والتحاور والتعاون احيانا . وستأتي تفصيلات وتسجيلات عنه في ثنايا تسجيلاتنا الآتية .

تعارفنا باسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني ومكانتهما بين الشباب في ظروف المؤتمر

وكان في القدس في ظروف إنعقاد المؤتمر شخصيتان ادبيتان هما اسعاف النشاشيبي

وخليل السكاكيني وقد تعرفنا عليهما في سفرتنا هذه وظلت صلتنا بهما مستمرة وحسنة وكانا يترددان على النادي العربي والمنتدى الأدبي معا ويتحلق عليهما شباب الناديين وغيرهم وكانا اسن من هؤلاء الشباب ومنا بعض الشيء وكانا يبدوان حياديين ازاء التنافس الملموح بين الناديين وشبابهما وكانا قوميين استقلاليين وحدويين فكان أدبهما وصفاتهما هذه مما يكسبهما احتراما وكان كل منهما يحسن الحديث وذا روح مرحة ونكات طريفة فكان هذا مما يشد الشباب اليهما وكانا واسعي المعرفة والأفق مع اختلاف في الأسلوب .

شيء عن اسعاف النشاشيبي

حيث كان اسعاف فصيحا فصاحة جاهلية ان صح التعبير مع عدم التقعر المنفر ولا يتكلم الا الفصحى وهو ذو اطلاع واسع خاصة على الأدب العربي والتاريخ العربي القديم الى حد الادهاش والاعجاز وكان جيد الالقاء قوي النبرة وكان شاعرا ولكنه مقلّ . وكان شديد الانبهار بالقرآن الكريم واعجازه وبالنبي العربي محمد ﷺ وعبقريته مع انه كان في ذلك الوقت ملحداً إيماناً وكان له كتابات بليغة وكان انشاؤه اشبه بالشعر المنثور منه بالنثر المرسل حتى ليصح ان يعد رائداً لهذا الشعر واني لمستغرب من عدم ذكر مؤرخي الأدب العربي اسمه في عداد رواد هذا الشعر ولقد كان شعره المنثور جميلا نافذا اخاذا بليغا في سبكه ونبرته وتقطيعاته ومعانيه وليس من نوع تلك الغثاثات ورصف الكلمات الضبابية المزوقة السابحة في الأوهام بدون معان واقعية ولا فطامية مفهومة التي كادت تكون سمة هذا الشعر اليوم وكان يخطب خطبا بليغة بنفس الأسلوب ويحرص على ان تظل خطبه وكتاباته وشعره فصيحة جاهلية لغة بدون تقعر منفر وقد جمعت بعض خطبه ومقالاته ورسائله وطبعت وهي تثير الدهشة والاعجاب بفصاحتها واسلوبها الشعري النافذ . وله كتاب اسمه (قلب عربي وعقل غربي) يشرح فيه رأيه في وجوب الاستغراب اي اخذ ما عند الغرب من فنون وعلوم وصنائع ووسائل واجهزة وانظمة مع الاحتفاظ على كل مظاهر وخصائص وروح العروبة وله كتب مطبوعة اخرى اطلعت عليها منها (نقل الأديب) وهو نصوص عربية قديمة قصيرة فيها نوادر وأمثال بليغة الأسلوب والمغزى ورسالة (سيرة العلم وسيرتنا معه) وهي قصيرة بليغة في التنويه والعلم ووجوب الاقبال عليه ورسالة قصيرة بليغة بعنوان كلمة في اللغة العربية فيها تنويه عظيم بهذه اللغة وكتاب بعنوان البستان للقراءة العربية في المدارس فيه نصوص عربية قديمة بليغة وحكيمة ولقد كان شديد التعلق والتنويه خاصة بالشعراء المتنبي وأبي تمام والبحتري القدماء وبالشاعر المصري الحديث الموصوف بأمير الشعراء (أحمد شوقي) وقد سمعته يرثي هذا حينما مات في قاعة روضة المعارف سنة ٩٣٢ فيما اظن بخطبة مستفيضة بأسلوبه الشعري النثري البليغ فيها تفجع على الراحل وتنويه بشاعريته وعبقريته .

وبالمناسبة اقول اني سمعته يخطب بنفس الأسلوب في نابلس خطبة بليغة في عظمة القرآن وعبقرية محمد وكان يخطب بنبرة قوية كالصراخ وقد انفعل حتى كاد يغمى عليه ودُعيَ الى رثاء الشيخ مصطفى الغلاييني في بيروت فكانت له خطبة بليغة بنفس الأسلوب .

وكان قصير القامة مصاب بعينيه ووجهه متجعد وكان في الظروف التي التقينا به فيه زري الهيأة زري الثياب شديد الفاقة حتى ليصدق عليه المثل (لأن تسمع بالمعيدي خير من ان تراه ولكنه اذا تكلم شغل سامعه عن هيأته وحالته) وما سمعناه ان أباه عثمان كان ميسوراً ولكنه تبرأ منه وامسك عنه لالحاده الذي كان لا يتورع في شبابه ان يعلنه صراحة ولما استقر حكم الانتداب المدني عينته دائرة المعارف مفتشاً للغة العربية في مدارسها فتحسنت حالته وهيأته ثم مات أبوه فورث عنه ارثا كبيرا وقد انشأ دارة (فيللا) جميلة في الشيخ جراح واقتنى سيارة وانشأ في الدارة مكتبة ضخمة وصارت ملتقى العلماء والأدباء وكان سمح اليد مضيافا وقد كتب في الأربعينات كتابا اسماه (الاسلام الصحيح) وهو كتاب ينم عن فهم عميق للاسلام وروحه ومبادئه حيث يمكن ان يدل على انه صحح عقيدته وعاد مسلما صادقا وقد توج ذلك في اواخر عمره بوضع عمة بيضاء على رأسه وجبة سوداء على جسمه واطلق دقنه . وقد رأيته لآخر مرة في مصر على هذه الهيأة سنة ٩٤٧ ثم ما لبث ان توفاه الله رحمة الله عليه وغفر له . وكان اهتمامه بالأدب والعلم اشد من اهتمامه بالسياسة بل لم يسجل نشاطا في مجالها مع احتفاظه بخط استقلالي وحدوي واخلاصه للقضية الفلسطينية وحقده على فخري وراغب لما كانا عليه من شذوذ في ذلك .

وقد التقينا به مرارا بعد المؤتمر في نابلس وفي القدس وكنا نزوره في دارته ويدعونا لضيافته وندواته مع ضيوفه الذين كان يستضيفهم وبكلمة اخرى كانت صلتنا به حسنة سوية وان لم تكن حميمة .

شيء عن خليل السكاكيني

اما خليل السكاكيني فكانت هيأته احسن جسما ولباسا واسلوبه رشيق بليغ ولكنه غير جاهلي وبدا لي حين التقيت به واسع الأفق والاطلاع متزناً راجح العقل حسن الكلام عروبياً استقلالياً حر النزعة وحدوياً تجديدياً اصلاحياً مع روح مرحة وهو اسن مني بعشر سنين او اكثر وقد رحل في شبابه الى انكلترا وأميركا للعلم والكسب وصار يجيد الانكليزية بالاضافة الى العربية وعقب اعلان الدستور العثماني عاد الى فلسطين واشتغل في الصحافة والتعليم وكان له نشاط في مجال حقوق الطائفة مع التنبيه على انه غير متزمت طائفيا وأسس مدرسة سماها

المدرسة الدستورية وفتحها لجميع ابناء الطوائف ومنع فيها المظاهر الطائفية ومنح طلابها الحرية فكان عمله فريدا وعمل في لجنة المعارف ثم في الكلية الصلاحية التي انشأها جمال باشا في القدس واعتقلته السلطات اثناء الحرب بتهمة ايوائه يهودي متهم بالجاسوسية وارسلته مخفور الى دمشق وقد استطاع ان يفلت بتدخل بعض اصدقائه ثم يخرج متخفياً من دمشق للانضمام الى جبهة الأمير فيصل في انحاء العقبة ونظم نشيدا له امامه حينها وصل وصار مشهورا .

أيها المولى العظيم فخر كل العرب
ملكك الملك الفخيم ملك جدك النبي
نحو هذا الملك سيروا قبل فوت الزمن
وعلى الخصم اغيروا لخلاص الوطن

ودخل مع فيصل لدمشق ثم عاد في أوائل سنة ١٩١٨ والتقينا به في هذا الظرف وقد اشتغل هو الآخر في دائرة المعارف بعد استقرار الحكم الانتدابي المدني فترات استقال وعاد ثم استقال وعاد ثم استقال وفي سنتي ٩٢٣ و ٩٢٤ كان مستقيلا فاشتغل في السياسة وصار سكرتير اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي وتعاونا معه في مجالها لأني كنت انا عضواً فيها وكان اثناء ذلك يشتغل في الصحافة ويكتب المقالات ويلقي المحاضرات العلمية والأدبية والاجتماعية والوطنية وكان يكتب يوميات عن حياته وكتب وصية طريفة وكان له موقف في المؤتمر السابع حيث ثارت نعرة اسلامية مسيحية في صدد التمثيل الطائفي في المؤتمر واللجنة التنفيذية وكان مثيرها عضو نصراني في المؤتمر فوقف السكاكيني شاجبا له متنصلا منها على ما سوف نشرحه بعد وصار في سنة ٩٣١ مديراً لمكتب اللجنة التنفيذية لهذا المؤتمر وكنت عضوا في لجنته التنفيذية فتعاونا في نطاقها وكان شاعرا رقيقا بالاضافة الى كونه ناثراً بليغا ورشيقا وله مأثورات شعرية من جملتها قصيدة او نشيد مشهور مطلعه :

نحن قوم ابينا لا نقر الأذى فينا
لا نبالي منايانا في سبيل امانينا

وله كتب عديدة مطبوعة ومخطوطة مدرسية وتاريخية وتربوية واجتماعية وقد ذهب هو واسرته الى مصر في اوائل الخمسينات وفجع فيها بموت ابنه ووحيده بعد ان فجع في القدس بزوجته ثم لم يلبث ان لحق بهما سنة ١٩٥٣ وكانت صلاتي به حسنة وكنت اتبادل معه شعور الود والاحترام دون صداقة حميمة .

*** **

(١١)

لجنة الاستفتاء في فلسطين وسورية والمؤتمر السوري العام وجمعية الفتاة

بعد ان رتب الأمير فيصل شؤون حكومته في سورية سافر في نصف تشرين الثاني ١٩١٨ الى أوروبا ليمثل والده في مؤتمر السلم كحليف من الحلفاء وليبسط امامه قضية العرب ويطالب بخاصة باستقلال سورية ووحدتها .

محاولات فرنسة انطلاقاً من مطامعها في سورية يمنع فيصل من تمثيل والده والكلام بصدد سورية

وكانت فرنسا انطلاقاً من علاقاتها التي انشأتها منذ القديم في لبنان ومع النصارى بخاصة مع الموارنة . ومن مطامعها في السيطرة على سورية ولبنان معا ومن الاتفاقية السرية التي عقدتها مع بريطانيا وروسية ثم تبنتها مع بريطانية بعد خروج روسية من الحرب والتي جعلت سورية ولبنان تحت هيمنتها المباشرة وغير المباشرة على ما ذكرناه ، قبل ان تعرف ان فيصل سيقف موقفاً معرقلاً لذلك ، فترسمت أولاً ان تقصيه عن المؤتمر وتمنع تمثيل الحجاز فيه . ولقد استقبلته كأمير حجازي ورحبت به ورتبت له رحلة في انحاء فرنسا لتبعده عن باريس اثناء انعقاد مؤتمر السلم وشعر هو ورجاله بذلك فطلب الذهاب الى باريس لمقابلة رئيس الجمهورية فكان لا بد من الاستجابة لطلبه .

مداخلة بريطانية وتثبيت تمثيله الحجاز وبسط فيصل للقضية

وشعرت بريطانيا بقصد فرنسا إبعاد الأمير عن المؤتمر ومنع تمثيل الحجاز عنه فبذلت جهدها لتثبيت ذلك ونجحت وتقرر ان يكون للحجاز ممثلان وصار الأمير هو الأول وكان الثاني محمد رستم حيدر أحد شباب الحركة العربية وجمعية الفتاة البارزين وكان عوني عبد الهادي احدهم ايضاً في باريس فعينه الأمير سكرتيراً له ، وفي جلسة المؤتمر الرسمية ، وقف الأمير فبسط القضية العربية وذكر فيما ذكر امجاد العرب وحضارتهم ويقظتهم الحديثة في سبيل احياء تلك الأمجاد وجهادهم في زمن الدولة العثمانية وما قاساه رجال الحركة من مطاردة واضطهاد وما كان من اتفاق والده مع بريطانيا على الثورة عليها مقابل عهد باستقلال وحرية العرب في البلاد التي تتحرر من الدولة وما كان من جهادهم وتضحياتهم واسهامهم في النصر الذي احرزه الحلفاء وفي تحرير بلاد الشام بخاصة من الدولة العثمانية وذكر ما كان يعلنه الحلفاء من مقصد تحرير الشعوب

ومنحها حق تقرير مصيرها ومبادىء ولسون التي اعلن الحلفاء قبولها والتي تقرر ذلك وتنكر الاتفاقات والدعوة السرية التي عقدت اثناء الحرب بسبيل تحقيق المطامع الاستعمارية وتؤيد الشعوب وبخاصة الشعوب العربية في مطامعها وحقها في تقرير مصيرها . ثم اختص سورية بالكلام فطلب الاعتراف باستقلالها ووحدتها وذكر ما كان من حركتها الوطنية في سبيل ذلك وما قدمته من ضحايا وشهداء .

انكار فرنسا عليه حق الكلام عن سورية واستعانتها بشكري غانم وآخرين من الموارنة

وانبرى مندوب فرنسا لانكار حق فيصل بالكلام عن سورية والادعاء بأن فرنسا هي المؤهلة لذلك نظرا لوشائجها ومصالحها . وقد جيء بشكري غانم وبعض زعماء الموارنة لتأييد اقوال المندوب الافرنسي .

محاولة استعانتها على ذلك بجميل مردم

وحاولت الحكومة الافرنسية تقديم دمشقي مسلم للمؤتمر لتأييدها واتصلت بجميل مردم بك الذي كان في باريس وكان هذا منتسباً لجمعية الفتاة فاتصل به رفاقه مع رفاق فيصل ووفده وحذروه واحبطوا تلك المحاولة .

اقتراح ويلسون بايفاد بعثة استفتاء لمعرفة رغائب اهل البلاد

ونتيجة للموقف المتخالف بن فرنسا وفيصل وما كان من شرح فيصل للقضية والتذكير بمبادىء ويلسون اقترح هذا ايفاد بعثة تمثل الدول الرئيسية للحلفاء التي كان يتألف منها مؤتمر السلم (الأعلى) وهي فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة وايطاليا للوقوف على رغبات ومطالب اهل البلاد وكان اقتراحا مفحما لفرنسة وبريطانيا معا ولا سيا انهما بالاضافة الى قبولهما مبادىء ويلسون وشروطه كانتا اصدرتا بيانا نشر في جميع بلاد الشام والعراق بتاريخ ٨ تشرين الثاني ٩١٨ تعلنان انهما لا مآرب لهما في هذه البلاد وليس لهما من قصد الا مساعدتها على الاستقلال والحكم وفقا لرغائب اهلها على ما ذكرناه قبلاً فوافقتا على الاقتراح ووافقت ايطالية كذلك وعين ويلسون ممثلي الولايات المتحدة اما الدول الثلاث فأخذت تتلكأ وتسوّف وحينئذ امر ويلسون ممثليه بالذهاب دون انتظار والقيام بالمهمة وكان اسمهما كينغ وكراين فعرفت اللجنة الاميركية باسميهما .

عودة فيصل مبشرا داعيا للاستعداد لمواجهة اللجنة وتقرير عقد مؤتمر سوري عام وتبليغ فلسطين بذلك

واعتبر فيصل ووفده ذلك نصرا وعادوا الى سورية مستبشرين مبشرين طالبين من الناس الاستعداد لمقابلة اللجنة الاميركية وتقرر فيما تقرر من اساليب مقابلتها عقد مؤتمر سوري عام يتمثل فيه اهل جميع انحاء سورية داخلا وساحلا وجنوبا ليقول كلمة جماعية في ذلك وقد بلغنا كل هذا ثم جاء طلب من دمشق الى مدن فلسطين بوجوب ارسال ممثلين عنها الى المؤتمر .

اهتمامنا الأول لمواجهة اللجنة لأنها ستبدأ مهمتها في فلسطين في يافا

ولقد علمنا ان اللجنة ستبدأ عملها من فلسطين فاهتممنا أولاً لإعداد مواجهة ناجحة لها وقد سارعت انا والدكتور حافظ كنعان بقرار من الجمعية الى السفر اولا الى يافا لأننا علمنا ان يافا هي المدينة الأولى التي تبدأ عملها فيها لأنها آتية بطريق البحر اليها ، واجتمعنا بعضوي المؤتمر الفلسطيني الشيخ راغب الدجاني ويوسف العيسى وغيرهما من رجال يافا البارزين النشيطين واتفقنا على ان يكون الميثاق الذي وضعناه في مؤتمر القدس اي :

١ ـ فلسطين جزء من سورية .

٢ ـ الأستقلال التام لسورية ضمن وحدة عربية .

٣ ـ رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية .

واتفقنا على ان يقال اذا سألت اللجنة عن شأن اليهود الموجودين انهم سوف يكونون احرارا متساوين في الحقوق والواجبات كما كان شأنهم في الدولة العثمانية والدول العربية السابقة ولقد كان مؤتمر السلم اقر مبدأ استقلال بلاد العرب مع حاجتها الى مرشد سمي منتدب من دول الغرب المتحضرة لفترة من الزمن وعلمنا ان اللجنة ستسأل الناس عن الدولة التي يرغبون ان تكون المرشدة في بلادهم فاتفقنا على ان يقال ان مؤتمرا عاما سيعقد في دمشق لمقابلة اللجنة مقابلة جماعية باسم جميع سورية ويكون لفلسطين ممثلون فيه وانه هو الذي سوف يجيب على هذا السؤال وان اهل البلاد يرفضون اي شكل من اشكال الحماية والوصاية وانهم فهموا من الارشاد انه ارشاد فني وعلمي وليس مشاركة في الحكم او وجودا عسكريا او اداريا قاهرا . وقد رأينا أنه من الأفضل ان يتقدم الناس بعرائض لهيئات تمثل الأطباء والمعلمين والمهندسين والتجار والبلدية والعمال والمزارعين الخ . .

قدومنا الى طولكرم لنفس الغرض

وعدنا بعد الاطمئنان الى نابلس وتوقفنا في طولكرم حيث اتفقنا مع رجالاتها على مثل هذا المنهج اذا جاءت اللجنة الى طولكرم .

قدوم الشيخ عبد القادر المظفر في هذه الأثناء للدعوة لتسمية بريطانية للارشاد والمساعدة

ومما اذكره انه جاء في هذه الأثناء الشيخ عبد القادر المظفر من دمشق لبث فكرة وجوب تسمية الدولة الإنكليزية كدولة مساعدة مرشدة مع الموافقة على سائر بنود الميثاق وقد ألمح الى ان هذا هو رأي الأمير فيصل وشاع انه يحمل بعض المال ليوزعه على من يؤيد فكرته وينشرها وقد رفضنا هذه الفكرة واصررنا على ترك ذلك للمؤتمر السوري العام ولم يلبث الشيخ قليلا حتى عاد الى دمشق غير ناجح في مهمته .

شيء عن الشيخ عبد القادر والمظفر بمناسبة ورود ذكره في السياق

وعلى ذكر الشيخ عبد القادر المظفر اقول استطراداً انه كان في اثناء الحرب يتقلد منصب مفتي الجيش الثامن الذي كان مركزه نابلس والبلقاء والذي صار قائده جمال باشا المرسني الذي عرف بالثاني وكيلا لجمال الكبير حينما انسحب هذا من سورية على ما ذكرناه قبلاً وهو أسن مني وقد تعرفت به وتصادقت معه واستمرت صلاتنا ولقاءاتنا وتعاوننا معه الى النهاية

وكان الشيخ قد بقي إ في دمشق حينما انسحب الاتراك من عسكريين ومدنيين واندمج في عهد فيصل حينما دخل هذا دمشق وكان خطيبا شعبيا ذا نشاط جم وعارضة قوية لم يسجل عليه اي موقف مناوىء للحركة العربية ابان اشتداد الأذى على رجالها بل اثر عنه العطف والمساعدة فأهله كل هذا للبروز في عهد فيصل ولقد رأى رجال العهد ان ينشئوا ناديا عربيا للدعاية والتنشيط الشعبي فعهدوا بادارة هذا النادي اليه مع سليم عبد الرحمن الذي سوف يأتي ذكره شيء عنه بعد وصار عبر ذلك من رجال العهد الشعبيين البارزين وكان من ذلك ان ارسل الى فلسطين بتلك المهمة . ولقد تعرفت عليه حينما ذهبت الى دمشق بعد انتهاء مهمة لجنة الاستفتاء في فلسطين كمندوب عن نابلس في المؤتمر السوري العام وتعاونا معا في قضية سورية وقضية فلسطين وصار بيننا صداقة حميمة ولما عدنا الى فلسطين بعد سقوط عهد فيصل وأخذ ينشط في سبيل القضية الفلسطينية ومؤتمراتها في جملة من كانوا ينشطون وكان مخلصا مستقيما صلبا في خطه وظللنا اصدقاء متعاونين وكان متعاونا مع الحاج امين مؤيدا له ولكنه كان يحتفظ بقوة شخصية واستقلاله وعدائه الصريح للانكليز والصهيونية معا ولقد انفرد عنا في ظرف محاكمة جرت لنا وله وبعدد من رجال

وشباب الحركة بسبب المظاهرات غير المرخصة التي مشينا فيها مع الجماهير في يافا سنة ٩٣٣ على ما ذكرنا عابرا في كلمتنا عن موسى كاظم وما سوف نشرحه وافيا فيها بعد فرفض اعطاء كفالة وفضل السجن وسجن ستة اشهر .

وقد افترقنا عن بعض حينها غادرت انا فلسطين سنة ٩٣٧ وبقيت في دمشق بسبب اندلاع الثورة ولم نره بعد ذلك وقد توفي في عمان بعد ان نزح اليها في الأربعينات رحمة الله عليه وسيأتي كلام آخر عنه في مناسبات آتية .

سفري أنا والدكتور الى القدس لتنظيم المواجهة وجهودنا في حمل رجالها على التزام المنهج

ونعود الى حديث لجنة الاستفتاء فأقول انا ذهبنا بعد عودتنا من يافا انا والدكتور حافظ كنعان الى القدس أيضاً لاقناع رجالها على التزام الميثاق وجمع الشعب عليه امام اللجنة وقد اجتمعنا أولاً مع الحاج امين الحسيني ورفاقه وكانوا منسجمين في الموقف معنا وكان هذا خطهم حين انعقاد مؤتمر القدس ايضاً ثم اجتمعنا مع الشيخ كامل الحسيني المفتي اخ الحاج امين واسماعيل الحسيني ابن عمه وكانا وحدويين استقلاليين وسهل عليهما الانسجام في الموقف ثم اقترحوا علينا ان نزور راغب النشاشيبي لأنه كان متردداً في الموقف مع عارف الدجاني الداوودي وآخرين ممن يلفون عليه . فذهبنا الى بيته وتحدثنا معه وطلبنا منه جمع رجال القدس البارزين في بيته للبحث في الموقف ففعل واستجاب لدعوته الشيخ كامل واسماعيل وموسى كاظم وعارف الدجاني ويعقوب فراج والشيخ حسام جار الله . واظن انه كان ايضاً اسحق البديري وتحدثنا في الأمر وشرحنا الأخطار المحدقة بفلسطين في حال انفرادها عن الشام وكان من الشباب الحاج امين واسعاف وكان موقف المفتي وموسى كاظم واسماعيل مؤيداً كما كان الحاج امين واسعاف كذلك مما جعل الباقين يوافقون ، ويوافقون على الاشتراك في مؤتمر سورية حتى لقد رشحوا راغباً وسعيد الحسيني ليمثلاها فيه وقد تغدينا انا والدكتور حافظ عند راغب في زيارتنا له في بيته .

دعوة حسن صدقي الدجاني للوصاية الافرنسية

ومما كان اثناء ذلك ان حسن صدقي الدجاني اخذ يبث فكرة تسمية فرنسا بدلاً من بريطانيا رغم ان المنهج كان عدم ذكر أي دولة في جوابات فلسطين ولكن الصوت كان خافتاً فلم يكن له أي أثر ايجابي في أوساط المسلمين .

قدوم اللجنة الى فلسطين ونتائج مواقف أهل البلاد

ولقد جاءت اللجنة الاميركية الى يافا اوائل حزيران ١٩١٩ واذاعت بيانا قالت فيه انها

ممثلة للرئيس ويلسون وانه ارسلها للوقوف على رغبات أهل البلاد ثم اخذت تستقبل الناس وتستلم منهم عرائض وتسألهم شفوياً بعض الأسئلة في صدد مطالبهم ومحتويات عرائضهم وكانت الأكثرية الكبرى من العرب في يافا مؤيدة للميثاق وما اتفق عليه من جواب في صدد الدولة المرشدة حيث استطاع اخواننا البارزون الذين اجتمعنا معهم تنظيم الأمر وجمع اكثرية الناس الكبرى على ذلك مسلمين ونصارى، ونصارى يافا جمهرة كبيرة وقوية وبارزة، وقد شذ بعضهم بعض الشيء حيث طلب ان تكون فلسطين مستقلة وتحت الوصاية الانكليزية وكان هذا وحي الانكليز واكثر أصحاب هذا الموقف من البروتستانت، وطلب جماعة ان تكون تحت الوصاية الافرنسية مجتمعة تحت هذه الوصاية مع سائر انحاء سورية وكان هذا وحي فرنسة واكثر اصحاب هذا الموقف من الكاثوليك واللاتين، وكان جماعة من هؤلاء وأولئك مع اكثرية الأرثوذكس على المنهج المتفق عليه وكان جميع فئات النصارى مجمعة في عرائضها على رفض وعد بلفور والهجرة والمطالب والدعاوى اليهودية ولم يكد يشذ عن ذلك أحد من العرب ثم زارت اللجنة القدس ثم نابلس ثم طولكرم وجنين ثم الناصرة وحيفا وعكا وصفد وطبريا فكانت العرائض والاجوبة في نطاق ما كان في يافا اجمالا فأما اليهود فقد طلبوا فصل فلسطين عن سورية وجعلها تحت الوصاية الانكليزية وتنفيذ وعد بلفور وفتح باب الهجرة اليهودية في فلسطين للاستيطان والاستعمار وكان عدد اليهود حينئذ نحو ستين او سبعين الفا ولقد كان عددهم حين انتهاء الحرب نحو خمسين وكان كثير منهم قد ذهبوا اثناء الحرب الى مصر وقبرص فعاد كثير منهم بعد انتهائها .

* * * * *

(١٢)

المؤتمر السوري العام في دمشق

بعد انتهاء لجنة الاستفتاء من مهمتها همت مدن فلسطين لانتداب ممثليها او ارسالهم الى دمشق لاشتراكهم في المؤتمر السوري العام وقد قررت جمعية نابلس وكانت هي قطب الحركة والرأي الوطني انتدابي مع ابراهيم القاسم عبد الهادي لتمثيل نابلس بالاضافة الى امين التميمي الذي كان اذ ذاك في دمشق يشغل منصب معاون الحاكم العسكري العام الذي كان بمثابة رئيس وزارة .

تحرك بشير الشرابي ضد تمثيلي لنابلس في المؤتمر السوري وتنحيته

ومما جرى في صدد تمثيلي لنابلس ان بشير الشرابي ، وكان متخرجا من مدرسة الحقوق

العليا في الاستانة وصار رئيس محكمة في زمن الدولة العثمانية، تحرك وذهب الى الشيخ عمر زعيتر رئيس البلدية وقال له كيف يصح ان تتمثل نابلس بعزة وابراهيم وليس معهما اجازة من جامعة او مدرسة عالية وابنك عادل متعلم اكثر منهما وما زال يحرضه ويسعى حتى حركة فعلا وكان للشيخ دالة وتأثير على الحاج توفيق على ما ذكرناه قبل وكان مركزه في البلد قويًا فجنح الحاج توفيق لمسايرته واقنع من يستطيع اقناعه من الجمعية لأجل ضم عادل ابن الشيخ الينا وهكذا كان .

سفري الى دمشق وبقائي فيها الى ٢٣ تموز ١٩٢٠

في أوائل حزيران ١٩١٩ سافرت انا وابراهيم القاسم عبد الهادي معا الى دمشق بطريق جنين ـ الناصرة ـ صفد ـ القنيطرة بالكروسة وهذا هو الذي كان ممكنا ومألوفاً وقد قدر لي ان ابقى فيها نحو ثلاثة عشر شهراً اي الى ٢٣ تموز ١٩٢٠ وان اتعارف واتعاون واتصادق مع عدد كبير من رجال وشباب العرب الذين كانوا في دمشق او قدموا اليها والمنتمين الى مختلف الأقطار العربية وان يكون لي بروز ونشاط كبيران في عهد فيصل الشامي خلال هذه المدة في مختلف مجالات ومناسبات ومواقف هذا العهد على ما سوف يأتي شرحه .

اعضاء المؤتمر السوري في فلسطين

اما أعضاء المؤتمر السوري من فلسطين فقد كانوا بالاضافة الى مندوبي نابلس الأربعة الذين ذكرتهم أي أنا وابراهيم القاسم وعادل زعيتر وأمين التميمي وراغب النشاشيبي وسعيد الحسيني وعارف الدجاني ويعقوب فراج عن القدس والشيخ راغب الدجاني ويوسف العيسى عن يافا ورشيد الحاج ابراهيم ومعين الماضي عن حيفا والشيخ ابراهيم العكي وعبد الفتاح السعدي عن عكا والشيخ طاهر الطبري ويوسف العاقل عن طبريا وصلاح الدين قدورة وعبد الرحمن النحوي عن صفد وحسين الزعبي عن الناصرة وسليم عبد الرحمن والشيخ سعيد الكرمي عن طولكرم ورشدي الشوا والشيخ سعيد مراد عن غزة ورفيق التميمي والدكتور احمد قدري عن الخليل وقد اكون غلطت في بعض الأسماء او نسيت بعض الأسماء فأنا اكتب الأسماء من ذاكرتي في دفتري القديم بعد اكثر من خمس عشر سنة من انعقاد المؤتمر . وبعض هؤلاء كانوا في دمشق وأرسلت اليهم توكيلات من مدنهم مثل سليم عبد الرحمن والشيخ سعيد الكرمي والشيخ سعيد مراد ومعين الماضي ورفيق التميمي والدكتور احمد قدري وأمين التميمي مع العلم ان رفيق والدكتور أحمد ليسوا من الخليل ولكن الخليل وكلتهما بسعي خاص ولم ترسل احداً من أبنائها وراغب النشاشيبي وسعيد الحسيني ويعقوب فراج لم يأتوا الى دمشق وقد

ارسلت القدس بعد اشهر توكيلا للحاج امين الحسيني وعارف العارف الذين جاءا الى دمشق بعد فرارهما من القدس على ما ذكرناه قبل .

ولقد كان ممثلو فلسطين يحملون توكيلات جمعياتهم او اندية مدنهم او موقعة من عدد كبير من ذوي الرأي والشأن .

كيفية اختيار ممثلي سورية الداخلية للمؤتمر السوري

وكان هذا خلافا للمنطقة الداخلية (ولايات سورية وحلب سابقاً) التي كانت تحت الحكم العربي حيث جرى انتخاب لممثليها حسب القانون العثماني بقدر الأمكان فدعي المنتخبون الثانويون الذين كانوا انتخبوا آخر نواب الولايتين للمجلس النيابي العثماني فانتخبوا ممثليها للمؤتمر . ولم يسمح الانكليز بمثل ذلك في فلسطين ولا سيما ان ذهاب ممثلين عنها كان على غير ارادتهم .

وما كان في فلسطين كان في المنطقة الساحلية ولبنان المحتلة من الأفرنسيين الذين حاربوا ذهاب ممثلين عنها الى المؤتمر خلافا للانكليز الذين اكتفوا بعدم السماح باجراء انتخابات وسكتوا عن ذهاب ممثلين عن فلسطين بتوكيلات جمعياتهم وانديتهم وذوي الرأي والشأن منهم والراجح ان مرد تصرف الانكليز اطمئنانهم الى ان جو المؤتمر على كل حال لن يكون عدائياً لهم وكانوا يعرفون ان فيصل سيبذل جهده لتسمية بريطانيا كمرشدة او مساعدة وقد جاء الشيخ المظفر ليبشر باسمه بهذا اما الافرنسيون فكانوا متأكدين من ان من يأتي الى دمشق سيكون موقفه ضدهم .

أسماء ممثلي سورية الداخلية التي كانت تحت حكم فيصل

وكان ممثلو منطقة دمشق المنتخبون فوزي باشا العظم وفوزي البكري والشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ تاج الدين الحسني ومحمود البارودي واحمد القضماني والشيخ مسلم الحصني وعبد الرحمن اليوسف والياس عويشق وعزة عن نصارى دمشق ويوسف لينادو عن يهودها . وكان ممثلو حلب سعد الله الجابري ورشيد المدرس وتيودور الانطاكي وحكمة النيال ويوسف الكيالي والشيخ نورى الجسر ويوسف كيخيا وكان ممثل دوما محمود الشيشكلي وممثل اعزاز جلال القدسي وفاتح المرعشلي وممثلوا اقضية شرق الأردن التي كانت متصرفية تابعة لسورية باسم متصرفية البلقاء او الكرك عيسى المدانات عن الكرك وخليل التلهوني عن معان وسعيد ابو ناجي وسعيد الصليبي عن السلط وسليمان السودي عن عجلون وعبد الرحمن

ارشيدات عن اربد وكان ممثل الباب شريف الدرويش وممثل المعرة حكمت الحراكي وممثل منبج محمود نديم وممثل الزبداني حسن رمضان وممثلو بعلبك سعيد حيدر ومحمد حيدر وممثل حاصبيا فائز الشهابي وممثل الهرمل تامر حمادة وممثلو ادلب زكي يحيى وفؤاد عبد الكريم واحمد العياشي وممثل القنيطرة محمود الفاعور ، وممثل النبك خليل ابو الريش وممثل حمص هاشم الأتاسي ووصفي الأتاسي ومظهر رسلان ومرشد سمعان وممثلو حماة خالد البرازي وعبد الحميد البارودي والشيخ عبد القادر الكيلاني وممثل حارم ابراهيم هنانو وممثل انطاكيا صبحي بركات ومصطفى لطفي الرفاعي وممثلو حوران ناصر المفلح ونسيب الأطرش ، وكانت دير الزور في نطاق العراق او غير منضمة لسورية الفيصلية ثم كانت حركة قادها رمضان شلاش ادت الى انضمامها الى سورية وجاء منها ممثلون في وقت متأخر وهم الحاج فاضل عبود ومحمود نورى الفتيح وابراهيم الحاج حسين ولعل هناك اسماء اخرى غابت عن ذاكرتي حين تدوين مذكراتي الأولى وظلت ذاهبة .

اسماء ممثلي لبنان وسواحل سورية في المؤتمر السوري

اما من جاء من لبنان والسواحل في الفترة الأولى والفترات التالية فهم السيد رشيد رضا وتوفيق البيسار وعثمان سلطان ويوسف الحكيم والشيخ عبد المجيد المغربي عن طرابلس والشام ورضا الصلح ورياض الصلح وعفيف الصلح عن صيدا وصور وعبد الفتاح الشريف عن عكار . وسليم علي سلام وعارف النعماني جميل بيهم وامين بيهم وجورج حرفوش عن بيروت وناجي علي اديب عن جبله ومحمد خير ومحمد الشريف ومنح هارون وصبحي الطويل عن اللاذقية وتوفيق مفرج عن الكورة . ودعاس الحاج حسن عن حصن الأكراد . ورشيد نفاع عن المتن ومراد غلمية عن مرجعيون والدكتور سعيد طليع والشيخ ابراهيم الخطيب عن جبل لبنان والأسماء من الذاكرة ومما دون في دفتري الأول وقد اكون نسيت اسماء اخرى او اخطأت في تسمية بعض الأسماء .

وعلى كل حال فالأسماء والمناطق التي جاء منها أصحابها تدل على انحاء سورية الساحلية والجنوبية المحتلة بالانكليز والأفرنسيين كانت ممثلة وان التمثيل كان شاملا لمختلف النحل . اما المنطقة الداخلية الفيصلية فكانت ممثلة تمثيلا شاملا وانتخابيا وتمثيل فلسطين كان اوفى واشمل من تمثيل الانحاء المحتلة من الأفرنسيين .

تنويه بجرأة ومغامرة من جاء من لبنان والسواحل

ولقد كان الأفرنسيون يبذلون جهدهم وقوتهم وارهابهم لمنع تمثيل منطقة احتلالهم ،

ومع ذلك فقد استطاع عدد كبير منها، مسلمين ونصارى، وتحدوهم وجاؤا فكان في ذلك دلالة على الروح القومية والجرأة والمغامرة، وقد اعتبرهم الافرنسيون اعـداء وصاروا يتربصون بهم، ومن الجدير بالتسجيل ان هذه الروح ظهرت في منطقة الاحتلال الأفرنسي اثناء ذهاب لجنة الاستفتاء الاميـركية اليهـا . ولقد اهتمت السلطات الافـرنسية لتكـون مواقف أهلهـا حسب مطامعهـا اهتماما شديدا ، وكان معظم الموارنة والكاثوليك منها، حيث كانت مطاليبهم (لبنـان الكبير) المنفصل عن سورية تحت الحماية الافرنسية، وكان يقصد من (لبنان الكبير) فصل اقضية البقاع وبعلبك وراشيا وحاصبيا عن سورية وضمها الى لبنان وهو ما نفذه الافرنسيون حينما تم غـزو سورية واسقاط حكم فيصل عنها . غير ان عرائض عديدة قدمت الى اللجنة مخالفة لذلك رغم انف السلطات الافرنسية واجراءاتها الأرهابية . منها ما كان يطلب للبنان استقلالا تاما بلا حماية ولا وصاية ومنها ما كان يطلب للبنان استقلالا ذاتيا مع اتحاده اقتصاديا بسورية ولا حمايـة ولا وصاية ايضا، والشيء بالشيء يذكر فان اكثرية اعضاء مجلس ادارة لبنان الذي كـان يمثل جميـع الطوائف قررت بعد اعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية بلا وصاية ولا حماية تحت تـاج فيصل في ٨ آذار ٩٢٠ توقيع مضبطة تطلب ان يكون لبنان مستقلا بدون حماية ولا وصاية مع اتحاده مع سورية وقد وقع على المضبطة كـل من سعد الله الحـويك وفؤاد عبـد الملك ومحمود جنبلاط وسليمان كنعان وخليل عقل ومحمد الحاج محسن والياس الشويري ومن هؤلاء موارنة وغير موارنة من النصارى ومنهم من طوائف اسلامية كالـدروز وغيرهم . وكتبـوا من قرارهم نسخا عديدة واتفقوا على ان يحمل كل واحد نسخة وان يتسللوا منفردين الى دمشق ومنها الى اوروبـا ليقدمـوها لفيصـل ولمؤتمر السلم . وقـد وشى بهم للسلطات فتـرصـدتهم واعتقلتهم واعتقلت الامير امين ارسلان والميـرالاي سعيد البستـاني والياس عقـل الذين كـان لهم ضلع بـالعملية وحـاكمتهم وحكمت عليهم بالغـرامات والنفي ونفتهم فعـلا الى ارواد اولا ثم الى كورسيكا حيث بقوا منفيين شهورا عديدة باستثناء سليمان كنعان الذي استطاع ان يفلت . ومما نذكره ان رياض الصلح جاء من بيـروت متسللا ومعه نسخـة من القرار وفي صحبتـه بعض الاشخاص الذين كان لهم ضلع في العملية ولعل منهم سليمان كنعان المذكور وكان للحادث دوي كبير في لبنان وسورية وكان في اوائل تموز ١٩٢٠ .

ولقد كان معظم أعضاء المؤتمر غرباء عني فلم أكن أعرفهم من قبل فكان المؤتمر ونشاطي في نطاقه، وقد انعقد من أواخر حزيران ١٩١٩ الى أواخر تموز ١٩٢٠، فرصة لتعرفي عليهم وعقدي أواصر الصداقة والتعاون معهم وكنت أحظى منهم ولا فخر بالتقدير والاعجاب . وبالرغم مما كان بيني وبين بعضهم من خلاف في المنهج والافق ومن فارق كبير في السن . وكثيراً ما كنت

التقى بعضهم بعد عهد فيصل في فلسطين وسورية وفي لبنان لقاء عادياً أو عبر مجالس واجتماعات وندوات ومؤتمرات فكنا نلتقي كأصدقاء ونتذكر عهد المؤتمر ونتعاون .

ومن طريق ما كان من ذلك ان ممثل ودير الزور ابراهيم الحاج حسين زارني في دمشق سنة ١٩٦٥ وذكّرني بنفسه وأخرج لي من محفظته الصغيرة رسالة كنت كتبتها لأمين صندوق المؤتمر ليدفع له مخصصاته حيث ظل محتفظاً بهذه الورقة ٤٥ سنة فكانت وسيلة لزيارته لي وتذكيري بنفسه وبالإضافة الى هذه الصورة العامة فقد نشأت بيني وبين بعضهم صداقات حميمة أكثر من عادية وعابرة .

شيء عن هاشم الأتاسي وصداقتي معه :

ومن هؤلاء هاشم الأتاسي وكان كهلاً ناضجاً وقوراً متزناً ذا معارف قانونية وإدارية وذا أخلاق مرضية وأفق واسع واناة وروية ويلمح المرء فيه الطيبة والصدق والصراحة وكان وحدوياً استقلالياً صلباً في وطنيته لا يوارب ولا يداجي فكان بذلك يبعث في النفس له الاحترام والطمأنينة وكان يمنحني عطفاً وثقة ويستشيرني في المواقف ويأخذ برأيي مع ما كان من فارق السن بيني وبينه حيث كان يكبرني نحو ١٥ سنة وأكثر وقد تعاونت معه أثناء العهد الفيصلي في لجنة الدستور التي انشأها المؤتمر لوضع دستور للمملكة السورية المقبلة حيث كان رئيساً لها وكنت سكرتيرها وقد اجتهدت جمعية الفتاة فضمته اليها حيث كانت قررت توسيع نطاق عضويتها وضم عناصر صالحة إليها وكنت سكرتيراً لهيأتها المركزية فكان ذلك من وسائل توثيق الصلة والصداقة بيننا ولقد أهلته صفاته فاختير لرئاسة المؤتمر السوري في دورته الثالثة التي أعلن فيها الاستقلال ثم لرئاسة الوزارة الاستقلالية الثانية في العهد الفيصلي ثم للبروز في زمن الاحتلال الافرنسي في الحركة الوطنية السورية المطالبة بالاستقلال والحرية والوحدة ثم لرئاسة الكتلة الوطنية التي قادت الحركة الوطنية والتي نجحت في نشاطها واستطاعت ان تجعل فرنسا تعقد معاهدة سنة ١٩٣٦ تعترف فيها باستقلال وسيادة سورية ثم لرئاسة الجمهورية السورية مرة سنة ١٩٣٦ نتيجة لهذه المعاهدة الى سنة ١٩٣٩ ومرة في سنة ١٩٥٤ مؤقتة ولقد جئت الى دمشق زائراً في سنة ١٩٣٢ و١٩٣٧ ثم مقيماً في ١٩٣٧ وبعدها فتجددت صداقتنا وصلاتنا وكنت ألقى منه المحبة والرعاية وأكون أحياناً موضع سره وأفكاره واستشارته في بعض الملمات في بعض الأحيان وظلت صداقتنا وصلاتنا مستمرة على هذا النحو الى أن توفاه الله سنة ١٩٦٣ رحمة الله عليه وكان آخر لقاءاتي به في دمشق سنة ١٩٥٩ حيث كان في بيت ابنه مريضا مرض الشيخوخة وكان قبل قد أقام في حمص بعد رئاسته للجمهورية الثانية فزرته وتبادلنا الود والدعاء .

شيء عن وصفي الأتاسي

ومنهم وصفي الأتاسي وكان ذكياً ألمعياً وحدوياً استقلالياً وقد تخرج من كلية حقوق الاستانة وكان حسن الثقافة والكلام والحجاج وظللنا متواثقين متعاونين عهد المؤتمر وضمته جمعية الفتاة إليها فكان ذلك من وسائل توثيق الصلة والتعاون ثم افترقنا بين يدي الاحتلال الافرنسي ولم يعمر طويلاً حيث وافاه أجله في العشرينات رحمة الله عليه .

شيء عن سعد الله الجابري

ومنهم سعد الله الجابري وكان شاباً ذكياً نشيطاً ألمعياً قومياً وحدوياً استقلالياً صلباً جريئاً خفيف الروح بارع النكتة وكان يهتم كثيراً بأناقته ونظافته وطهارته الى حد الوسوسة وكان مدققاً كثيراً في الرسميات ومقتضياتها وكان يقدرني ويعجب ببروزي ونشاطي وكان يمازحني فيسميني طلعة باشا (وطلعة باشا هذا كان من أبرز رجال الحكم الاتحادي التركي وكان من أركان جمعية الاتحاد والترقي صاحبة العهد وكان في شبابه موظفاً في دائرة البرق والبريد مثلي ومن هنا ومن كوني كنت من أركان جمعية الفتاة حزب العهد الفيصلي كانت تلك التسمية) ولقد أهلته صفاته للبروز في الحركة الوطنية حينما اخذت تقوم وتشتد بعد الاحتلال الافرنسي وصارت له زعامة حلب وكان من أبرز أعضاء الكتلة الوطنية وأصلبهم ثم أهلته ليكون وزيراً للداخلية والخارجية معا في عهد معاهدة الاستقلال سنة ٩٣٦ ـ ٩٣٨ ثم رئيساً للوزارة في عهد الاستقلال الثاني الذي كان برئاسة شكري القوتلي سنة ٩٤٤ ثم رئيساً لمجلس النواب في سنة ١٩٤٩. ولقد جئت دمشق في سنة ٩٣٢ ثم في سنة ٩٣٧ زائراً ثم في سنة ٩٣٧ مقيماً فكانت صداقتنا تتجدد ولقيت منه أثناء وزارته في جمهورية الأتاسي كل مودة ورعاية واهتمام وكنت مضطلعاً بمسؤولية تأجيج الثورة في فلسطين . وقبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية نقضت فرنسا المعاهدةالاستقلاليةفاستقالت الوزارة وبعد قليل اغتيل الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الذي كان معارضاً للعهد والوزارة فاتهم بتدبير اغتياله مع جميل مردم بك ولطفي الحفار ففروا الى العراق حيث أقاموا الى ان جرت المحاكمة وثبتت براءتهم وبعد قليل قام عهد جمهورية شكري القوتلي فكان من أركانه كما قلنا وكنت قد لجأت الى تركية حينما غزا الانكليز مع الديغوليين سورية اثناء الحرب حتى لا أقع في أيديهم ولما انتهت الحرب عدت وعهد القوتلي ووزارة سعد الله قائمة فلقيت منه ما قد اعتدته من محبة وود واعتمدني في توزيع بعض المساعدات على بعض رجالات ثورة فلسطين وظلت صلات الود قائمة الى أن توفي سنة ٩٤٧ وقد ذهبت الى حلب واشتركت مع أصدقائه ورفاقه والجماهير الباكية عليه في موكب جنازته العظيم رحمة الله عليه .

شيء عن رياض الصلح

. ومنهم رياض الصلح وكان شاباً نشيطاً شديد الذكاء والبديهة والألمعية وحدوياً استقلالياً طموحاً حبوباً محبوباً واسع الحيلة والمرونة محسناً للمداورة والمناورة مع الاحتفاظ بصلابته الوطنية الوحدوية الاستقلالية وقد اكسبته هذه الصفات اعجاب وتقدير مختلف الفئات ولقد بدأ نشاطه القومي في شبابه الأول في زمن الدولة العثمانية وكان يافعاً وتعرض لمطاردة جمال باشا ولكن صغر سنه شفع له. وكنت أسن منه ببضع سنين فكان يقدرني ويحترمني وقد تعاونا تعاوناً وثيقاً في نطاق المؤتمر وخارجه وقد ضمته الفتاة اليها فكان ذلك من وسائل التواثق والتعاون بيننا وكان مستمر المناوأة والعداء للافرنسيين مستمر النشاط ضدهم فكان لا يستطيع الاقامة في لبنان ولا في سورية بعد احتلالها فكان ينشط في أوروبا مع الأمير شكيب ارسلان واحسان الجابري ويأتي من آن لآخر الى فلسطين فتتجدد صداقتنا وصلاتنا وقد اهلته صفاته هذه ليلعب دوراً كبيراً قبيل نهاية الحرب وبعدها في تاريخ لبنان ومصيره وصار رئيس الوزارة اللبنانية في أول عهد الاستقلال سنة ١٩٤٣ وتكررت رئاسته وكان له موقف عظيم في عهد رئاسته الأولى مع الافرنسيين لأنه أراد ان يعدل الدستور الذي فرضه الافرنسيون والذي فيه مواد مخلة بسيادة لبنان وعروبته وقد اعتقله الافرنسيون مع رئيس الجمهورية وعدد من رجال الحكم وأتوا باميل اده ولكن لبنان انتفض ؛ مسلموه ومسيحيوه ، انتفاضة عارمة وتدخلت بريطانيه واعادت الأمور الى مجراها وانتصر ذلك الموقف الى ان انتهى بجلاء الافرنسيين واستتباب السيادة والاستقلال للبنان في آخر سنة ٩٤٥ ولقد كانت صلاتي تتجدد معه حينما كان من حين الى آخر يأتي الى فلسطين ، ثم لم أره الا في أوائل الحرب العالمية الثانية وبعد ان استسلمت فرنسا وقامت ما يسمى حكومة (فيشي) برئاسة المارشال بتان حيث أخذ الانكليز والديغوليون يحاولون الاستيلاء على سورية ولبنان والافرنسيون فيهما يحاولون احباط ذلك لأنهم اتبعوا حكومة فيشي ، وقد اتصل الافرنسيون به وطلبوا منه مساعدتهم بحركة ثورية فلسطينية فأرسل اليّ خبرا بالقدوم الى بيروت لأني كنت آنئذ في دمشق (وقد خرجت من السجن الذي حكمت به علي محكمة فرنسية عسكرية بعد ان انكسرت فرنسا) فذهبت الى بيروت والتقيت به واتصلنا بطريقة بالافرنسيين ولكن لم نتفق ، لأنهم أرادوا عملاء لحسابهم وأردنا ان نكون ثواراً لحسابنا يمدوننا بالمال والسلاح ويكون لنا حرية العمل ، ثم افترقنا ولجأت الى تركية حينما غزا الانكليز والديغوليون سورية حتى لا أقع في أيديهم . ولما عدت بعد نهاية الحرب كان هو رئيساً لوزارة لبنان فالتقيت به وجددت عهد صداقتي معه وقد لقيت منه ما عهدته من ود وحرمة وتعاونت معه في نطاق الجامعة العربية التي كنت فيها ممثلا للهيأة العربية العليا وكنت ممثلا لها أمام حكومتي سورية ولبنان فكنت ألتقي به ويبذل جهده في الاستجابة

لمطالبي في صدد القضية وظن انني وبعض رفاقه من رجال الحركة وبتعبير أدق رفيق التميمي وعوني عبد الهادي اللذين كانا أيضاً في دمشق في هذه الأثناء قد نكون في ضائقة فأرسل الى كل منا ألفي ليرة مع رسول خاص وكان الله قد بارك في تجارة اخي في عمان فأغنانا عن مساعدة غيره فرددت اليه المبلغ شاكراً معتذراً واستمرت صداقتنا الى ان استشهد رحمة الله عليه بيد حاقدة من الحزب القومي السوري في أثناء زيارته لعمان سنة ٩٥١ انتقاما لاعدام رئيس الحزب انطون سعادة بحكم من المحكمة في بيروت جزاء ما قام به من محاولات تمردية وانقلابية .

شيء عن عفيف الصلح

ومنهم عفيف الصلح وكان مثقفاً اكثر من رياض ولكن لم يكن في نشاطه وبداهته ولمعانه وجذبه للقلوب وهو أسن قليلا من رياض وكانت له افكار ومحاكمات اجتماعية وسياسية حسنة وعنده اناة وترو وقد اهّلته ثقافته ليكون مديرا للمدرسة العربية الثانوية التي انشأتها الحكومة التركية الاتحادية سنة ٩١٣ كاستجابة لمطالب ورغبات الحركة العربية وقد تصادقنا وتعاونا عبر المؤتمر وضمته الفتاة اليها فكان ذلك من وسائل التواثق والتصادق وقد استمر ذلك بيننا وتجدد حينما أقمت في دمشق سنة ٩٣٧ وبعدها حيث كان هو أيضاً مقيماً في دمشق لأن والدته منها وكان ينشط في عهد الإستقلال السوري وصار مرة نائباً في مجلس نوابها ووزيراً وكان يعد من أركان الكتلة الوطنية او قيادة الحركة الوطنية في هذا العهد وقد ظللنا اصدقاء ونتزاور ونتداول في مختلف الشؤون قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها ثم انقطعنا عن بعضنا حينما طعن في السن ثم توفي في بيروت سنة ١٩٧٤ .

شيء عن السيد رشيد رضا

ومنهم السيد رشيد رضا وهو أسن مني بنحو ١٥ سنة او اكثر وكنت اقرأ له في مجلة المنار التي انشأها في مصر في أواخر القرن الفائت مقالات اجتماعية ودينية وفصولا في التفسير التي سار عليها على نهج الامام محمد عبده وكان الصق تلامذته به وسار على نهجه الاصلاحي التجددي الواسع الأفق حتى انه انشأ مدرسة في مصر سماها مدرسة الوعظ والارشاد لتخريج مرشدين اسلاميين متجددين مصلحين يدعون الى الاسلام الصحيح واعتقد انه صار اغزر علماً واطلاعاً من أستاذه كما انه صار اكثر نشاطا في التأليف وان كان دونه في الاشراق والدوى والتأثير في الناس وكنت اسمع بأخبار نشاطه السياسي اثناء اشتداد الحركة العربية والتشاد بين العرب والترك، كان في بدء الأمر يحاول التوسط حتى لقد أيد الاتحاديين ولقي بسبيل ذلك شيئاً من

الأذى ثم تيقن من تعنت الاتراك للاتحاديين ونياتهم الاستعلائية ومواقفهم المناوئة للمطالب العربية المشروعة فانحاز الى جانب رجال الحركة العربية المناوئين وكان زار الآستانة بعد اعلان الدستور ثم عاد الى مصر ناقماً واندمج في حركة وحزب اللامركزية وذهب عقب اعلان الشريف حسين للثورة الى الحجاز وبارك الثورة وبايع الشريف حسين بالملك ثم اختلف معه وعاد الى مصر وظل ينشط مع السوريين واندمج في حزب الاتحاد السوري الذي انشؤه عقب انتهاء الحرب وجاء الى دمشق مع من جاء من أركان هذا الحزب وجاءه توكيل من طرابلس ليمثلها مع الآخرين في المؤتمر السوري وأخذ ينشط في نطاقه وقد انضم الى الفتاة واخترناه لرئاسة المؤتمر التي خلت بتعيين هاشم الأتاسي رئيساً للوزارة في مارس ١٩٢٠ وكنت سكرتيراً للمؤتمر فتوثقت الصلة بيني وبينه وكان يقدرني ويثق بي وصرت مستشارا له وعضدا في الرئاسة وانطباعاتي عنه انه ديّن غيور وعربي مخلص وفيه نزعة تجديد واصلاح وانه رجل جدل ومنطق في الأبحاث الدينية والاسلامية ومن احسن النماذج لعالم مسلم باحث مدرك لروح الاسلام وجوهره وقوته وله حجة قوية ومنطق سليم مستقيم مبرأ من العبث والتعنت والجمود وضيق الأفق وهو طويل النفس في أبحاثه وغزير العلم وواسع الاطلاع . الا انه حينما يخرج من هذه الدائرة على سعتها للعمل والبحث في السياسة، فكثيراً ما يبدو منه ضعف ويفارقه منطقه السليم وحجته القوية واحاطته المدركة ولم يستطع ان يملأ فراغ هاشم الأتاسي في الرئاسة، وكنت اتعب واجتهد في تركيز رئاسته، ومما يؤخذ عليه ادلاله بأفكاره وعلمه وطول باعه في الدين والسياسة معا فأما في الدين فنعم وأما في السياسة فلا. ولما زرت مصر عام ٩٣٢زرته وجددت عهد الصداقة به وكان مستمر النشاط والدأب في اصدار المنار واتمام التفسير الذي هو من احسن التفاسير علما وبحثا وان كان كثير الاستطراد ومات سنة ١٩٣٥ دون اتمامه حيث صدر منه احد عشر مجلداً الى سورة يوسف وله مؤلفات كثيرة منها كتاب عظيم سماه الوحي المحمدي ومنها مجلد ضخم جدا في تاريخ الامام محمد عبده وقد توفاه الله رحمة الله عليه وجزاه عن الاسلام والعروبة خير الجزاء .

كلمة عن الأمير فائز الشهابي

ومنهم الأمير فائز الشهابي الذي مرت اشارة عابرة اليه وهو اخو الأمير اسماعيل صديقنا في النبك وكان شابا قومياً وحدوياً استقلالياً ليناً دمثاً بدون عنف ومع صلابة في المبادىء والمواقف وسريرة نقية وعاطفة محببة وكان يحمل شهادة عالية حصل علبها من الآستانة ولست متيقناً فيما اذا كانت من مدرسة الحقوق ام من المدرسة الملكية العالية . وقد مارس بعض الوظائف

في زمن الدولة العثمانية ولما دخل فيصل وقام عهده اندمج فيه حيث كان ممن ينتسبون الى جمعية الفتاة قبل نهاية الحرب وقد عهد اليه بوظيفة مهمة في وزارة الداخلية وكان يوفق بين عمله في هذه الوظيفة وبين تمثيله لحاصبيا في المؤتمر فيحضر بعض الجلسات ولم تكن الوظيفة مانعة وكان هذا شأن غير واحد من أعضاء المؤتمر وقد توثقت الصلة والصداقة الحميمة بيننا وتعاونا في نطاق المؤتمر وفي نطاق جمعية الفتاة معا وافترقنا بعد سقوط عهد فيصل حيث بقي هو في الشام لأنه لم يكن له نشاط سياسي شديد وظل في وظيفته باستقامة وصلابة دونما انحراف مع عدم النشاط ضد الافرنسيين ولما قام عهد الاستقلال برئاسة هاشم الأتاسي ظل يعمل في وزارة الداخلية مستقيما مقدّراً محبوباً ولما جئت الى دمشق مقيما سنة ٩٣٧ تجددت الصداقة بيننا وافترقنا بضع سنين حيث لجأت الى تركية وعدت ثانية ولم يعتم ان وافاه اجله في الخمسينات رحمة الله عليه .

شيء عن سعيد حيدر

ومنهم سعيد حيدر وهو خريج مدرسة الحقوق العثمانية وكان ذكياً متتبعاً للدراسات الحقوقية وغير الحقوقية ومجادلا عنيدا وصلبا في وحدويته وعروبته واستقلاليته وجريئاً على قول ما يراه حقا وثابتا عليه . وكان يبدو كأنه جبار ولقد كان ـ بدون قصد انتقاص ـ اعور ومقطوع أحد ساقيه يمشي على رجل اصطناعية ويعرج فكاد يصدق عليه المثل «كل ذي عاهة جبار». وقد توثقت صلتي به في نطاق المؤتمر ثم في نطاق جمعية الفتاة التي كان عضواً من اعضائها القدماء وصارت صداقة حميمة واعجب كل منا بصاحبه رغم ما كنت عليه من لين ومرونة وما كان عليه من صلابة وقسوة في الجدل وتعاونت معه في نطاق المؤتمر وفي نطاق لجنة وضع دستور المملكة السورية وتزاملنا في الهيأة المركزية لجمعية الفتاة ولقد افترقنا في آخر عهد فيصل حيث ذهب هو بقرار من الجمعية الى الأستانة قبل غزو غورو لسورية لطلب العون من تركية وبقي هناك بسبب وقوع هذا الغزو وعدت أنا الى فلسطين ثم التقينا ثانية حينما عدت الى دمشق مقيماً في سنة ١٩٣٧ وافترقنا ثانية حيث لجأت الى تركيا ولما عدت التقيت به وكان محتفظاً بكل مزاياه وروحه القوية الجدلية والعلمية وجددنا عهد الصداقة وظللنا نحتفظ بها ونتزاور ونتبادل الحديث في مختلف الشؤون الى ان وافاه أجله في أواخر الخمسينات رحمة الله عليه .

شيء عن الدكتور محمد حيدر

ومنهم الدكتور محمد حيدر وهو من ابناء عمومة سعيد وكان ألين طبعاً وأدمث خلقاً من سعيد ولم يكن مثله ذا علم وجدل وكان من اعضاء الفتاة القدماء ايضا فكان ذلك مما وثق الصلة والصداقة وتبادل المودة بيننا وافترقنا بعد سقوط عهد فيصل وكان ذلك آخر العهد بيننا .

شيء عن سليم عبد الرحمن

ومنهم سليم عبد الرحمن وهو ابن عبد الرحمن الحاج ابراهيم رئيس بلدية طولكرم واحد أركان جمعية الحاج توفيق القديمة في نابلس على ما ذكرناه قبل وقد رأيته لأول مرة في دمشق وكان يبدو جم النشاط والحركة وكان في دمشق قبل انهيار الجبهة التركية فالتحق مع بعض الرفاق بجبهة فيصل وكان قد وصل مع كتائبه وأعوانه الى ناحية جبل الدروز وعاد معه الى الشام وكان منتسباً الى جمعية الفتاة في أثناء الحرب ورأت الهيأة المركزية للجمعية ، التي كانت حزب عهد فيصل ، ان تنشىء نادياً عربياً للدعاية والنشاط السياسي والثقافي والشعبي وأشركت الهيأة معه الشيخ عبد القادر المظفر ، الذي كان بدوره ذا نشاط وحركة وموهبة خطابية والذي كتبنا عنه شيئاً قبل قليل ، وقد ازدهر النادي تحت ادارتها وشغل حيزا كبيراً فيما كان يجري من نشاط جياش في دمشق وكان يعقد فيه الاجتماعات وتلقى فيه الخطب السياسية والوطنية وتنشد الأناشيد ويبث عبره ما يراد بثه من أفكار وأخبار الحركة الوطنية الاستقلالية وغاياتها وكان ينشط في ما كان يقتضي قيامه من مظاهرات شعبية في مختلف المناسبات بسبيل ذلك وشغل سليم نتيجة لذلك حيزاً كبيراً في العهد الفيصلي وكانت له صداقات مع كثيرين من الشباب وانتشر اسمه عبر ذلك ، وأسهم في حركة تلكح الثورية ضد الاحتلال الافرنسي التي كانت سنة ١٩١٩ على ما سوف نشرحه بعد ، فتعزز اسمه ومركزه ، وقد توثقت الصلة بيننا في نطاق المؤتمر وفي نطاق جمعية الفتاة معا وكان بيننا تعاون وكان يسير وراء نزواته ولهوه بنفس الحماس الذي يسير به في العمل . وكنا نختلف معه في بعض المواقف في نطاق الفتاة غير أنه على كل حال ظل بارزاً نشيطاً ذا حيز كبير طيلة عهد فيصل وكان ممن حكم عليه الافرنسيون غيابياً بالاعدام وظلت صلتنا به مستمرة بعد سقوط هذا العهد والعودة الى فلسطين وظل ردحاً غير قصير محتفظاً بحيويته ونشاطه في المجال السياسي ملتزماً بالخط الوطني السليم وكان يشترك في المؤتمرات واللجان ممثلاً لطولكرم واستقطب كثيراً من الشباب حوله بنشاطه وكثرة تحركاته وحماسه حتى صار اسمه على كل لسان وحتى لقد كانت وصية الشهداء الثلاثة جمجوم والزير وحجازي ، الذين اعدمتهم السلطات لما كان منهم ضد يهود صفد والخليل في ظروف ثورة البراق عام ١٩٢٩ ، على ما سوف نشرحه بعد ، موجّهة اليه ، الى ان صار ينحرف اذ كان له أخ كان متورطاً تورطاً شديداً وصريحا ووقحا في السمسرة لليهود والتعامل معهم وينال كثيراً من المكافآت على ذلك ولعله سايره . وكان يحاول التنصل والتبرير ولكن الشواهد كانت أقوى من ذلك ولقد اطلعت على وثيقة مسجلة لدى كاتب العدل كان فيها كفيلا لرجل تعاقد مع اليهود على بيع أرض ومن الطريف والعجيب ما كان يقوله حينما يصطدم بالشواهد (لا بأس من اخذ مال اليهود اليوم بأي طريقة وغداً سوف نستعيد ما أخذوه من أرض ويظل المال الذي اخذناه غنيمة) ولم تعد الصداقة بيننا قائمة ولقد كابر وظل ينشط وفي اضراب فلسطين الطويل نفته

السلطات الى طوباس وفر منها الى العراق واخذ ينشط في الدعاية للقضية وعاد الى نزواته في الوقت نفسه فسقط معنوياً ثم مادياً وصار في حالة يرثى لها وتوفي في الخمسينات على هذه الحالة غفر الله له .

شيء عن ابراهيم هنانو

ومنهم ابراهيم هنانو وكان رجلاً جاداً ذا روح ثورية واخلاق قويمة وكان وحدوياً استقلالياً مع شيء من الانفعال والحدة وأظن أنه درس في مدارس الآستانة بعض السنين ولست متأكداً من انه كان حصل على اجازة من مدرسة عالية وقد اعجبنا ببعضنا واحببنا بعضنا وتوثقت الصلة الحميمة بيننا نتيجة لذلك ولقد ضمته جمعية الفتاة اليها فكان ذلك من وسائل تقوية الصداقة وقد تعاونا تماما في نطاق المؤتمر والجمعية ولقد تقدم لهيأة الفتاة المركزية هو وصبحي بركات بمشروع حركة كفاحية مسلحة في منطقة الاسكندرون التي كان لصبحي بركات زعامة فيها ، وقبلت الاقتراح وعهدت اليّ بتدبير ما يمكن ويلزم من الأسباب التنفيذية حيث كنت سكرتيرا للهيأة فكان هو وصبحي يترددان علي بسبيل ذلك فكان ذلك وسيلة أخرى للتواثق والتصادق ولقد استطاعا ان يثيرا حركة كفاحية مزعجة للافرنسيين وكان ابراهيم أشد ضلوعا ومباشرة لذلك ووسع حركته الى غير منطقة الاسكندرونة ولقد استمرت هذه الحركة الى ما بعد سقوط العهد الفيصلي واحتلال القوات الافرنسية لسورية الداخلية فاشتدت السلطات الافرنسية في قمعها وضيقت الخناق على ابراهيم حتى اضطرته الى الفرار من سورية الى عمان شرق الأردن ثم الى فلسطين والقدس فقبضت عليه السلطات البريطانية لتسليمه الى السلطات الافرنسية ، وقد سلمته فعلاً وسيق مكبلاً الى بيروت واثرنا حركة احتجاج وتأييد له في فلسطين وحاكمته محكمة عسكرية افرنسية في حلب وقد دار الدفاع حول كونه رئيس دولة ام ثائر ثم اصدرت المحكمة حكماً ببراءته بعد جلسات تاريخية وقد اكسبته صفاته وحركته زعامة وطنية شعبية حتى غدا من أبرز رجالات الحركة الوطنية في سورية في أواخر العشرينات ثم صار زعيماً للكتلة الوطنية التي قادت هذه الحركة وأبلت بلاء عظيماً . وصار له مركز واسم محترمان وظل كذلك الى ان توفاه الله في سنة ١٩٣٥ ولقد زرت دمشق في سنة ٩٣٢ فالتقيت به وجددت صداقتي معه ومع آخرين من رفاقه من رجال الكتلة الذين تعرفت عليهم اثناء انعقاد المؤتمر ونوهت بهم ومنهم هاشم الأتاسي وسعد الله الجابري ومما اذكره كذكرى عن هذه الزياة اني لما دخلت عليهم كانوا يعقدون اجتماعا لهم في فندق فيكتوريا فرحبوا بي وقال لي اجلس واشهد اجتماعنا فأنت من اهل البيت فشهدت اجتماعهم ثم دعوني معهم الى الغداء في بيت أحدهم لطفي الحفار وكان في منطقة سوق مدحة باشا وكان بيتا شاميا وأكلت معهم خروفاً محشواً مع بعض المعجنات والكبة والحلويات والفواكة الشامية .

شيء عن صبحي بركات

ومنهم صبحي بركات وكانت له زعامة ووجاهة في انطاكية وكانت تربيته ولهجته تركية وكان وسيم الخلقة جادا مخلصا بشوش الوجه فتواثقنا وتصادقنا وتعاونا في نطاق المؤتمر وقد ضمته الجمعية لعضويتها فاشتد تواثقنا عبرها وكان كما قلت في الكلام عن ابراهيم هنانوا شريكا في مشروع الحركة الكفاحية في الشمال ويتردد علي معه لتدبير ما يلزم وما يمكن لهذه الحركة فكان هذا مما وثق الصلة والصداقة بيننا ولقد برز فيما بعد زعيماً من زعماء الحركة الوطنية ووصل الى رئاسة الحكومة ورئاسة المجلس النيابي في أوائل الثلاثينات وفي المرحلة السابقة لمرحلة التعاهد وكانت له مواقف وطنية شريفة ولقد التقيت به مرة اخرى حينما زرت دمشق عام ٩٣٢ وجددت عهدي به ولم اره بعد ذلك وأظن انه مات في الأربعينات رحمة الله عليه .

شيء عن صبحي الطويل

ومنهم صبحي الطويل ممثل اللاذقية وكان شاباً رزيناً حسن المحاكمة قوميا صلبا وهادئا وقد أحببنا بعضنا وتعاونا في نطاق المؤتمر وظللنا متوادين متواثقين طيلة عهد فيصل ثم افترقنا ولم نر بعضنا ولا أعرف ماذا كان من أمره واني كنت عرفت انه توفي في الخمسينات رحمة الله عليه .

شيء عن محمد الخير

ومنهم محمد الخير وهو علوى ومن ممثلي منطقة اللاذقية ايضا وكان يتكلم الفصحى ويحسن الخطابة والجدل وكان قومياً صلباً وقد احببنا بعضنا كذلك وتعاونا في نطاق المؤتمر وظللنا متوادين متواثقين طيلة عهد فيصل ثم افترقنا ولم نر بعضنا ولا أعرف ماذا كان من أمره وان كنت عرفت انه توفي في الخمسينات ايضا .

شيء عن محمد الشريقي

ومنهم محمد الشريقى وهو من اللاذقية وكنت رأيته لأول مرة في نابلس في سنة ٩١٣ حيث جاء في جولة مع يوسف ياسين اللاذقاني ايضا والذي سوف يأتي كلمة عنه بعد وكان فتي يافعا في الخامسة عشرة من عمره وكان بدا ينظم الشعر واسمعنا بعض نظمه وكان يلبس الكوفية والعقال وقد بدا متحمسا قوميا متأثرا بالحركة العربية ورجالها وشبابها وقد جعل هذا الهيأة المركزية للفتاة تضمه اليها اثناء الحرب ثم التقيت به في دمشق في نطاق المؤتمر وفي نطاق الفتاة معا وكان يحسب الخطابة وذا ثقافة حسنة فيها وكان موقفه في المؤتمر قويا فتواثقنا وتعاونا في

نطاقه وفي نطاق الفتاة معا وقد خلفني في سكرتيرية الهيأة المركزية للفتاة وظل يمارس هذه المهمة الى آخر عهد فيصل واستلم مني اوراق وسجلات الجمعية على ما ذكرته قبل وبعد عهد فيصل تخرج من كلية حقوق دمشق وصار أوفى ثقافة وقويت موهبته الشعرية وكان جاء في العشرينات الى عمان ومارس بعض الوظائف ثم اخذ يلمع ويبرز حتى صار وزيراً للخارجية لفترة من الوقت ثم اعتزل في الستينات الى ان توفاه الله في عمان في أواخرها وكان يؤخذ عليه شيء من التردد في المواقف رحمة الله عليه .

شيء عن الدكتور سعيد طليع

ومنهم الدكتور سعيد طليع وكان شابا ذكيا نشيطا ذا روح مرحة محببة مع صلابة في المبدأ القومي الوحدوي الاستقلالي وقد أحببنا بعضنا وتصادقنا وتعاونا في نطاق المؤتمر وقد ضمته جمعية الفتاة اليها ثم صار احد سكرتيري المؤتمر في دورته الثالثة الاستقلالية التي نودي فيها باستقلال سورية وملكية الأمير فيصل في شهر مارس ١٩٢٠ وكنت بدوري سكرتيرا للمؤتمر فكان ذاك مما وثق الصداقة بيننا وافترقنا بعد سقوط عهد فيصل ولم أره وقد توفي في الخمسينات على ما بلغني رحمة الله عليه .

اعضاء آخرون انعقدت أواصر الصداقة بيننا واستمرت سبق ذكرهم

وبالاضافة الى من نوهت بهم سابقاً ممن تصادقت وتواثقت وتعاونت معهم فهناك عدد آخر من اعضاء المؤتمر تصادقت وتواثقت وتعاونت معهم في نطاق المؤتمر وفي نطاق جمعية الفتاة بالنسبة لمن كان منتسبا منهم اليها وقد استمرت صلاتي بهم وصداقتي وتواثقي الى ما بعد سقوط عهد فيصل وقد سبق ان كتبت شيئا عن سيرتهم وانطباعاتي عنهم وهم رفيق التميمي وأمين التميمي ورشدي الشوا والشيخ سعيد مراد والدكتور احمد قدري ومعين الماضي والحاج أمين الحسيني وعارف العارف والشيخ راغب الدجاني ويوسف العيسى والأمير فائز الشهابي .

نزولي أنا وابراهيم القاسم في الفندق الذي قام محله فندق امية مع وفود سورية عديدة

ولقد نزلت أنا وابراهيم القاسم في الفندق الذي قام مقامه (فندق امية) القديم وكان مطلا على المرجة وأمامه نهر بردى مكشوفاً وكان فندقاً فخما في مقاييس ذلك الوقت وقد نزل فيه وفود حلب وحماة وحمص .

ما لقيه منهج فلسطين من ارتياح وتأييد

وصرنا نجتمع معا في قاعاته ونتعرف ببعضنا ونتداول في ما يجب عمله واقراره وكان منهج فلسطين قد شاع وعرف ولقي تحبيذاً وتأييدا بل اجماعا وصار هو المنهج الأمثل .

الحديث عن الدولة التي يجب تسميتها للمساعدة والتيارات التي كانت في هذا الصدد

وصار الحديث يدور حول السؤال المتوقع من اللجنة عن الدولة التي ترغب سورية ان تساعدها وكانت هذه المسألة هي الأولى والعاجلة الشاغلة للأفكار والواجب اتخاذ قرار في صددها وكان هناك ثلاثة تيارات واحد يرفض تسمية اية دولة لما في ذلك من فتح باب خطر الاستعمار بشكل ما على البلاد ويرى وجوب الاصرار على الاستقلال التام الناجز بدون حماية ووصاية وانتداب وتسمية مساعد قد تؤول بما يخل في هذا الاستقلال واحتفاظ المملكة المستقلة بحريتها في الاستعانة بمن تراه صالحا صافيا بريئا من المآرب والمطامع وكان هذا تيار القوميين الخلص من شباب .

منطلق التيار القومي الرافض للتسمية الذي كنت منه

وكان منطلق اصحاب هذا التياران الدول التي تتطلع للتسمية هي بريطانيا وفرنسا وقد انكشفت غاياتها ونياتها الرامية الى تقسيم بلاد العرب العراقية والشامية بينها والسيطرة عليها واستعمارها بالاتفاقات السرية التي نشرتها الثورة الروسية والتي كانت تجري المفاوضات فيها بينما كانت بريطانيا تتصل بالشريف حسين ليثور باسم العرب ضد الدولة الى جانب الحلفاء بوعد قيام مملكة عربية مستقلة في هذه البلاد والتي اكدتها الدولتان بعد خروج روسية وكان هذا بعد ان تم التحالف بين بريطانيا والشريف حسين الذي قطعت له به ذلك الوعد حيث كان هذا ينم عن نية غدر وخيانة وخداع فصار من الواجب رفض التسمية وطلب الاستقلال التام الناجز والاحتفاظ بحرية اختيار المساعد الأمين الذي لا مآرب له فيها بعد اذا ما اقتضت الأحوال ذلك .

تيار تسمية بريطانيا ورفض فرنسا ومنطلقه

وكان هناك تيار يعزى الى الأمير فيصل وحاشيته واخصائه يقول بوجوب تسمية بريطانيا لتكون المساعدة بشرط ان لا يمس ذلك بالاستقلال التام الناجز والسيادة والوحدة السورية مع رفض لفرنسا رفضا باتا صريحا .

وكان منطلق اصحاب هذا التيار ان بريطانيا حليفة العرب التي مولت وجهزت ثورتهم ووعدتهم بالاستقلال والحرية والوحدة وقد اكدت وعدها حينما احتج الشريف حسين وفيصل بعد نشر الاتفاقات السرية وقالت ان نجاح الثورة العربية الباهر قد غير كل شيء من ذلك وفتح الباب امام استقلال العرب ووحدتهم وقد ساعدت فيصل على المثول في مجلس السلم كممثل لوالده ثم كناطق مطالب باستقلال سورية ووحدتها وان العرب لا بد لهم من مساعد ومرشد ولن يكون لهم خير منها او بدلا عنها وان رفض فرنسة بصراحة ينطلق مما أعلنته وما تزال تعلنه من غايات ومآرب استعمارية في سورية ومما كان من موقفها حينما ذهب شكري الأيوبي الى لبنان نائبا عن فيصل وحينما ذهب هذا الى باريس للمثول امام مؤتمر السلم والمطالبة باستقلال ووحدة سورية ومن ايعازها لعملائها بطلب الحماية الافرنسية ومما كان من مسيرتها في الجزائر والمغرب الأقصى وتونس البالغة من السوء أقصاه .

تيار تسمية الولايات المتحدة ومنطلقه

وقد انبثق تيار ثالث يقول بتسمية الولايات المتحدة الاميركية كمساعدة وكان منطلق هذا التيار ما كانت تذيعه لجنة الاستقصاء الاميركية في فلسطين اولا وفي سورية ثانيا من انه ليس للشعب الاميركي وحكومته اي مطامع سياسية في الشرق الأدنى بل يفضل تجنب كل علاقة بالمشاكل الأوروبية والآسيوية والأفريقية ويرغب باخلاص ان يسود السلام الدائم وينال كل شعب حريته واستقلاله وامنه وسلامته حسب رغائبه وانه بهذه الروح يدنو من مشاكل الشرق الادنى وان اللجنة هي القسم الاميركي للوقوف جهد المستطاع على أحوال السكان ورغائبهم ليكون الرئيس ويلسون والشعب الأميركي على بينة من الحقائق في كل مناسبة يدعى الى السر عليها فيما يتعلق بمشاكل الشرق الأدنى سواء أكان ذلك في مؤتمر السلم او في عصبة الأمم

وقد اعتنقت انا وابراهيم القاسم التيار القومي الأول وصرنا ندعو اليه ونجادل من لا يأخذ به ويأخذ بالتيارين الآخرين .

لقائي بمعين الماضي ودعوتي الى اجتماع مؤسس جمعية الفتاة

وفي ثاني يوم وصولنا الى دمشق التقيت في الفندق بمعين الماضي وكنت قد تعرفت عليه في بيروت على ما ذكرته سابقا فأسرّ الي بأن هيأة جمعية الفتاة تدعوني الى اجتماع سري تعقده في بيت جميل مردم بك ويحضره الأمير فيصل وأعضاء الجمعية المؤسسون أي المنتسبون اليها قبل نهاية الحرب الموجودون في دمشق وعين الوقت الذي سوف يتم فيه الاجتماع ووعدني باللقاء

والذهاب معا حيث ظهر انه هو الآخر كان منتسباً للفتاة قبل نهاية الحرب وان الهيأة طلبت منه دعوتي الى الاجتماع لأن انتسابي الى الجمعية كان ايضا قبل نهاية الحرب .

اسماء الهيئة المركزية للجمعية آنذاك بك

وقد أخبرني ان الهيأة المركزية مؤلفة من علي رضا الركابي وياسين الهاشمي والدكتور احمد قدري ونسيب البكري ورفيق التميمي وتوفيق الناطور الذي هو سكرتير الهيأة والذي طلب منه ابلاغي ودعوتي وقد أخبرني ان الأعضاء سيتناقشون في التيارات الدائرة في صدد الدولة المساعدة والموقف الواجب وقوفه في المؤتمر وأمام لجنة الاستفتاء بنوع خاص .

ذهابي الى الاجتماع في بيت جميل مردم بك

ثم جاء في اليوم المعين فأخذني الى مكان الاجتماع الذي اظن انه كان في المنطقة المسماة اليوم بستان الرئيس أو قرب المستشفى الايطالي وقد احتشد في بيت جميل مردم بك مساء عدد كبير من اعضاء الجمعية الذين سموا مؤسسين بسبب انتسابهم الى الجمعية قبل نهاية الحرب وصار لهم حق القرار في شؤون الجمعية والعهد دون من انتسب اليها بعد دخول فيصل لدمشق .

اسماء الحاضرين من المنتسبين للجمعية قبل عهد فيصل

وكان الذين حضروا الاجتماع على ما وعته الذاكرة الامير فيصل وأخوه زيد والدكتور أحمد قدري واخوه تحسين الذي كان حاجب الامير فيصل (ياوره) وعوني عبد الهادي ورفيق التميمي وشكري القوتلي وجميل مردم بك ومعين الماضي وفخري البارودي وياسين الهاشمي ومولود مخلص ونسيب البكري وفوزي البكري وسامي البكري وجميل المدفعي وعلي جودت الأيوبي ورشدي الشوا ومحمد علي التميمي وزكي التميمي وسعيد حيدر ويوسف حيدر وابراهيم حيدر والدكتور محمد حيدر ويوسف مخيبر ورشيد الحسامي ومحب الدين الخطيب وبهجة الشهابي وفائز الشهابي وتوفيق الناطور وخالد الحكيم والشيخ سعيد الباني وبشير النقاش واحمد مريود واحمد الحسيني وصبحي الحسيني ومحمد الشريقي ورشدي الامام الحسيني وسليم عبد الرحمن وشكري الشوربجي ومحمد العفيفي والدكتور اسعد الحكيم ومحمد اسماعيل الطباع وعلي رضا الركابي وعمر الأتاسي وأحمد المناصفي وتوفيق السويدي وابراهيم هاشم وأنا لم اكن اعلم ان كل هؤلاء في الجمعية الا ليلة الاجتماع وأكثرهم رأيته لأول مرة والقليلون الذين كنت أعرفهم قبل لم اكن اعرف انهم اعضاء في الجمعية وهؤلاء ليسوا كل المنتسبين للجمعية

قبل نهاية الحرب ايضا على ما عرفته بعد من سجلات الأسماء ومن المحتمل أني نسيت أسماء أخرى كانوا حاضرين في الاجتماع ومن المنتسبين .

أسماء أخرى من المنتسبين للجمعية قبل نهاية الحرب لم يشهد أصحابها الاجتماع

ومن المنتسبين من لم يكن في دمشق آنذاك منهم نجيب بليق والدكتور بشير قصار وفوزي القاوقجي والدكتور صدقي ملحس والدكتور حافظ كنعان ونواف الشعلان ومحمد رستم حيدر ومنهم عدد من الذين شنقهم جمال منهم محمد المحمصاني ومحمود المحمصاني وصالح حيدر وعمر حمد وعبد الغني العريسي والأمير عارف الشهابي وجلال البخاري وتوفيق البساط وعلي النشاشيبي وسيف الدين الخطيب ورفيق رزق سلوم .

تنويه باعضاء الجمعية القدامى والعمل الرائد القومي العظيم في انشائها

وهكذا يبدو ان الجمعية قد ضمت في زمن الدولة العثمانية عدداً كبيراً من شباب وكهول العرب الذين كانت أخلاقهم وعواطفهم ومطامحهم وصلابتهم القومية تحركهم للنشاط والاجتماع والعمل في تنظيم قومي كبير ولقد كان لكثير منهم نشاط وجرأة عظيمة اثناء اشتداد التناحر والتشاد بين الترك والعرب واستشهد عدد غير يسير منهم بسبيل ذلك وكثير منهم برز في نشاطه وكان له جهد عظيم في عهد حكم فيصل وبعده واحتلوا مراكز عالية في الحركة العربية والسياسية في بلادهم وحققوا كثيراً من الانجازات القومية وصنعوا تاريخ قومهم وكان لهم بذلك الخلود واذا لاحظنا خطورة الموقف وشدة الخطر اللتين كانتا تحدق بشباب العرب في زمن الدولة العثمانية وبخاصة اثناء الحرب التي كان انتساب معظمهم للجمعية فيها وانهم انتظموا في هذا التنظيم السري القومي رغم ذلك بدا لنا ما كانوا عليه من قوة نفس وقوة عزيمة واستهانة بالخطر واقدام عليه واستعداد للتضحية في سبيل مطمحهم القومي ويزيد في خطورة ذلك كله ان هذا كان من قبل ستين سنة وأكثر بحيث يمكن القول ان الجمعية كان عملا قوميا رائدا عظيما .

طبع التحفظ والكتمان الذي التزمته الجمعية وحفظها

ولقد احتفظت الجمعية بسرها طيلة العهد العثماني على كثرة المنتسبين اليها ولم تكتشف سلطات الترك هذا السر برغم اعتقالها الكثير من أعضاء الجمعية وشنقها لعدد غير يسير منهم وضغطها عليهم اثناء التحقيق واجبارها اياهم على تسجيل اعترافاتهم حيث يدل هذا على صدق المنتسبين اليها وقوة اخلاقهم وصمودهم .

الكيفية التي كان يضم بها الأعضاء

ولقد كان منهج الهيأة المركزية في ضم الاعضاء قائماً على التحفظ الشديد والتكتم في وجودها اولاً وفي مفاتحة من يقع عليهم الاختيار لضمهم اليها ثانياً . ثم في اتصالها بمن ترى اخباره بأمر ما او تكليفه بمهمة ما . وكانت تحرص حرصاً شديداً على ان لا تضم اليها إلا من تيقنت من حسن خلقه وأمانته وكتمانه وقوة عزيمته وجرأته بالاضافة الى تشبعه بالفكرة القومية وتحمسه لها . وكان الشخص المراد ضمه يرشح من قبل خبير منتسب الى الجمعية سابقاً فاذا لم يكن في الهيأة المركزية من يعرف فيه صفات سيئة أو أخلاقاً ضعيفة اجل للدرس فتدرس احواله من قبل شخصين غير الذي رشحه ويختبر بالمحادثة ويسأل عنه معارفه بشتى الأساليب فاذا أسفر الدرس على الاقتناع بأهليته احيل (للمفاتحة) الى شخص يعرفه من الأعضاء فيفاتحه بأساليب متنوعة يكون معه متحفظاً قادراً على التراجع وسد الباب دون ان يترك مجالاً لاكتشاف التنظيم او الاحساس به فاذا أسفرت المفاتحة عن إيجاب أعطيت له تفصيلات قليلة ثم دعي الى اليمين على يد عضوين على الاخلاص لمبدأ وهدف الجمعية وهو بذل كل جهد لايصال الأمة العربية الى مصاف الأمم الراقية الحرة المستقلة الكبرى ثم على التضحية في سبيل ذلك بالنفس والمال وكتمان أسرار الجمعية والطاعة لأوامر هيأتها المسؤولة ويكون كل ما عرفه العضو المنضم بعد هذا هو اسم الجمعية والشخص او الشخصان اللذان فاتحاه نهائياً وحلفاه اليمين واذا أريد ابلاغه امراً او خبراً وانتدابه لمهمة ابلغ بواسطة احدهما او بواسطة مأمونة اخرى ثم يكون شأنه في الجمعية وميادين العمل تحت رايتها رهنا بما هو عليه من نشاط وفتور وقوة شخصية وضعفها وبما يقوم به من مهمات ويبدو منه من سعي في سبيل المبدأ والهدف ولقد ظل التحفظ والتكتم طابع الجمعية الى نهاية الحرب ثم في اثناء عهد فيصل .

هيئة الجمعية الأولى في اثناء الحرب

وكان من اسهام هذا الطابع ان اعتبر المؤسسون الأولون هيأة مركزية دائمة وهم : محمد رستم حيدر وعوني عبد الهادي والدكتور احمد قدرى ورفيق التميمي ومحمد المحمصاني وعبد الغني العريسي على ما ترجح عندي دون انتخابات دورية حتى بعد اتساع نطاق الجمعية بكثرة المنتسبين اليها وكان تأسيسها في باريس عام ١٩١١ ولما انتقل بعض اعضاء هذه الهيأة من باريس الى بيروت احتفظ المنتقلون لأنفسهم بهذه الصفة بالنسبة لبيروت مع ضم من كان هنا من اعضاء بارزين .

معتمدو الجمعية في المدن وكيفية اتصالاتها بالأعضاء

وقد كان للجمعية في المدن المهمة معتمدون فرديون . وكان الاتصال بالمركز والمعتمدين والأعضاء الآخرين يجري في نطاق هذا الطابع حتى ان جل الأعضاء لم يكونوا يعرفون اعضاء الهيأة المركزية ولا المعتمدين شخصياً . واشتد هذا المنهج بعد اعلان الحرب ودخول الدولة العثمانية فيها فعلا لأن الاتحاديين كشفوا سوء نيتهم تجاه الحركة العربية ورجالها وبدا منهم ما يدل على عزيمتهم على تصفيتهم اغتناماً لفرصة العرب .

تنويه بنشاط الجمعية وهيئتها اثناء الحرب

على ان اشتداد طابع التكتم والتحفظ واشتداد بلاء الطاغية جمال وجبروته لم يكن من شأنه ان يعطلا نشاط الجمعية في هذه الفترة العصيبة التي امتدت اكثر من سنتين ففيها غدت دمشق مركزا للهيأة المركزية وفيها ضم عدد كبير من شباب العرب ورجالاتهم اليها ومنها اتصلت الهيأة المركزية بالأمير فيصل حينما جاء الى دمشق في أواسط سنة ١٩١٥ ونزل في القابون في ضيافة البكري وضمته اليها ثم تكررت الاتصالات وقدمت اليه الاقتراحات التي طلب ابوه ان يطلبها منهم لتكون اساس ما سوف يطلبه من بريطانية من عهود ووعود وحدود على ما ذكرناه قبل ولقد خرج عدد منهم في أواخر الحرب من دمشق وانضموا الى فيصل في انحاء العقبة ثم جبل الدروز وعادوا معه الى دمشق .

تعريف معين لي بالأمير فيصل والأعضاء المجتمعين

ولقد عرفني معين الماضي الذي كان دليلي الى الاجتماع بأمر من الهيأة المركزية التي كانت قائمة اذ ذاك وذكرت أسماءها والتي كانت قد انتخبت من المؤسسين بعد دخول فيصل وقبل قدومي على من لم أكن أعرفه من الحشد الكبير من الأعضاء الذين احتشدوا في بيت جميل مردم بك وهم معظم الذين كانوا في الاجتماع وقدمني للأمير فيصل . ثم دار الحديث في الاجتماع حول الموقف الواجب ازاء لجنة الاستفتاء وهو ما كان الاجتماع من اجله .

مداولة المجتمعين في التيارات الثلاثة وموقفي القوي في جانب التيار الأول وكلمة فيصل عني

وكان في المجتمعين عدد غير قليل أعضاء في المؤتمر السوري وعليهم مهمة خاصة ويجب أن يعرفوا رأي جمعيتهم . وكانت التيارات الثلاثة التي مر شرحها تسري بين الأعضاء وتجعلهم ثلاث فئات . وقد تحدث من كل فئة من يحسن الكلام وكنت من المتحدثين عن الفئة القومية

الرافضة وناقشت منطلقات التيارين الآخرين وفندتها . وكنت ولا فخر قوي الحجة شديد اللهجة حتى لقد علمت ان ذلك أثار الأمير فيصل الذي كان زعيم تيار سمته بريطانيا وجعله يقول لتحسين قدري باللغة التركية (من وين طلع لنا هذا الدروزة) على ما اخبرني به تحسين نفسه ضاحكا . (بو دروزه ناردن جقطي)

منطلقي ومنطلق رفاقي في هذا التيار وشرحنا لخيانة بريطانيه

ولقد كان كلامي وكلام من تحدث من الفئة الرافضة الذي كان منهم سعيد حيدر واحمد مريود ورفيق التميمي وخالد الحكيم والشيخ كامل القصاب حول ما كان من خيانة بريطانيا للعرب سواء فيما كان من اتفاقها مع فرنسة على تقسيم بلاد الشام والعراق الى مناطق نفوذ واشراف مباشر او سواء في وعدها لليهود بالوطن القومي الشديد الخطر والاخلال على عرب فلسطين ومركزهم وعلى المنطقة كلها . وانها رغم محاولتها تهدئة الملك حسين والأمير فيصل حينما علما بذلك قبل نهاية الحرب وقولها ان الأمور تغيرت بما كان من نجاح الثورة العربية فقد ظهر انها هي وفرنسة ظلتا تتصرفان على ذلك الأساس الغادر الخائن وقد سمحت لفرنسة باحتلال لبنان والسواحل السورية وطلبت من الامير فيصل انزال الأعلام العربية عنها وسحب نائبه الذي عينه وسمحت بقيام حكم عسكري افرنسي فيها وظلت مستمرة في تحقيق وعدها لليهود وإخذت تسير في ذلك خطوات بعد خطوات والبيان الذي اصدرته فرنسة وبريطانيا في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ يؤيد ذلك ولا ينفيه لأنه جعلهما العماد والموجه والمشرف والأصل ولم يذكر فيه ثورة العرب وجهادهم وآمالهم ومطامحهم في الاستقلال والوحدة وما قطع لهم من عهود ووعود ومما قاله المتحدثون من هذا التيار أن بريطانيا اذا كانت تشجع تسميتها ورفضت فرنسا بصراحة فلا بد من انها تسعى وراء مطمع استعماري آخر لأن فرنسة شريكتها ولا يمكن ان تعمل ما يثيرها لأن لها مطامع في العراق وفلسطين والأردن لا بد لها من تأييد فرنسة لها فيها .

نفاق بريطانيا مع سوء نيتها في الموقف ومآربها في ذكر اسمها وأبتزازها لفرنسا ثم تخليها عن سورية وفيصل

وقد أظهرت سوء نيتها حينما نكصت مع فرنسا عن قرار ارسال بعثة استفتاء ولم ترسلا ممثلين عنها لأنهما كانتا تعرفان ان الأهالي سوف يطلبون الاستقلال والوحدة ويرفضون وصايتهما وحمايتهما فلم تريدا أن تربطا بما يسجله ممثلوهما من ذلك ونقول استطردا ان مصداق ذلك ظهر وشيكاً فبريطانيا كانت تريد فصل شرق الأردن عن سورية الداخلية التي هي في الاتفاقات

السرية تحت اشراف فرنسة وكانت تريد ان تكون هيمنتها على جميع فلسطين وكانت معظم فلسطين في هذه الاتفاقات تحت ادارة دولية وكانت تريد ان تكون جميع حدود الموصل داخلة في هيمنتها وكانت خرائط التقسيم تجعل بعض هذه الحدود تحت النفوذ الأفرنسي ولقد علمت فرنسة مآرب بريطانيا فلما اشتد الرفض العربي والمقاومة العربية لها عمدت الى منح بريطانيا ما ارادته وطمعت به، ومنحتها بريطانيا حينئذ حرية العمل فغزت سورية الداخلية وهدمت استقلالها وازالت ملك فيصل الاستقلالي على ما سوف نشرحه بعد دون ان يرف لها جفن من هذا العمل الخائن الغادر نحو فيصل وأبيه . ومن الجدير بالذكر ان بريطانيا سارعت بعد انتهاء الاستفتاء الذي كان اجماع عربي فيه في سورية الداخلية والمؤتمر السوري على رفض بات صريح لفرنسا وتسمية بريطانيا كمساعدة اذا لم ترض الولايات المتحدة بذلك على ما سوف نشرحه بعد الى التنصل لفرنسة من أي رغبة لها في الانتداب على سورية الداخلية او موافقة منها على ما كان رفض السوريين لفرنسا وتسميتهم لبريطانية .

لم يكسب اي تيار اكثرية فترك الفصل لأكثرية المؤتمر

ولم تسفر المناقشة في اجتماع مؤسسي جمعية الفتاة عن اكثرية مع رأي واحد وتيار واحد حيث ظلت كل فئة محتفظة برأيها وحيث تقرر أن يترك لكل منها حرية الدفاع عنه والدعوة اليه ويكون لأكثرية المؤتمر القول الفصل في ذلك .

قرارات تنظيمية للمجتمعين

وقد تداول المجتمعون بعد ذلك في شؤون العهد الفيصلي وتقرر وجوب السير في التنظيم والحكم والاستعداد على مختلف المستويات سيراً جاداً والاستمرار في توسيع نطاق الجمعية وضم العناصر الصالحة من رجال العرب وشبابهم الذين صاروا يتوافدون على دمشق من كل ناحية في مناسبة المؤتمر وغيره .

ابراز صلاتي بأعضاء الجمعية القدامى وانعقاد أواصر صداقة حميمة مع عدد منهم

وأرى ان أبرز صلاتي مع أعضاء الجمعية المؤسسين الذين شهدوا الاجتماع وغيرهم قبل ان أنتقل الى الكلام عن اجتماع المؤتمر وما جرى فيه فأقول انه كما كان شأني مع أعضاء المؤتمر كان شأني ازاءهم حيث كنت ولا فخر موضع تقدير واعجاب منهم وكانت بيني وبينهم صداقة ومودة وكان ذلك في نطاق الجمعية أوسع وأقوى منه في نطاق المؤتمر لأننا كنا في الجمعية في تنظيم

قومي واحد له اهداف واحدة وتجمع بين أعضائـه وحدة المنهج والغايـة والعمل والاخـلاص للهدف وظل ذلك مستمراً طيلة عهد فيصل ومـا بعده حيث كنـا نلتقي في مناسبـات عديـدة كأخوان وأصدقاء وأسرة واحدة نتبادل الود والتعاون .

صداقتي الحميمة مع شكري القوتلي وشيء عنها وعنه

والى هذه الصورة العامة فقد اشتدت الصداقة الحميمة والتواثق الصميم بيني وبين عدد منهم اكثر من هذه الصورة منهم شكري القوتلي وكان شاباً رصيناً جاداً ومستقيماً وصلبا يبعث في النفس الطمأنينة والدفء . وكان حسن الثقافة وكان ميسورا حيث كان لـه ولأخوتـه وأسرتـه ضيعة كثيرة الشجـر وبخاصـة المشمش حتى كان يسمى ملك المشمش وقـد تزاملت معـه في عضوية الهيأة المركزية للجمعيـة دورتين فلم المح فيه الا الاستقـامة والصـلابة وحسن الفهم وصدق الموقف وكنا متواثقين منسجمين في مختلف شؤون الجمعية والعهد ولم نكد نختلف في أمر وموقف وكان يعد من عناصر الجمعية القوية الرصينة الجادة .

وقد أخبرني والدي انه جاء بعد خروجي من دمشق حينما تحركت فرنسة لغزوها الى بيتنا وطمأنه وطمأن الأسرة واعطاه عشرين ذهبية للاستعانة بها على الحياة الى ان تلتحق بي ولقد جاء الى فلسطين في ظروف الثورة التي اندلعت سنة ٩٢٥ وأقام بضع سنين يبذل جهده ونشاطه في سبيل قضية سورية وثورتها وكان له جهد ونشاط عظيمان وتجددت في هذه المنـاسبـة صـداقتنا ومودتنا وتعاوننا واشترى ارضا في بيسان لتشجيرها . وصار في شيء من الضيق فأعطيته اربعين جنيها وقد ألح على أن يعتبره قرضا وان يسدده وقد سايرته وقد فعل . وانشأ في فترة وجوده في دمشق شركة الكونسروة التي نجحت نجاحا حسنا وطلب مني ان اجمع الناس في مدرسة النجاح ليحدثهم عنها ويدعوهم الى المساهمة فيها ففعلت وشاركته في الحث واستطعنا ان نحمل عددا من الناس على الاكتتاب فيها .

ولقد اكسبته صفاته ثقة اخوانه وغيرهم . وجعلته اثيراً لدى الملك عبد العزيز آل سعود حتى علمت انه كان يقول ان القوتلي نسيج وحده في الزهد وعدم استغلال صداقتي له أو قربه مني وعدم ابتغاء شيء لنفسه وحصر اهتمامه بشؤون اخوانه وقضية بلاده مع ان معظم من جاءوا اليه كانوا يهتمون ايضاً لأنفسهم ويجتهدون للحصول على منافع ومكاسب وأموال .

وقد كان مهتما بقضية فلسطين اهتماما كبيرا وشهد ما كان يعقد من اجتمـاعات عـامة اسلامية وعربية من اجلها . وكان من المحبذين لانشاء حزب الاستقلال . واهتم لعقد المؤتمر العربي الذي قررنا عقده وحينما تم التعاهد والتعاقد على الاستقلال والسيادة السورية بين الكتلة

الوطنية وفرنسه ١٩٣٥ـ ١٩٣٦ كان في فلسطين فعاد منها الى دمشق وذهبنا فورا الى الحدود لوداعه وجاء جمع كبير من دمشق فاستقبلوه على الحدود وكانت فرصة لنا التقينا فيها بكثير من شباب ورجال الحركة الوطنية السورية ولقد قامت نتيجة لذلك جمهورية برئاسة هاشم الأتاسي فعهد اليه في حكومتها بوزارتي المالية والدفاع فكان فيهما مثال رجل الدولة القوي الأمين . ولما جئت الى سورية زائراً سنة ١٩٣٧ ثم مقيما تجددت صداقتنا وتواثقنا وكان يبذل جهده في تلبية طلبي وتأييد نشاطي في مجال الثورة الفلسطينية التي كنت أقوم على تدبيرها كما كان يهتم بشؤوني الخاصة بروح الصديق الوفي وكنا نرى بعضنا دائماً رغم مشاغله في الحكم حيث كان يلح علي بأن أديم زيارتي له في بيته وصرت موضع سره واستشارته في مختلف الشؤون الخاصة والعامة وقد احسن مواساتي حينما توفيت ام زهير رحمة الله عليها ١٩٣٨ فجاء الى المستشفى ثم اشترك في التشييع وأرسل للبيت طعاما . وكان ينتقد جميل مردم بك رئيس الوزارة ويشكو لي من بعض تصرفاته . واختلف معه في مسائل مهمة فجاء الى بيتي وأفضى لي بهمومه ورغبته في الاستقالة فأيدته في موقفه لأني كنت أتابع الأحداث واعرف صدق شكواه . وطلب مني أن أكتب له كتاب الاستقالة ونصحته ان يكون مختصرا حتى لا تشتد الحالة سوءاً بين الأخوين فأخذ بنصيحتي وبعد ان استقال ظل قوي المركز والنشاط خارج الحكم وأكسبته استقالته ثقة الناس واعجابهم . وأهلته للزعامة الوطنية الشعبية حينما نكثت فرنسة في عهدها وألغت المعاهدة في سنة ١٩٣٩ . وأخذت تقوم حركة وطنية مناوئة مقاومة ، وأوصلته زعامته هذه الى رئاسة الجمهورية حينما اضطرت فرنسة أثناء الحرب الى منح سورية استقلالها والموافقة على قيام جمهورية سورية . وفي ظروف زعامته احتاج الى بعض المال وكان تحت يدي مال من الاعانات التي كانت تأتي للثورة الفلسطينية فأعطيته ألفي ليرة لأني رأيت ذلك جزءاً من الثورة والعمل الوطني وبعد قليل اعتقلتني السلطات الأفرنسية وحكمت علي فكان شديد الاهتمام بأمري والتطمين لأسرتي . ولما هزمت فرنسة في سنة ١٩٤١ كان لمساعيه أثر في اطلاق سراحي مع رجالات سورية السياسيين المعتقلين ولقد قضيت بعد خروجي من السجن بضعة أشهر وكانت زعامته الوطنية قد توطدت وكان اللقاء بيني وبينه متواصلا نتحدث ونتشاور في مختلف الأحداث الجارية ورأى في سباق الأحداث ان يسافر الى بيروت للالتقاء برجالاتها فألح علي بمرافقته وكنت رفيقاً وشريكا له في ما كان من اجتماعاته معهم ولقد اضطررت بعد ذلك الى الخروج من سورية بسبب الغزوة الانكليزية الديغولية واللجوء الى تركية فافترقنا بضع سنين وكان خلالها مهتما بعائلتي التي بقيت في دمشق كما اهتم بشؤون ومصير ولدي زهير الذي كان في بغداد بعد ثورة رشيد عالي وفي هذه الأثناء صار رئيسا للجمهورية فأرسل الينا تطمينا ولما انتهت الحرب وعزمنا على العودة أمر بأن يوعز للقنصل المصري في

الآستانة الذي كان يقوم بأعمال القنصلية السورية بمنحي مع أخي محمد علي وابني زهير ورفيقنا أكرم زعيتر اشارة دخول الى سورية ولما عدت عادت صلاتنا وصداقتنا الى عهدها السابق . وكان لا يمضي يومان حتى يستدعيني الى قصر الجمهورية والى بيته ليفضي لي بهمومه ويستشيرني . ولم يكن يقيم وليمة لعربي سياسي او غير سياسي الا ويدعوني ويقربني من مجلسه حتى عرف جميع الناس عبر كل هذا أني أوثق اخوانه به صداقة ومحبة وانسجاما وقد تبرع بنفقة اول كتاب طبعته بعد عودتي من تركية وهو عصر النبي وبيئته قبل الاسلام . واستجاب لرغبتي في الاهتمام لبعض رجال الثورة والحركة الوطنية الفلسطينية الذين كانوا في دمشق وأمر بتخصيص بعض المبالغ لهم واعتمدت في توزيعها . ولما قام حسني الزعيم بانقلابه ضده واعتقله أرسل اليّ من معتقله رسالة يستشيرني فيها في تلبية طلب حسني الزعيم بالاستقالة رسمياً من رئاسة الجمهورية حتى يطلق سراحه فأرسلت اليه أنصحه بأن لا يفعل وأخبرته بما علمت من اهتمام حكومة مصر وملكها وحكومة السعودية وملكها بأمره والاحتمال الكبير باطلاقه نتيجة لذلك غير أنه ازاء تأزم الوضع واصرار زعيم الانقلاب فقد كتب استقالته في سطرين وجّهها الى الشعب وسمح له بالسفر الى مصر واستمرت الصلة بيني وبينه وهو في مصر وكنا نتبادل الرسائل في الشؤون العربية[1] ولما عاد سنة ١٩٥٤ عادت صلاتي الى حالتها الحميمة ثانية ولما عاد لرئاسة الجمهورية في عهد سنة ١٩٥٥ استمرت صلاتنا وصداقتنا على نفس الوتيرة وكنت الح عليه في أمر الوحدة بين سورية ومصر الحاحاً شديداً ومتواصلاً اغتناماً لفرصة وجوده في الحكم ووجود جمال عبد الناصر الذي انعقد بينهما أواصر صداقة وانسجام وكان يتكلم كثيراً في أمر الوحدة العربية وكان يتجاوب معي ويطلب ان أكتب له المقترحات والمشاريع الوحدوية ليتحدث فيها مع جمال وأقدمها له ويتبناها ويقدمها في مذكرات منه الى أن نضج الأمر بتأثير عوامل عديدة اخرى وتمت الوحدة السورية المصرية في شباط ١٩٥٨ فكان سرورنا عظيماً وكان ثنائي عليه وثناء الناس عظيماً منوهين بأنه أول رجل عربي ذي رئاسة موطدة يتخلى عنها في سبيل الوحدة وبما ضربه بذلك من مثل خالد . وقد تجمعنا الأحياء من جمعية الفتاة ذهبنا اليه فهنأناه بهذا الموقف العظيم الذي فيه احياء وتحقيق للمبادىء التي اعتنقناها منذ شبابنا الأول واخذنا معه صوراً تذكارية اوقفني فيها الى جانبه وكان سرور الفلسطينيين عظيماً لأنهم اعتبروا ذلك خطوة على طريق تحرير وطنهم وذهبنا وفداً كبيراً اليه مهنئين منوهين مستبشرين وأخذت لنا معه صورة تذكارية اخرى .

---

(١) نشرنا بعضها في كتابنا في سبيل قضية فلسطين والوحدة العربية .

وظلت صلاتنا على حالتها الحميمة يزورني وأزوره وأرسل بواسطته المذكرات والاقتراحات لجمال عبد الناصر ويرسل لي جوابات هذا المشجعة وظل الأمر على ذلك الى ان وقع الانفصال المشؤوم في ٢٨ أيلول ٩٦١ وكان هو في أوروبا فصدر منه ما يفيد تأييد الانفصال وفعل كذلك حينما عاد الى دمشق حيث ألقى في التلفزيون خطابا وزرته وعاتبته فأخذ يشكو لي من شيوعية جمال وتصرفات الحكم الخاطئة في التأميم والمصادرة ولم اكن سمعت منه قبل شيئاً من ذلك بل كان يحمد جمالا ويثني عليه وكان موضع احترام جمال الكبير حتى سماه المواطن الأول وكان يزوره حالا حينما يأتي الى دمشق . وظل على حسن صلة معه الى ان سافر الى أوروبا قبل الانفصال وقد ناقشته في ذلك ولم يكن لديه ما يستطيع اقناعي بصواب موقفه وقد ذكرت له انه يفسد بموقفه كل تاريخه. وانه ينسى ان الانكليز والاميركان هم وراء هذه الجريمة التي نفذت بمباشرة من الرجعية العربية العميلة وتعضيد من الملك سعود . ولقد حزنت أشد الحزن من موقفه وجعلني حزيناً مكسوراً وسافر هو الى بيروت ومرض فيها . وزاره اخي في اثناء سفره لبيروت فسأله عني وكلفه بالسلام عليّ ولم يلبث طويلاً حتى توفاه الله في أواخر سنة ١٩٦٧ على ما أظن واتى بجثمانه الى دمشق فاشتركت في موكب تشييعه لمثواه الأخير رحمة الله عليه .

شيء عن أحمد مريود

ومنهم أحمد مريود وهو من قرية جباتا الجولانية وكان متوسط الثقافة ولكنه ذكي ألمعي نبيه سريع البديهة صلب جاد مستقيم جريء في الحق صادق في السريرة والسيرة ثوري الروح والنهج وقد تعلق كل منا بصاحبه تعلقاً شديداً وتزاملنا في الهيأة المركزية للجمعية وانسجمنا في جميع المواقف بدون أي شذوذ وخلاف وكان ذا محاكمات صائبة وآراء سديدة . وقد أكسبته صفاته صداقة واعجاب اخوانه ورجال الحركة وشبابها من غيرهم حتى من بعض من لم يكن بينهم وبينه انسجام ولما أزم الموقف بين الافرنسيين وبين عهد فيصل أخذ يقود حركة كفاح مسلح شديدة ضدهم حتى لقد كان تسليمه من شروط الانذار الذي وجهه الجنرال غورو الى الملك فيصل على ما سوف نشرحه بعد وقد تعاونا في نطاق المؤتمر وفي نطاق الجمعية الى ان سقط الحكم الفيصلي وخرجنا معا من دمشق وافترقنا في درعا حيث ذهب هو مع كثير من الأخوان الى عمان وذهبت انا وبعض آخرين من الفلسطينيين الى فلسطين وقد ذهبت في أوائل عهد الأمير عبد الله الى عمان فالتقينا ثانية وجددنا عهد الصداقة وظل محتفظاً بروحه الثورية بل ازداد فيها وكان مدبراً لحادث دير غزالة الذي قتل فيه رئيس الوزارة السورية التي كانت في العهد الافرنسي الاحتلالي الأول علاء الدين الدروبي واحد وزرائه عبد الرحمن اليوسف حينما جاءا الى حوران بأمر من المحتلين لتهدئة أهل حوران وكان مدبر حادث اطلاق النار على غورو

في حوران الذي نجا منه وأصيب مرافقه . وكان الحادثان عقب الاحتلال بقليل واشتغل في حكومة الأمير عبد الله معاوناً لمدير أمور العشائر وما لبث ان اختلف معه لتهاونه فيما زعم انه جاء من أجله وهو تحرير سورية ولانصياعه لهيمنة بريطانية ورضوخه لوصاياها وأوامرها واشتدت فرنسة في طلبه من بريطانية واشتدت هذه في طلبه من الأمير فغادر عمان الى بغداد وكان قد تم الاتفاق بين بريطانيا والملك فيصل أن يكون ملكا للعراق معترفاً باستقلال وسيادة العراق مع قواعد عسكرية وهيمنة سياسية ولكن روح العراق كانت قوية فكان ذلك اخف وقعا وأثراً مما كان لبريطانية في عمان وأقام في بغداد في أمن يتمتع باحترام الملك وأخوانه الكثيرين من رجال العراق ورجال سورية الذين جاءوا وصاروا ينشطون في العهد الفيصلي الجديد ولما اندلعت الثورة في سورية سنة ٩٢٥ سارع فالتحق بها وأخذ يجاهد الى أن استشهد في احدى المعارك بعد ابلائه اعظم بلاء رحمة الله عليه وكان من نذالة الافرنسيين ان أتو بجثته وجروها مع جثث شهداء آخرين في شوارع دمشق شفاء لغلهم وحقدهم اخزاهم الله .

شيء عن الأمير بهجة الشهابي

ومنهم الأمير بهجة الشهابي الذي ذكرناه ذكرا عابرا سابقا وهو متخرج من مدرسة حقوق الآستانة وكان ذا اخلاق رضية وسريرة صافية وكان قومياً استقلالياً صلب العقيدة فضمته الجمعية اليها اثناء الحرب وكان سديد النظر والمحاكمة وقد تعلق كل منا بصاحبه وصرنا اصدقاء حميمين طيلة العهد الفيصلي وتعاونا احسن تعاون عبر الجمعية ونشاطها وقد عين في عهد فيصلٍ الأول مديراً عاما للشرطة فسار في عمله سيراً مستقيماً حازماً وبعد سقوط الحكم الفيصلي التقينا في نابلس فترة ما لأن شقيقته كانت متزوجة بالدكتور فؤاد أبي غزالة فجددنا عهدنا وزرت دمشق سنة ٩٣٢ فجددنا العهد ثانية وقضينا معا أسبوعاً في مصيف بلودان وكان الفندق الكبير في دور الانشاء فنزلنا في فندق كان قريباً منه ولما قام العهد الاستقلالي برئاسة هاشم الأتاسي عين أميناً للعاصمة فترة ومحافظاً لاحدى المحافظات السورية وكان مستقيم السيرة نشيطاً حازماً . وصار نقيباً للمحامين مرتين فكان ناجحاً رضياً في اخلاقه وسلوكه ولما جئت الى دمشق سنة ٩٣٧ مقيماً تجددت صداقتنا الحميمة واستمر كذلك ولما عدت من تركية بعد غياب أربع سنين تجددت وظلت مستمرة وكان اللقاء متواصلاً بيننا نتداول شؤون الساعة وكان سروره عظيماً بالوحدة السورية المصرية ولكن لم يكن له نشاط سياسي وكان قد تقاعد عن العمل مكتفياً بما كان يأخذه من معاشات تقاعدية من الحكومة ومن نقابة المحامين وظللنا على صلاتنا ولقاءاتنا الحميمة الى ان توفاه الله فجأة سنة ١٩٦٨- ومن عجيب الصدف انه كان يتمنى ان لا يمرض وأن يموت فجأة وكان له ما اراد رحمة الله عليه .

شيء عن ياسين الهاشمي

ومنهم ياسين (باشا) الهاشمي وكان ضابطاً في الجيش العثماني أركان حرب ووصل الى رتبة عالية . وعرفت الهيأة المركزية للفتاة بأنه قومي استقلالي وحدوي جاد صلب الاخلاق فاتصلت به وضمته الى عضوية الجمعية اثناء الحرب وكان مركز عمله في دمشق حينما انسحب الاتراك فبقي فيها ولما قام عهد فيصل تولى الشؤون العسكرية فيه بعنوان رئيس المجلس العسكري الشوري وكان ذكياً ألمعياً سريع البديهة ولقد سجلت انطباعاتي عن شخصيته في الجزء الأول من كتاب حول الحركة العربية الحديثة الذي كتبت مسودته في سنة ٩٤٣ في تركية هكذا (لقد كان لياسين شخصية قوية جعلته في العهد الفيصلي محترماً مرهوباً وكان من أركان الفتاة وعمدها وكثيراً ما كانت كلمته هي الفاصلة ورأيه هو الحاسم في ما كان يجري من مناقشات ويرسم من خطط وأحسن وصف يمكن ان يوصف به انه كان يفرض نفسه فرضاً فيفتقد في غيابه ويسبغ على الجلسة التي كان يشهدها خطورة وثقة ويناط به الفصل في المهمات . ويرى فيما يبديه من رأي ويرسمه من خطة صواب وبعد نظر وقوة نفوذ وكان حاسماً في رأيه جدياً في مظهره قليل الكلام قليل المزاح قليل الابتسام بعيد الغور يوحي لمخاطبه خطورة وراء مظهره الصامت الجاد وآرائه الحاسمة وغوره البعيد) . وقد تزاملنا في الهيئة المركزية للفتاة وتعاونا تعاوناً صادقاً وكانت ثقته فيّ كبيرة وكان يقدرني ويعجبه احساني للتنظيم وهو الذي اقترح ان أتولى سكرتيرية الهيأة وكنت صلة الوصل بين الهيأة وبينه في الشؤون المتعلقة بعمله الرسمي العسكري حيث كانت الظروف تقتضي الاستعانة به في بعض الأعمال والحركات .

ولقد كانت فرنسة وبريطانيا تخشيانه لمقدرته العسكرية والتنظيمية ولصلابة موقفه القومي بالنسبة لسورية والعراق معا حتى ان بريطانيا حينما اتفقت اتفاقها الخائن مع فرنسة على منحها حرية العمل ضد سورية واعتزمت سحب ما لها من فرقة عسكرية فيها في أوائل سنة ١٩٢٠ احتالت عليه ودعته الى معسكرها في دمشق وارسلته مخفورا الى الرولة قبل سحب قوتها حتى تحرم سورية منه في وقت اشتداد الأزمة من جراء انسحابها على أساس ما سوف نذكره بعد وكان ذلك ما اتفقت عليه مع فرنسا او كان في الوقت نفسه بطلب من هذه . ولقد اعادته بريطانيا الى دمشق فيما بعد نتيجة لالحاح فيصل وما أحدثه عملها ازاءه من سخط شديد مشترطة عليه وعلى فيصل ان لا يتولى مركزا عسكريا فعالا ولكن هذا لم يمنعه من المشاركة في المواقف حين تأزمها .

ولقد ظل في سورية بعد مغادرة فيصل ولم تتحرش به القوات الافرنسية المحتلة لأنه التزم بوعده فلم يكن منه موقف شديد ضد تحركاتها . ولما صار فيصل ملكاً للعراق استدعاه فكان من أقوى وأبرز رجالات الحكم في العراق وظل محتفظاً بصلابته وحكمته وكان احياناً يأتي الى فلسطين فتتجدد صداقتنا معه ، وقد تعاونا معه وهو في العراق ونحن في فلسطين في نطاق عزيمة

رجالات العرب على عقد مؤتمر عربي عام في بغداد حيث كان هو عضواً في لجنة تحضيرية عراقية وكنت انا عضواً في اللجنة التحضيرية الرئيسية في فلسطين وقد حالت الظروف وتدخل الانكليز ثم موت فيصل دون انعقاده والتقيت به في بغداد في أيلول ١٩٣٣ حينما توفي الملك فيصل وذهبت مع بعض الاخوان للاشتراك في موكب جنازته وجددنا عهد الصداقة في الأيام القليلة التي قضيناها في بغداد وكان شديد العطف على قضية فلسطين وساعد في تسيير حملة فوزي القاوقجي في أواسط عام ١٩٣٦ وكان رئيساً للوزارة ثم كان انقلاب ضد حكومته باشره بكر صدقي العسكري بالتواطؤ مع حكمة سليمان وآخرين فغادر العراق الى دمشق ثم ذهب الى بيروت وقام فيها وما عتم أن توفي في مطلع سنة ٩٣٧ رحمة الله عليه وأتى بجثمانه فدفن في مقبرة صلاح الدين الأيوبي في دمشق تقديراً له من الحكومة الوطنية الاستقلالية التي كانت برئاسة هاشم الأتاسي وشركاء جهاده القوتلي والجابري ومردم بك حيث كانوا أيضاً رفاق جهاد له مقدرين له مزاياه العظيمة وقد خلد في تاريخ النشاط القومي والسياسي وفي اذهان من يعرفه بل في الأوساط العربية جميعها اسما لامعا مدوياً ولا زال اسمه يذكر بالاعجاب والتقدير وقد ذهبت من فلسطين مع نخبة من اخواني الاستقلاليين الى دمشق للمشاركة في تشييع جنازته .

ولقد كان له نشاط وشخصية قوية نافذة في العراق يحسب حسابها كل الفئات بما فيهم الملك فيصل سواء في ظروف كان فيها معارضاً او ظروف ما كان يمارس فيها الوزارة ورئاسة الوزارة ولم نر ضرورة الى التوسع في ذلك .

شيء عن مولود مخلص

ومنهم مولود مخلص وهو ضابط عراقي كان التحق الى الثورة الهاشمية بقيادة الأمير فيصل ودخل الشام معه وكان قوي الشخصية جريئاً صلباً وان لم يبلغ في ذلك وفي فنه العسكري مبلغ ياسين الهاشمي وقد تعلق كل منا بصاحبه . وانعقدت صداقة حميمة بيننا واستمرت طيلة العهد الفيصلي ثم عاد الى العراق بعد قيام مملكة فيصل وكان من أعضاء اللجنة التحضيرية البغدادية للمؤتمر العربي الذي أشرنا اليه في نبذتنا عن ياسين فتعاونا عبرها ثم التقينا به حينما ذهبنا الى بغداد للاشتراك في موكب جنازة الملك فيصل فجددنا العهد به . وتوفي في الأربعينات رحمة الله عليه .

شيء عن جميل المدفعي

ومنهم جميل المدفعي وكان هو الآخر ضابط عسكري وممن انضموا الى قيادة الأمير فيصل

الثورية في الجبهة الشمالية ودخلوا مع فيصل للشام وكان صلباً نشيطاً وان لم يكن شديد الذكاء والألمعية وكانت العراق تتحرك في عهد فيصل ضد الاحتلال الانكليزي فاضطلع بمهمة الاتصال بالقائمين بالحركات وامدادهم بالمال والسلاح من سورية بقرار من الهيأة المركزية للفتاة وكنت سكرتيرها وصار من مهمتي ان اتعاون معه وأدبر ما يمكن ويلزم تدبيره لمهمته . فكان هذا مما وثق الصداقة بيني وبينه واستمرت طيلة العهد الفيصلي وكان الانكليز قد حكموا عليه غيابياً بالاعدام فجاء بعد سقوط هذا العهد الى شرق الأردن وعمل في حكومة الأمير عبد الله فترة من الوقت الى أن قامت مملكة فيصل فصدر العفو عنه فعاد واندمج في النشاط السياسي والقومي وتولى مناصب وزارية في حقب مختلفة وتولى اكثر من مرة رئاسة الوزارة وقد التقيت به في سنة ٩٣٣ في مناسبة موكب جنازة فيصل وجددنا عهد الصداقة ثم التقيت به في أواخر سنة ٩٣٧ حينما ذهبت الى بغداد لتأليف لجنة دفاع عراقية عن فلسطين وكان يتولى رئاسة الوزارة وجددنا عهد الصداقة وكان على خلاف وتشاد مع نوري السعيد فكلفني بالاجتماع به وعرض سفارة لندن عليه حلا للخلاف وابعادا له عن بغداد ولكن نوري السعيد لم يقبل وظل يسعى حتى استطاع ان يحل محله بعد امد قصير وكان يعطف على القضية الفلسطينية ويهتم بها وساعدني على تأليف لجنة الدفاع ولم اعد أراه ولكن صداقتنا كانت مستمرة ونتبادل التحيات مع الاخوان الآتين والذاهبين الى أن توفاه الله في الستينات رحمة الله عليه وكان من رجالات العراق الذين برزوا ولعبوا دورا في تاريخه في عهد فيصل وبعده .

شيء عن علي جودة الأيوبي

ومنهم علي جودة الأيوبي وهو كالسابقين ضابط عراقي وممن انضموا الى قيادة فيصل ودخلوا الشام معه وكان مرناً بحبوحاً وكان شريكاً لجميل المدفعي في مهمة الاتصال بالحركة الكفاحية العراقية فكان يتردد علي كثيراً معه من اجل ذلك فتوثقت بذلك الصلة والصداقة بيننا واستمرت الى أن توفاه الله في الستينات رحمة الله عليه . وتولى مناصب وزارية عديدة وصار رئيسا للوزارة اكثر من مرة وكان يهتم بقضية فلسطين ويعطف عليها كذلك وآخر مرة رأيته في موكب جنازة الملك فيصل وظللنا نتبادل التحيات مع المسافرين وبالجملة كان من رجالات العراق الذين برزوا في دور فيصل وبعده .

شيء عن توفيق السويدي

ومنهم توفيق السويدي وهو من شباب العراق ايضا وكان في باريس للدراسة حين انشئت جمعية الفتاة فكان من مؤسسيها أو أوائل المنتسبين اليها وعضواً في هيأتها المركزية وهو من أسرة

بارزة وقد قدم الى دمشق في أوائل العهد الفيصلي وكان عضواً في الهيأة المركزية للفتاة التي الفناها انا ورفاقي على ما سوف أذكره بعد وكان سكرتيرا للمؤتمر العراقي الذي اجتمع في دمشق وقرر استقلال العراق حينما اجتمع المؤتمر السوري وقرر استقلال سورية في ٨ مارس ٩٢٠ وهو الذي اعلن قراره على الجماهير بعد ان اعلنت انا عليها قرار المؤتمر السوري على ما سوف اشرحه بعد وهو رصين رزين حسن الثقافة والبداهة وان لم يكن شديد الاندفاع وقد التقيت به في دمشق مرارا وتعاونا في نطاق جمعية الفتاة وقام بيننا ود وان لم يبلغ مبلغ صداقة حميمة ولما قام عهد فيصل في العراق ذهب اليه واندمج في حركة شباب ورجال العراق مؤيداً حيناً ومعارضاً حينا دون اندفاع كبير وصار وزير خارجية مرة او اكثر وصار رئيس وزارة مرة وكان له موقف قوي في هيئة عصبة الأمم في تأييد قضية فلسطين حينما وصت اللجنة الملكية بتقسيمها وناقشت العصبة توصيتها في سنة ٩٣٧ على ما سوف نشرحه بعد وكان اذ ذاك وزيرا للخارجية في حكومة جميل مدفعي ولم التق به بعد دمشق الا مرة في بغداد في خريف سنة ٩٣٧ حين ذهبت لأسعى في توسيع تشكيلات لجنة الدفاع عن فلسطين وقد ترددت عليه في بيته وفي الوزارة وكنا نتبادل الأحاديث في قضية فلسطين ومستقبلها وكانت فلسطين اذ ذاك متوترة موشكة على انفجار كبير فكان ينصح بالاعتدال وبعد هذه الرحلة لم اره وظل ينشط الى أن وافاه اجله في الستينات رحمة الله عليه .

شيء عن محب الدين الخطيب

ومنهم محب الدين الخطيب وقد تعرفت به حينما جاء الى دمشق مع وفد حزب الاتحاد السوري الذي ذكرت خبره في نبذة الشيخ كامل القصاب وكان شابا لينا دمثا ولكنه صلب في مبادئه القومية العربية الوحدوية الاستقلالية وله نزعة اسلامية فتعلق كل منا بصاحبه وانعقدت أواصر الصداقة الحميمة بيننا وكان ممن انضموا الى جمعية الفتاة اثناء الحرب فكان ذلك مما وثق الصلة والصداقة والتعاون بيننا . وكان قبيل اعلان الحرب قد فرّ الى مصر بسبب **مطاردة جمال** لرجال الحركة العربية واندمج في حركة حزب اللامركزية وصار مساعداً لسكرتير الحزب العام وكان هو في الحقيقة حامل عبء السكرتيرية وقد اهتم لتاريخ حركة المؤتمر العربي في باريس وأصدر كتاباً بذلك تحدث به عن تاريخ القضية العربية وقد انتدبه الحزب اثناء الحرب لمهمة في الهند فاعتقله الانكليز ردحا من الزمن ثم افرجوا عنه فعاد الى مصر ولما اعلن الشريف حسين الثورة ذهب الى مكة متحمساً مستبشراً وتولى تحرير مجلة القبلة التي كان يصدرها الشريف حسين وكان قوي القلم بليغه ثم عاد الى مصر واندمج في حركة حزب الاتحاد السوري وجاء الى دمشق مع وفد هذا الحزب في أوائل العهد الفيصلي وبعد سقوط عهد فيصل ذهب الى مصر وانشأ داراً

للطباعة والنشر فكان له مطبعة ثم مجلة اسبوعية اسمها الفتح ومجلة اخرى شهرية اسمها الزهراء وكانتا اسلاميتي النزعة وكان ذا ثقافة واسعة اسلامية وعربية وكان اصلاحياً تجديديا سلفيا اي داعيا الى طريقة السلف الخالية من التزمت والحشو والفلسفة الزائفة حتى لقد سمى مطبعته باسم (السلفية) وقد كتب عدة كتب اسلامية اجتماعية عظيمة النفع كما نشر كتباً عديدة للامام ابن تيمية وغيره من علماء المسلمين البارزين وقد اهتم لوثائق الحركة العربية الحديثة وتجمع لديه منها الكثير حتى ليكاد يكون اكثر جامعا لها كما صار له مكتبة كبيرة ولقد استمرت الصداقة بيننا على البعد وطبع لي جزئي كتابي مختصر تاريخ العرب والاسلام مرتين ومرة كتابي دروس التاريخ العربي واهداني بعض مطبوعاته التي بقلمه والتي لعلماء آخرين ولقد زرت مصرا مرارا قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها فكنت كلما ذهبت ابحث عنه وأزوره واجدد عهد الأخوة والصداقة معه واهداني بعض مطبوعاته التي بقلمه والتي لعلماء آخرين ولقد زرت مصرا مرارا قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها فكنت كلما ذهبت ابحث عنه وأزوره واجدد عهد الأخوة والصداقة معه واجده على حالة من الروح الطيبة واللين في الخلق والصدق في القول والصلابة في العقيدة الاسلامية الصافية والعربية القومية وقد لمست فيه في آخر مرة التقيت به في سنة ١٩٤٧ شيئاً من التشاؤم من حالة العرب والمسلمين فحاولت ان أبث فيه الأمل فسايرني مسايرة وقد ظل يعمل في الطباعة والنشر بقوة ودأب ويخدم الاسلام والعروبة بقلمه وجهده الى ان توفاه الله في أوائل السبعينات رحمة الله عليه .

شيء عن فخري البارودي

ومنهم فخري البارودي وهو من اسرة وجيهة وكان والده من وجهاء دمشق وله بيت شامي كبير وديوان مطروق في حي القنوات وميسور الحال وكان له املاك في دوما والشام وقد ذهب الى الآستانة وانتسب الى مدرسة الحقوق وكان قوي الحماس للحركة العربية مما جعل الهيئة المركزية للفتاة تضمه اليها اثناء الحرب العالمية الأولى وكان أول لقائي به في دمشق في نطاق الفتاة وبدا لي شابا ذكيا نشيطا لا بأس في محاكمته وأفكاره جريئاً على النقد وقول الحق ميالا الى الدعابة والتنكيت ذا روح طيبة ومواقف سليمة فتواثقنا وتعاونا وفي عهد الافرنسيين برز كزعيم شباب وطني متحمس وشعبي في اثناء تجدد الحركة الوطنيه بعد فتور الثورة السورية اي في أوائل الثلاثينات وكان يقود المظاهرات ضد الافرنسيين وتعرض لمطاردتهم اكثر من مرة حبسا ونفيا فزاده ذلك بروزا وشعبية ومحبة بين الجماهير وبدا له ان يؤسس مكتب ابحاث ونشر وطني على ان يغذى بجباية زهيدة شعبية سماها (مشروع الفرنك) واقبل الناس على تلبية دعوته فاستطاع ان يحقق هدفه وخصص جناحا في بيته ليكون مركز أبحاث ونشر وجهزه بالآلات الناشرة واستعان ببعض الشباب

وأصاب نجاحا حيث صار المكتب ينشر نشرات دعاية وتوجيه اناشيد وطنية وقد التقيت به في دمشق حينما جئت وأقمت فيها وتوليت تموين وتأجيج الثورة في فلسطين وجددنا عهد صداقتنا واتفقت معه على تخصيص زاوية في مكتبه الذي صار يدعى (المكتب العربي القومي) لنشر نشرات الثورة والدعاية لها مقابل عشرة جنيهات في الشهر للنفقات والورق وسلمت الزاوية للأستاذ اكرم زعيتر الذي سوف يأتي كلمة وافية عنه في مناسبة اكثر ملائمة وصارت الزاوية تنشط في مهمتها نشاطاً مفيدا. وقد اندمج فخري في عهدي استقلال سورية في سني ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ثم في سنة ٩٤٣ بعدها ونشط مع النشيطين وصار نائباً في المجلس النيابي مرتين دون بروز كبير وظل يحتفظ بروح الدعابة والتنكيت والشعبية مع جرأة في النقد والحق وكان ينظم أناشيد وطنية وينشرها ومنها انشودة :

بلاد العرب أوطاني من الشام لتطوان

ونشر بعض كتيبات بعنوان مذكرات البارودي ذكر فيها نشأته واحوال الشام في طفولته وقبلها وبعض احداث اخرى . واهتم بالموسيقى العربية القديمة وبخاصة الموشحات الأندلسية واحيا ما يسمى رقصة السماح . وقد أنشأ بيتا جديدا ، وكان له مكتبة عامرة فيها كثيراً من الوثائق فأصابته في اوائل الستينات قنبلة من طائرة كانت تقصف بعض التجمعات في ظروف انتكاس الوحدة السورية المصرية فهدمته واحترقت المكتبة فكان ذلك بالنسبة اليه والى التاريخ العربي الحديث كارثة رغم ما حصل عليه من تعويض . ولم يلبث ان توفي . وشيع في موكب شعبي عظيم مشيناً فيه ولمسنا ما كان له في قلوب الجماهير التي اشتركت في تشييعه بدون مؤثر خارجي من محبة وشعبية اعترافا بما كان له من نشاط وخدمة في سبيل امته ووطنه رحمة الله عليه .

وبالاضافة الى من ذكرت فقد كانت الصداقة الوثيقة منعقدة بيني وبين عدد آخر من اعضاء الجمعية القدامى تعرفت بهم اثناء عهد فيصل وقبله وتعاونت معهم في هذا العهد عبر الجمعية وعبر المؤتمر الذي كان بعضهم اعضاء فيه واستمرت صلاتي بهم وصداقتي وتعاوني معهم الى ما بعد عهد فيصل ومنهم رفيق التميمي وذكي التميمي ومحمد علي التميمي ومعين الماضي والدكتور احمد قدري والدكتور حافظ كنعان والدكتور صدقي ملحس والشيخ كامل القصاب وسليم عبد الرحمن ورشدي الشوا والأمير فائز الشهابي وسعيد حيدر والدكتور محمد حيدر وعوني عبد الهادي وقد كتبت شيئاً عنهم فيما سبق فاكتفى بهذه الاشارة في هذا السياق .

شيء عن الأمير (الملك) فيصل وصلتي به

ومع ان الأمير فيصل (الملك فيما بعد) كان ذا مقام رسمي عال ومع اني لا أقول ان

صداقة حميمة قامت بيني وبينه فاني أقول اني التقيت به كثيرا في العهد الفيصلي لقاءات عامة وخاصة عبر الهيأة المركزية لجمعية الفتاة التي كانت تمثل حزب عهده وحكومته ثم عبر المؤتمر السوري الذي كنت سكرتيره ايضا . وكثيرا ما تناولت الطعام وطعام الفطور صباحا معه وخاصة في ظروف قرار المناداة بالاستقلال وتأليف الوزارة وكنت القى منه عطفا وتقديراً وقام بيننا نوع من الألفة وعدم الكلفة مع القول اني كنت اتجرأ على نقد افكاره وطلباته في مواقف عديدة في الاجتماعات الخاصة والعامة للفتاة وغيرها . ولم يؤثر ذلك على تلك الألفة وعدم الكلفة . ولما صار ملكا على العراق أرسل لي ساطع الحصري الذي كان التحق به رسالة يدعوني فيها الى العراق لأشارك في بناء الدولة الجديدة في أي عمل اقترحه . وأعتقد أن ذلك كان بأمر من فيصل أو علم منه ومتصلا بذلك التقدير والألفة ولقد خرجنا من دمشق معا في كارثة ٢٤ تموز ٩٢٠ والتقينا في درعا اياما قليلة في حزن ووجوم ثم ركبنا القطار معا واستمر هو الى حيفا ونزلنا نحن في العفولة للسفر منها الى نابلس وقد تودعنا وتصافحنا وكل منا يبث في الآخر الأمل والتقينا بعد ذلك ثلاث مرات مرة حينما رجع والده من قبرص الى عمان وكان مشرفاً على الموت وقد ذهبنا الى عمان مع وفد كبير من رجال نابلس رفاقنا في الحركة الوطنية وقد جاء هو من بغداد لعيادة والده فكان اللقاء حارا بشوشا يذكر بما كان من الالفة وعدم الكلفة وكانت حيويته ونشاطه قد عادا اليه وبث فينا الأمل ووعدنا بالعمل والمساعدة ومرة جاء الى فلسطين في طريق رحلة لأوروبا او عودته منها في سنة ١٩٣١ فكان اللقاء كالمرة الأولى وكنا قبل ذلك عقدنا في القدس مؤتمرا عربيا وكنت عضوا في الهيأة التحضيرية التي عهد اليها بالسعي لعقد مؤتمر عربي عام وخاطبنا اخواننا في العراق ياسين وجميل وعلي جودة ومولود مخلص وطلبنا منهم تأليف لجنة واقناع فيصل بعقد المؤتمر في بغداد وتم تأليف لجنة منهم مضافا اليهم نوري السعيد وكنا نتكاتب وكان فيصل يعرف ما يجري فلما جاء الى فلسطين هذه المرة كلمناه في صدد المؤتمر فوعد بمضاعفة الجهد في سبيله ولقد أقام له المجلس الاسلامي حفلة كبرى وخطب الخطباء وذكروه بقضية فلسطين فوعد وعيونه تدمع ببذل جهده المتواصل في ايجاد حل عادل لها ثم التقينا به مرة ثالثة في عمان في تموز ١٩٣٣ في ظروف رحلة له لأوروبا وتحدثنا معه في قضية فلسطين والمؤتمر العربي ووعد بمضاعفة الجهد بعد عودته لاتمام عقد المؤتمر في صدد قضية فلسطية قال انه يفكر في طريقة جديدة وهي ربط شرق الأردن بالعراق وجعل فلسطين مرتبطة بالعراق بنوع ما عبر ذلك وأفهمنا انه يجري بينه وبين الانكليز حوار حول انشاء خط بغداد حيفا الحديدي وحول تمديد خط أنابيب النفط وحول التفاهم على خطة جمركية موحدة وقال ان في كل ذلك وسائل قد تساعده على تحقيق أفكاره في صدد فلسطين ولصالح القضية العربية وقابلته منفرداً حين كلفني باعداد مذكرة عن قضية فلسطين ليأخذها معه ويعرضها على الانكليز في رحلته وكان بيننا وبين الحاج امين الحسيني شيء من الفتور بسبب انشائنا حزب

الاستقلال فخلا بي وبعوني عبد الهادي وطلب منا عدم توسيع الجفاء بأسلوب الأخوة والالفة وعدم الكلفة المعتادة بيننا في دمشق وكان هذا آخر العهد به فقد قضى نحبه في أوروبا بعد شهرين من ذلك أيلول (١٩٣٣) واحضر جثمانه الى بغداد وذهب كثير من رجال شرق الأردن وغربه لحضور المأتم وكنت منهم وقضينا اياما مع اخواننا ورفاقنا في بغداد نتذاكر في قضايا العرب وذكريات صحبتنا للملك ونشاطه رحمة الله عليه ، ولا أريد أن أعلق على هذه الصورة من صلاتي به وهي صورة ناطقة معبرة . ولقد علمنا في بغداد انه قدم مذكرة في رحلته الى الحكومة الانكليزية ضمنها بعض المقترحات لصالح القضية الفلسطينية في نطاق ما ذكرناه آنفاً وكان وقع موته مدهشاً وشملت الدهشة البلاد العربية واذهلتها لأنه وقد تمكن من السير بالعراق الى حد لا بأس به واصبح له به شخصية قوية مؤثرة في العالم العربي والأوروبي وقد نضج في حلبة السياسة وصار المتأهل للزعامة العربية الكبرى وصار يقال ان العراق تحت زعامته سيلعب دور بروسيا في نهضة ألمانيا ووحدتها ومما كان في ظروف رحلة لفيصل قبل الأخيرة انه زار فرنسا واقامت له حكومتها حفلا رسميا كبيرا وخوطب بلقب ملك القطرين وأشيع على أثر ذلك ان هناك شيئاً من التقارب والتفاهم بينه وبين فرنسا يمكن ان يؤدي الى وحدة ما تحت تاجه بين الشام والعراق ورددت الصحف ذلك ولكنه ظهر انه كان هناك شيء من الالتباس فوسعه الخيال ثم تبدد هباء بموته .

موقف الأمير عبد الله عقب وفاة الملك فيصل في صدد الحلول محله في دوره القومي وظهور زيفه

وقد أقامت مدن فلسطين حفلات تأبين في الأربعين وخطبت في حفلة القدس مشيدا بجهود فيصل وجهاده وشخصيته ومن قبيل الشيء بالشيء يذكر أقول :

ان الأمير عبد الله كان من جملة من ذهب الى بغداد لحضور المأتم وكنا في ركب واحد ودعانا انا وعوني عبد الهادي وعادل العظمة في منزل استراحة في الطريق الى اجتماع خاص وتحدث في القضية العربية بعد فيصل وأبدى استعداده لحمل تبعاتها اذا نحن الاستقلاليون (وهذا اللقب كان يطلق على جماعة الفتاة الذين انشأوا حزب الاستقلال الأول في دمشق في عهد فيصل ليكون ستارا للجمعية التي احبوا ان يحتفظوا بسرها) . الناس الوحيدون الذين اصبح يعتقد باخلاصهم وقوة مبادئهم ، على حد قوله ساعدناه كما ساعدنا فيصل وقد وعدناه بكل تأييد اذا هو كان مستعدا لحمل العبء حقا وصدقا ولم يعد يستمع لمقالات بطانة السوء ووساوس الانكليز ولم يعد يقف المواقف المناوئة لرجال الحركة العربية في فلسطين وغيرها ولم يعد يؤيد قبول واقعية وعد بلفور والوجود اليهودي السياسي في فلسطين كما كان يفعل منذ عشر

سنين فوعد . وبعد قليل من العودة من بغداد أذاع منشورا شكر فيه الناس على عطفهم وجميل وفائهم نحو أخيه الراحل وأشار الى واجباته نحو القضية العربية وعزمه على مضاعفة جهده في سبلها وأرسل الينا المنشور قبل طبعه لنطلع عليه واقترحنا بعض التعديلات فلم يأخذ بها.

كلمة عن الأمير زيد وصلتنا به

اما الأمير زيد أخو فيصل وعبد الله الذي كان مع فيصل في الجبهة الشمالية ودخل معه لدمشق فقد كان شاباً يافعاً وحيوياً وقليل التكلف والترسم وكان صديقاً حميماً لصديقي الحميم الأمير بهجة الشهابي فكانت صلتي به اشد الفة وأقل كلفة مما كان بيني وبين اخيه حتى لتكاد تكون صداقة حميمة .

شيء عن علي رضا الركابي ومواقفه وصلتنا به

وعلي رضا الركابي لم تقم بيني وبينه صداقة حميمة ولقد كان من أبرز اعضاء الجمعية القدامى وشغل جزءاً كبيراً في عهد فيصل وبعده وكانت لنا على كل حال صلة وأخوة عبر الجمعية وتعاملنا كثيراً في العهد الفيصلي نذكر عنه شيئاً في هذه السلسلة ولقد رأيته لأول مرة في نابلس في زمن الدولة العثمانية وحينها كنت موظفاً في دائرة البرق والبريد ولست متيقناً ان ذلك كان بعد اعلان الدستور او قبله وكان ميرالاي (عميدا وزعيم اصطلاح اليوم) اركان حرب ومنتسبا في فرقة عكا العسكرية التي كانت مؤسسات نابلس العسكرية تابعة لها وكان في سن الأربعين او اقل قليلا صارم الوجه وكان شديدا في اداء مهمته مشهورا بالنزاهة ذا سمعة مرهوبة في الأوساط العسكرية ثم صار في اثناء الحرب (لواء) وعين قائداً لمركز دمشق في أواخر الحرب على ما اذكر وقد رأت الهيأة المركزية للفتاة في دمشق ان تضمه اليها ولا بد من انها رأت في صفاته المؤهلات و في ضمه الفائدة واستجاب هو لذلك وانتهت الحرب وظل في دمشق وكان من أقوى الأشخاص العسكريين البارزين العرب السوريين خاصة فعهد اليه الأمير فيصل برئاسة الحكم وعينه اللنبي قائد الحلفاء العام في المنطقة حاكما عسكريا لسورية الداخلية ولا أعرف يقيناً اذا كان ذلك بترشيح من فيصل ام ان سمعته او صلابته هي التي جعلت اللنبي يختاره لهذا المنصب ومما سمعته من مواقفه انه كان يختلف احيانا مع فيصل ويحاوره في أوامره وتعليماته وسياسته وانه قال له مرة انه ليس مأمورا لديه وانه هو الحاكم العسكري الرسمي الصحيح المعين من قيادة الحلفاء العامة التي تعتبر سورية الداخلية خاضعة لسيطرتها مثل

سورية الساحلية وسورية الجنوبية وانها هي مرجعه وحينما جئت الى دمشق كان عضوا في الهيأة المركزية للفتاة نتيجة انتخاب او اول انتخاب جرى في عهد فيصل من قبل اعضاء الفتاة القدامى مع آخرين ذكرت اسماءهم سابقاً وسمعت ثم تحققت فيما بعد انه كان بينه وبين ياسين الهاشمي شيء من التناظر والتكايد او كليهما وقد سقطت اليهأة التي كان فيها في انتخاب جديد جرى بعد مدة من قدومي الى دمشق وخلفناها انا ورفاقي وكان ذلك في آب او أيلول ١٩١٩ ومن تعاملنا معه في عهد فيصل وهو حاكم عسكري وبمثابة رئيس وزارة او رئيس حكومة المديرين كما سميت رسميا ثم رئيس أول وزارة قامت بعد اعلان استقلال سورية بدا لنا منه شيء من الاستخفاف بالهيأة الجديدة التي خلفت هيأته وتبليغاتها ومحاولات لعرقلة مطالبها او تجميدها والسير فيما كان يراه هو دونها وكانت مواقفه في ظروف الاتصالات والاحتكاكات مع فرنسة لينة او مهاودة ثم اتهم بأنه كان ذا اصبع في خطف ياسين الهاشمي الذي أشرنا اليه في كلمتنا عن ياسين فكان نقد وضغط شديد ضده في اوساط الجمعية وكانت الهيأة المركزية للفتاة تؤيد ذلك فاستقال من رئاسة حكومة المديرين والحاكمية العسكرية واسرع الأمير زيد الذي كان نائبا عن اخيه الذي كان في أوروبا في رحلة ثانية له بعد الاستفتاء الى قبولها لأنه كان هو الآخر يرجح ان له اصبعا في خطف ياسين وكان الأمير صديقا حميما لياسين متواثقاً معه وقد عين الامير مكانه الأميرالاي مصطفى نعمة والمرجح ان الظروف كانت غير مواتية له لمراجعة قيادة الحلفاء العامة او التمرد والتمسك بأنه الحاكم العسكري المعين من هذه القيادة وهكذا اصابته الضربة . وظل معتزلا الى ان عاد فيصل من أوروبا . وكان الظرف السياسي متأزماً فرأى فيصل رتق الفتق فاعاده الى رئاسة حكومة المديرين ومع منصب مدير الحربية وبعد قليل قرر المؤتمر السوري اعلان استقلال سورية بملكية فيصل في اوائل مارس ١٩٢٠ وصار المقتضى ان تكون الحكومة وزارة فأصر فيصل على أن يعهد اليه برئاسة الوزارة برغم انه اي الركابي لم يكن محبذاً عملية الاستقلال ويصفها بالمغامرة والتهور وبرغم ما عرف من مواقفه المتهاودة المتساهلة والمراوغة معا . وكان فيصل يرمي الى التأليف وعدم ترك مجال لمعارضة قوية للعهد الجديد قد يعمد اليها الركابي ويكتل بعض الكتل فيها ولم تر الهيأة المركزية ان تختلف مع فيصل في أول عهده فسايرت وقبلت بترأسه الوزارة برغم ما كان من استخفافه بها ومراوغاته في ما تتقدم به من مطالب ومقترحات . ولقد ظل في رئاسة الوزارة على سلوكه في المراوغة وعدم الانصياع لقرارات الهيأة وانتقاده ما يبديه رجال الجمعية والمؤتمر والحركة الوطنية من تصلب وتطرف على حد تسميته ثم على تساهله ازاء ما كانت تثيره فرنسة من متاعب وتخططه من خطط لاحباط عهد الاستقلال الجديد وتحقيق مطامعها في سورية ثم اخذ يدور همس بأنه يسعى للحصول على امتياز استثمار غور الأردن بالشراكة مع نسيب البكري ثم صار الهمس جهرا وكان الصهيونيون

يطمعون في هذا الامتياز في زمن الدولة العثمانية على ما ذكرناه قبل . فقامت في نفوسنا هواجس باحتمال أن يكون المسعى الجديد متصلا بذلك[1] وكانت ضجة ودعت الهيئة المركزية الى اجتماع عام للمؤسسين في بيته وجرت مناقشات حادة وندد عدد من المتكلمين من الهيأة وغير الهيئة بتصرفاته تنديداً شديداً وقاد الحملة خاصة الشيخ كامل القصاب فلم يسعه إلا أن يعلن استعداده للاستقالة اذا كان هذا هو ما يريده الأخوان وحينئذ هتف الشيخ كامل قائلا اننا أيها الأخوان متفقون مع الأخ الركابي[2] على الاستقالة واستقال فعلا وخلفه في رئاسة الوزارة هاشم الأتاسي وكان ذلك في نيسان أو مارس ٩٢٠ وقد حقد على الهيأة واخذ يؤلب عليها من استطاع من دمشقيين وغيرهم وممن يطمعون في عضوية الهيأة من الأعضاء او من كانوا يوالونه ويطمعون في مراكز ومصالح منه فطلبوا من الهيأة بعد قليل من استقالته الدعوة الى اجتماع عام للمؤسسين واستطاعوا ان يكونوا اكثرية في غياب عدد من المؤسسين وان يحصلوا على قرار من أكثرية الحاضرين بتجديد انتخاب للهيئة التي كانت مؤلفة مني ومن شكري القوتلي ورفيق التميمي وسعيد حيدر واحمد مريود والدكتور احمد قدري وقد سقط هؤلاء في الانتخاب وفاز فيه كل من الركابي وجميل مردم بك ونسيب البكري واحمد الحسيبي ومحمد الشريقي وآخرين لم اعد اذكرهم وصار محمد الشريقي سكرتيراً وجميل مردم بك أميناً للصندوق. وسلمت انا ما لدي من سجلات وأوراق للشريقي وسلم شكري القوتلي الذي كان امين الصندوق ما تحت يده من مال كان في حدود (١٦٠٠٠) جنيه على ما بقي في ذاكرتي الى جميل مردم بك .

ولقد بقي الركابي في دمشق بعد غزو الافرنسيين لها واسقاطهم عهد فيصل لأنه لم يكن متهما بنشاط معاد للافرنسيين بل يكاد يكون صديقا ويظهر ان الطرفين اكتفوا بهذا الموقف لأن الركابي لم ينشط نشاطا ايجابيا نحوهم ولم يدخل في خدمتهم وبعد مدة استدعاه الامير عبد الله

---

(١) ان اليهود ظلوا دائبين وراء هذا الاستثمار مما يجعل هذه الهواجس في محلها

(٢) ذكر الدكتور احمد قدري في مذكراته ان الجميع عدا الشيخ كامل كان يطلب استقالة الركابي وهذا عجيب والحقيقة هي ما ذكرته وصورة المشهد ما تزال ماثلة بقوة في ذاكرتي .

الى عمان واسند اليه رئاسة الوزارة الأردنية ونشط في سبيل تنظيم العلاقة بين الأردن والانكليز وكان الانكليز قد رحبوا بتعيينه ولعلهم هم الذين اوعزوا به . وقد قضى في الأردن نحو سنتين ثم عاد الى دمشق وعاش معتزلا وقد بلغ الشيخوخة الى ان توفي في الثلاثينات غفر الله له .

وكانت صلاتي به كما قلت صلات عمل في نطاق الجمعية ولم يكن احدنا يبادل الآخر ودا ولا استلطافاً ولكن لم يكن بيننا تجهم او عداء وكنت التقي به فنتحدث كأخوان في الجمعية وفي ذهني اني التقيت به لآخر مرة في سنة ٩٣٧ في دمشق في شارع فتصافحنا وسلمنا على بعضنا وما ذكرته ليس من وحي ذلك وانما هو حوادث واقعية يعرفها غيري أيضاً .

كلمة عن جميل مردم بك وصلتي به

وكلمة يحسن ان تسجل عن جميل مردم بك فهو الآخر من أركان جمعية الفتاة وصار له اسم مثير بارز في التاريخ العربي المعاصر وبخاصة في التاريخ السوري .

ومما سمعته انه درس بعض الوقت في الآستانة ثم ذهب للدراسة في باريس ولقد كان شابا ذكيا ذا طموح ومرونة ويحسن الخروج والولوج في مختلف المواقف وقد رأيته لأول مرة في الاجتماع العام في بيته وكان ينسب اليه عارفون انه يحب البروز والوصول بأي وسيلة وكان على ما يظهر يكثر الكلام الحماسي عن العروبة وحقوق العرب فقررت الجمعية ضمه اليها وصار من اعضائها القدماء حينما كان في باريس والغالب ان الافرنسيين عرفوا طموح جميل ورغبته في البروز فأرادوا استغلال ذلك وحمله على تأييدهم أمام مجلس السلم او انكار حق فيصل في الكلام عن سورية فسارع محمد رستم حيدر وعوني عبد الهادي اللذان هما من الفتاة وهما اللذان ضما جميلا لها واللذان كانا مع فيصل الى تنبيهه ومنعه على ما ذكرناه سابقا ، ولقد كانت هذه الصفات بادية في سلوكه في اثناء عهد فيصل يلمحها اكثر اخوانه في الجمعية وغيرهم مضافا اليها روح او نعرة اقليمية وكان من أثر ذلك اندماجه مع الركابي في اسقاط هيأتنا المركزية ليصير عضوا في الهيأة وأميناً لصندوقها وكان من أثر ذلك ايضا اندماجه في حركة الحزب الوطني السوري الذي كان في الحقيقة حزبا شاميا او دمشقيا ضد العراقيين والفلسطينيين البارزين في عهد فيصل الذين كانوا يسمونهم اغرابا ويتذمرون من بروزهم ونشاطهم وأثرهم في العهد الفيصلي وكان هذا مما منع توطد صداقة حميمة وثقة بيننا ، كتلك التي كانت بيني وبين شكري القوتلي وأحمد مريود والأمير بهجت الشهابي وغيرهم . ولقد كان في عهدته مبلغ كبير من المال للفتاة في آخر عهد فيصل وجاءه الأعضاء يطلبون منه شيئاً منه لاضطرارهم الى مغادرة دمشق وضيق يدهم وكنت انا من الجملة

فأعطى هذا عشرين وهذا ثلاثين وهذا أربعين جنيها واخذت انا اربعين ومن المحتمل ان يكون ما وزعه آنئذ الفي جنيه وان كنت ارجح انه بقي معه شيء من المال وسمعت انه يقول انه انفق ما كان لديه على اعضاء الجمعية بعد خروجهم ايضا والله اعلم .

وحينما اشتدت الحركة الوطنية السورية وانفجرت ثورتها في سنة ١٩٢٥ اندمج في هذه الحركة وصار من ابرز رجالها وظل بارزا بعدها في مجال الحكم فصار وزيرا في وزارة حقي العظم ١٩٣٢ الذي لم يكن مستقيماً في الخط الوطني ثم صار رئيس وزارة الحكم الاستقلالي الأول في سنة ١٩٣٦ برئاسة هاشم الأتاسي وصار وزير الخارجية في الحكم الاستقلالي الثاني سنة ١٩٤٣ وبرئاسة الوزارة برئاسة شكري القوتلي وكان سلوكه في ظل هذه المناصب مشوبا بتلك الصفات على ما كان يقوله اخوانه وعلى ما كان يلمس من اعماله واقواله وكان ذلك يؤدي الى نشوب خلافات ومشادات بينه وبين اولئك الأخوان وقد مر في نبذة القوتلي ان هذا استقال من الوزارة في سنة ٩٣٩ نتيجة لذلك . واذا لم يكن بيني وبينه صداقة حميمة فاني أقول انه لم يكن بيني وبينه جفاء او عدم مودة واستلطاف كما كان الشأن بيني وبين الركابي وكنت القى منه ترحيباً وتعضيداً في المطالب العائدة للحركة الفلسطينية والثورة الفلسطينية اثناء ثورة ٩٣٧ ـ ٩٣٩ التي توليت تأجيجها من دمشق وكنا كلما التقينا في عهد فيصل أو في أبان اقامتي في سورية قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها يكون اللقاء وديا وحاراً واخوياً كزملاء في الجمعية وزملاء في النشاط والأهداف والحركات الوطنية والقومية ولقد ماتت ام زهير وهو رئيس الوزارة في سنة ٩٣٨ فاشترك في الصلاة عليها وتشييع جنازتها مع اخوان كرام، القوتلي والقصاب والجابري وغيرهم وقد اتهم مع سعد الجابري باغتيال الدكتور شهبندر الذي كان معارضاً لعهده وعهد اخوانه في سنة ٩٣٦ ـ ٩٣٩ ففر الى بغداد وبقي فيها الى ان ثبتت براءته فعاد واندمج في حركة الاستقلال الجديدة ١٩٤٣ وقد ترأس الوزارة على أثر وفاة سعد الله الجابري وبعدها وكان آخر عهدي به في أواخر الخمسينات وقبيل الانقلاب الذي قام به حسني الزعيم ضد شكري القوتلي الذي ذكرناه في نبذة هذا ثم خرج في أوائل الخمسينات ولم يعد الى دمشق وتوفي في مصر في اواخر الخمسينات رحمة الله عليه .

ولم ينته الكلام عن جمعية الفتاة ورجالها ولسوف نعود اليه ولا سيما في صدد نشاطها وكيانها في العهد الفيصلي .

ما جرى في المؤتمر وازاء لجنة الاستفتاء

ونأتي الآن الى ذكر ما جرى في المؤتمر وازاء لجنة الاستفتاء فنقول انه بعد ان احتشد جمهور

كبير من ممثلي مناطق سوريه الداخلية والجنوبية والغربية دعوا الى الاجتماع وكان ذلك في اواخر حزيران ١٩١٩ .

عقد المؤتمر اجتماعاته في النادي العربي

وعقد الاجتماع في قاعة النادي العربي الواسعة وبناية هذا النادي كانت في المكان الذي يقوم فيه النادي العربي اليوم مجددا في شارع بور سعيد قرب سينما الأهرام .

انتخاب فوزي العظم رئيسا وعبد الرحمن يوسف نائباً وأنا سكرتيرا وكلمة عن الرئيس ونائبه

وبعد التعارف جرت انتخابات للرئاسة ونيابة الرئاسة والسكرتارية فاز في الأولى محمد فوزي العظم وكان يلقب باشا وكان تولى لفترة ما وزارة الاوقاف في زمن الدولة العثمانية . وهو كهل ذكي نشيط قوي الشخصية وان لم يكن مثقفا ثقافة واسعة وللثانية عبد الرحمن اليوسف وكان يلقب كذلك بلقب باشا . وكان في زمن الدولة العثمانية عضوا في مجلس الأعيان واميرا للحج . وكان من أولياء الحكومة الاتحادية وممن ارفقتهم هذه الحكومة بجمال وطلبت من جمال ان يكون من مستشاريه على ما ذكرناه قبل . وهو قوي الشخصية ولكنه أقل ذكاء وثقافة من محمد باشا العظيم وفزت أنا بالسكرتيرية .

لجنة تدقيق وثائق توكيل الاعضاء

وبعد ذلك طلبنا من الأعضاء تسليم وثائق عضويتهم وتوكيلاتهم للمكتب وألفنا لجنة للنظر فيها مع التفاهم على وجوب التساهل في وثائق الوافدين من الجنوب والغرب المحتلين من قبل الانكليز والافرنسيين وبعد ذلك انعقدت جلسة رسمية جاء اليها الأمير فيصل وأركان حكمه .

خطاب الأمير فيصل في الاجتماع الأول وعن مهمة المؤتمر

وألقى فيصل خطابا ارتجاليا رحب فيه بالأعضاء وذكر ما كان من مساعيه في مؤتمر السلم في صدد مطالب العرب وبخاصة في صدد استقلال سورية ووحدتها وما كان من مواقف فرنسا وبريطانيا ازاءه وما ذكره في مؤتمر السلم من يقظة العرب ومطامحهم وحركتهم وتضحياتهم في زمن الدولة العثمانية وما كان من ثورتهم ومحاربتهم الى جانب الحلفاء استنادا الى ما وعدوه لأبيه من المملكة العربية المستقلة ثم قال انه نتيجة لذلك قرر المؤتمر بالحاح من الرئيس ويلسون ارسال لجنة

استفتاء للوقوف على رغبات الأهالي وأنه رأى ان يدعو الى مؤتمر سوري عام يمثل جميع مناطق سورية ليكون معبرا عن رغبات جميع سورية بصورة جماعية ورسمية ثم طلب من المؤتمر التداول ووضع القرار الذي فيه رغباتهم ومطالبهم .

اقتراحه تأليف لجنة لوضع مشروع دستور للدولة

وقال ان هذا هو المطلوب من المؤتمر الآن ومن المستحسن ان يؤلف المؤتمر قبل انفضاضه لجنة لتضع مشروع دستور للدولة السورية المأمولة

مباراة الخطباء في الكلام بالدور وحسب ادارة الرئيس للجلسات

وافتتح الرئيس المؤتمر بالدعوة الى مناقشة خطاب الأمير وتقرير ما يجب تقريره لعرضه على لجنة الاستفتاء وأخذ المحسنون للكلام من الأعضاء يسجلون اسماءهم ويتكلمون كل في دوره بأسلوب منظم وكان الرئيس حصيفا قويا مالكا لزمام المؤتمر وجلساته ونظامه وكنت مساعدا ناجحا على ذلك ولا فخر .

كان هناك مسلمات لم يطل النقاش فيها وتقرر ما يقتضي فيها بسهولة مثل الاستقلال والوحدة وانكار دعاوى فرنسة ورفض وعد بلفور ودعاوى اليهود

ولقد كان هناك أمور مسلم بها فلم تستغرق نقاشا طويلا مثل الاستقلال التام والوحدة السورية بحدودها الطبيعية ورفض وعد بلفور دعاوى اليهود في فلسطين والاصرار على عدم فصل فلسطين بخاصة عن سورية وانكار كل دعوى ومطمح لفرنسة في اي ناحية من انحاء سورية فسجلت القرارات المناسبة في كل ذلك داخلة في نطاقه لأنها راشدة تستطيع ان تقيم حكمها القومي الديمقراطي بدون ذلك والاصرار على الاستقلال التام واحتفاظ الدولة السورية المستقلة بالاستعانة بمن تشأ في الأمور الفنية المتنوعة وحيث قيل انه اذا تقبل هذا وأصر مؤتمر السلم على ذكر دولة منتدبة للمساعدة والارشاد فتكون الولايات المتحدة الاميركية التي اعلنت ان لا مطامع لها، والتي كان رئيسها دخل الحرب الى جانب الحلفاء على أساس مبادئه الأربعة عشر التي منها الغاء كل المعاهدات والاتفاقات والوعود السرية والتخلي عن المطامع الاستعمارية والهيمنة بأي أسلوب على أي بلد وشعب ومنح الشعوب حق تقرير مصيرها واحترام رغباتها، على شرط أن تكون المساعدة المطلوبة من الولايات المتحدة مساعدة فنية غير ماسة بأي شكل

بالاستقلال الناجز التام ومحدودة بعشرين سنة وحيث تقرر ان تسمى بريطانيا لتكون مساعدة على نفس الشروط بسهولة وسرعة .

تقرير شكل الدولة المطلوبة تحت تاج الأمير فيصل

ولقد استتبع قرار استقلال سورية موضوع شكل الحكم فكان اقتراح بأن تكون مملكة تحت تاج الامير فيصل لما كان من جهوده وجهاده في الثورة العربية وفي سبيل استقلال سورية على ان تكون نيابية ديمقراطية يتساوى فيها الناس في الحقوق والواجبات على اختلاف الميول والمذاهب والأديان وقبل هذا الاقتراح بدون نقاش طويل ايضا .

طول النقاش واحتدامه في صدد تسمية الدول المساعدة ودفاعي مع بعض الرفاق عن عدم التسمية

ثم انتقل الكلام الى موضوع تسمية الدولة المساعدة التي كان لا بد من طرقه لأنه من صلب مهام لجنة الاستفتاء وقد استغرق مدة طويلة وجرى نقاش طويل حاد احيانا ونوقشت عبر ذلك التيارات الثلاثة التي ذكرناها ودافع أصحاب كل تيار عن فكرتهم وكنت انا وآخرون عديدون ندافع عن التيار الأول .

التوفيق بين التيارات في رفض الانتداب وطلب المساعدة الفنية المحدودة من اميركا فان لم تقبل تسمى بريطانيا مع رفض فرنسة

وكانت حصيلة النقاش توفيقا بين التيارات الثلاثة حيث تقرر رفض (الانتداب) الذي عبر به عن المساعدة والارشاد ، والاحتجاج على جعل سورية خاضعة للانتداب . فاذا لم تقبل الولايات المتحدة ان تكون هي الدولة المساعدة لأسباب ما ، فبريطانيا التي حالفت العرب وكانت ثورتهم في سبيل استقلالهم وحريتهم مستندة لوعودها وعهودها ومساعدة منها ، وتقرر رفض فرنسا رفضا باتا بأي شكل كان لما كانت تعلنه جهارا من مطامعها في السيطرة والهيمنة على بلاد سورية ولما كان من مسيرتها الاستعمارية الاستبدادية القمعية البالغة السوء في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى .

الكلام على وجوب الوحدة بين بلاد العرب والوحدة الاقتصادية بخاصة بين سورية والعراق وتقرير تسجيل ذلك

وتطرق بعض المتكلمين الى ما يربط بين سورية والبلاد العربية الأخرى من روابط قومية

وروحية وتاريخية واقتصادية تمتد الى اكثر من الف وثلاثمائة سنة وقالوا انه يجب ان يذكر في القرار رغبة اهل سورية بأن يكون بينهم وبين هذه البلاد وبخاصة بين سورية والعراق الملاصقة لها والتي كانت تعيش في جو واحد معها في زمن الدولة العثمانية والتي كان كثير من ضباطه مشتركا في الثورة الهاشمية بقيادة فيصل وحدة اقتصادية وقد لقي هذا الكلام ارتياحا وتقرر دمج ذلك في القرار .

لجنة الصياغة التي كنت فيها وجهدي فيها

ثم قرر المؤتمر تأليف لجنة لصياغة القرار فتم ذلك وكنت انا ويوسف الحكيم وسعيد حيدر اعضاءها او من اعضائها وكانت المسودة الأولى التي نوقشت في اللجنة من صياغتي وبعد ان تم تركيزها في اللجنة عرضت على الاجتماع العام ونوقشت حتى تركزت في صيغتها النهائية المنشورة في مصادر عديدة .

وفد يمثل مناطق سورية لمقابلة اللجنة وتقديم القرار وكنت منه

ثم انتخب المؤتمر من اعضاء المؤتمر خمسة من كل منطقة من المناطق الثلاثة غير الرئيس ونائبه وسكرتيره الذين عدوا اعضاء طبيعيين لمقابلة اللجنة الاميركية التي كانت نازلة في فندق فيكتوريا على الجسر .

استقبال اللجنة واستقبالات اخرى لها

وقد استقبلتهم اللجنة وتسلمت منهم القرار وطرحت بعض الأسئلة عن كيفية تأليف المؤتمر وتمثيله للأهالي فمذاهبهم وأديانهم وميولهم وعن سبب رفضهم لفرنسا ورفضهم لوعد بلفور والدعاوى اليهودية وطلبهم ان تكون سورية بحدودها الطبيعية الخ . . فكان الرئيس احيانا وانا احيانا وبعض الأعضاء احيانا يجيبون على اسئلتها وكانت المقابلة في اوائل تموز ١٩١٩ وقد أحبت اللجنة ان تستقبل بعض رؤساء الدين النصارى والمسلمين واليهود من اهل سورية الداخلية وبالأحرى من دمشق لأن هؤلاء كانوا في دمشق فتقدم لها عناصر عديدة منهم وقدموا لها عرائض مماثلة او مؤيدة للقرار واجابوها على ما وجهته اليهم من اسئلة وقالوا لها ان المؤتمر يمثل جميع انحاء سورية في الداخل والجنوب والغرب وفي مختلف فئاتها وأديانها .

لم أصوت أنا وبعض رفاقي على التسمية ودفاع عن القرار

ومع اني وعددا آخر من رفاقي لم نصوت لأي اسم انسجاما مع رأينا الأول على ما ذكرته

سابقاً فان القرار لا يتضمن ما أريد غمزه به من الموافقة على مبدأ الانتداب والوصاية لاميركا وان لم تقبل فلبريطانيا واذا كان الأمر في صدد الحجة الكلامية والعهدية فالقرار قد تحفظ كل التحفظ سواء في الاحتجاج على مبدأ الانتداب ام في رفضه لأية دولة مع الرفض الصريح الصارم بالنسبة لفرنسة . وكل ما احتواه الموافقة على طلب المساعدة التي تحتاجها الدولة في المجال الفني والاقتصادي من اميركا وان لم تقبل فمن بريطانيا اذا كان لا بد من التسمية مع التوكيد على ان ذلك لا يمس الاستقلال التام . ومن جهة ثانية فان مسألة فلسطين ورفض وعد بلفور ودعاوى اليهود وهجرتهم وتوكيد كونها جزءاً من سورية المستقلة كان كل ذلك في القرار قوياً صريحاً معبراً على رأي جميع اهل مناطق سورية ولم يكن في صدده اي شذوذ . وفي هذا رد على كل الدعاوى اليهودية بموافقة فيصل قبله بشكل ما على مطالبهم بقطع النظر عما في هذه الدعاوى من زيف وقد قبل فيصل ذلك وصار ما قبله عدما ثم قبله ثانية حينما نودى به ملكا حيث تضمن قرار المناداة به ملكا ، ذلك ايضا .

لجنة لوضع مشروع الدستور وكنت منها

ثم عقد المؤتمر جلسة خاصة لانتخاب لجنة لوضع مشروع دستور للمملكة السورية تحت تاج فيصل التي قررها وجعلها جزءاً من قراره ووقع الاختيار عليّ وعلى هاشم الأتاسي وسعد الله الجابري والشيخ عبد القادر الكيلاني ووصفي الأتاس وابراهيم القاسم عبد الهادي وسعيد حيدر وعثمان سلطان والشيخ عبد العظيم الطرابلسي وتيودور انطاكي ولا أقول يقينا ان هؤلاء هم فقط كانوا اعضاء اللجنة ولعلي نسيت بعضهم او اخطأت في تسمية بعضهم .

قرار المجلس بوقف جلساته مؤقتاً وعودة معظم القادمين من الخارج عدا القادمين من المنطقة الافرنسية

وبعد ذلك قرر المؤتمر وقف جلساته على ان يدعى حين تقتضي الظروف وقد عاد معظم ممثلي فلسطين الى بلادهم في حين ان جل او كل ممثلي المنطقة الغربية المحتلة من قبل الافرنسيين بقوا في دمشق لأنهم يعرفون ان السلطان الافرنسية تترصدهم وتبيت لهم الشر .

مرتبات للباقين في دمشق من الأعضاء وموارد سورية اذ ذاك

وقد قرر الأمير بتوصية من رئيس المؤتمر ان يرتب للمضطرين للبقاء من ممثلي المنطقة الافرنسية ولأعضاء لجنة الدستور مرتبا مقداره ثلاثون جنيها استرلينيا وكان هذا المبلغ يدفع بانتظام فيضمن نفقاتهم بشيء من اليسر . وكنت انا الذي توليت دفع المخصصات لهم وقد

كانت الجمارك وحدة تجبى من قبل سلطات موحدة تابعة للقيادة العامة وكانت القيادة العامة تدفع للحكومة السورية الفيصلية شهريا مائة وخمسين الف جنيه على حساب حصتها من هذه الجمارك فكان هذا المبلغ مع ما تجنيه الحكومة السورية من ضرائب عقارات واعشار واراضي يضمن نفقاتها .

لجنة الدستور عقدت جلساتها في النادي العربي وانتخبت هاشم الأتاسي للرئاسة وانا للسكرتيرية

وقد اتخذت لجنة وضع الدستور غرفة في النادي العربي مقرا لها وفي جلستها الأولى انتخبت هاشم الأتاسي رئيسا وانتخبتني سكرتيرا وقد استحضرنا دساتير كثيرة من بلاد عديدة لتستأنس بها في عملها ومن جملتها الدستور العثماني .

قراءتي في سبيل المهمة ومشاركاتي في مهمتها

وقد كانت سكرتيرية اللجنة فرصة لي فاستحضرت كتبا عديدة تركية في الحقوق على اختلاف فنونها وكنت أقرأها وأستفيد منها ويكون من حصيلة ذلك عدة للمشاركة في البحث والدرس والتمحيص مع من كانوا متخرجين من مدارس الحقوق من اعضاء اللجنة مثل هاشم الأتاسي ووصفي الأتاسي وسعيد حيدر وعثمان سلطان .

تنويه بجهد وحسن محاكمات هاشم الأتاسي

وأريد ان انوه بخاصة بهاشم الأتاسي الذي كان هو الآخر يراجع كتبا حقوقية افرنسية وتركية بالاضافة الى دراساته الأولى وكانت له آراء ومحاكمات سديدة وصائبة في تركيز مشروع الدستور وهذا كان شأن سعيد حيدر وعثمان سلطان أيضاً .

طواف لجنة الاستفتاء في بعض انحاء سورية الداخلية

وذهبت اللجنة في رحلة استطلاعية الى حمص وحماه وحلب وتقدم لها رجال الحركة الوطنية بعرائض مؤيدة لقرار المؤتمر السوري ، وللمؤتمر نفسه ، والقت بعض الاسئلة وتلقت الأجوبة المناسبة المماثلة .

طواف لجنة الاستفتاء في لبنان

وقد زارت اللجنة لبنان وحشدت السلطات الافرنسية عملاءها وبذلت جهدها واستعملت

مختلف الوسائل الدعائية والترهيبية في سبيل تسمية فرنسا وصية او منتدبة ، كانت عرائض اكثرية النصارى تطلب ان يكون لبنان منفصلاً عن سورية مع ضم الأقضية راشيا وحاصبيا والبقاع وبعليك على رغم انها مسلوخة عن لبنان ويكون بذلك لبنان الكبير ومع طلب الوصاية والمساعدة من فرنسة . اما المسلمون فبرغم ما استعملته السلطات المحتلة من تلك الوسائل والأساليب فان اكثريتهم طلبت ان يكون لبنان مع سورية المستقلة بدون حماية او وصاية .

مشاركة بعض النصارى وخاصة الارثوذكس للمسلمين

وشاركت بعض العناصر النصرانية وبخاصة بعض قطاعات الارثوذكس في ذلك .

دار الاعتماد العربي في بيروت وجهدها واثر ذلك

ونستطرد الى القول بأن الحكومة العربية السورية كانت اوجدت في بيروت دار اعتماد عربية مقابل ما كان لفرنسة من مثل ذلك في دمشق وكان المعتمد الأول جميل الالشي ثم بدل بيوسف العظمة وكان الاثنان ضباطا لأن المعتمد الافرنسي في دمشق كان ضابطا نتيجة لكون حالة الحكم عامة هي عسكرية وكان يساعدهما رفيق التميمي وكان المسلمون يعتبرون دار الاعتماد العربي في بيروت دارهم وسفارتهم وحكومتهم وكانت تنشط وتبذل مختلف الجهود والوسائل لبث الدعاية العربية وفي الأوساط الاسلامية والنصرانية وبخاصة الارثوذكس من هؤلاء الذين كانت ميولهم اكثر للعروبة منها الى الافرنسيين بسبب ما كان من خلاف مذهبي بينهم وبين الموارنة والكاثوليك الذين كانوا متحدين مذهبا مع فرنسة ومتشبعين بثقافتها وكان لنشاط دار الاعتماد العربي اثر فيما كان من مواقف المسلمين وجماعات كثيرة من النصارى وبخاصة الارثوذكس .

دار الاعتماد الافرنسي في دمشق وجهدها واثر ذلك

ولقد نشطت دار الاعتماد الافرنسي في دمشق بالمقابل وكانت تبذل جهدها في ايجاد عملاء لفرنسة في سورية وكان لذلك بعض الآثار حيث صار في سورية الداخلية عملاء عديدون لفرنسا حتى ان بعضهم قدم عرائض للجنة الاستفتاء بطلب شمول وصاية فرنسا لسورية الداخلية وان كانوا قلة ضئيلة واصابت نجاحا غير يسير في جبل الدروز حتى صار بعض زعمائهم مثل سليم الأطرش وعبد الغفار الأطرش يتظاهرون في صلاتهم وولائهم لفرنسة واقتدى بعض زعماء آخرين من اسر اخرى بذلك نتيجة لما كانت دار الاعتماد تقدمه من مكافآت ثم صار يذهب بعض اقارب هؤلاء الزعماء وغيرهم الى بيروت فتغدق عليهم

السلطات الافرنسية المال والثياب واتسع الامر حتى صرنا نرى المئات يذهبون اسبوعيا الى بيروت ويعودون بالأموال والهدايا ونسمع القصص العديدة عن ذلك وقد حارت الحكومة السورية في الأمر وارادت بذل جهد لمنع هذا السيل وكلفت الامير عادل ارسلان بمعالجة الحال فبذل جهده ولكنه اخفق لأن الحكومة السورية لا تستطيع ان تجاري فرنسا فيما تقدمه وقال ان ترك الأمر الى ان يصل الى نهايته هو الأولى . وسوف ينتهي من نفسه لأن فرنسا لا تستطيع أن تبقى خزانتها مفتوحة لسيل لا ينقطع وقد كان الأمر كما قال حيث صارت السلطات الافرنسية تمسك يدها عن المتدفقين فيخف سيلهم ويظل الأمر محصورا في الزعماء وأصحاب النشاط .

عدم زيارة اللجنة للعراق وأسباب ذلك قدوم عراقيين الى حلب وتقديمهم عرائض بالاستقلال والوحدة ورفض الانتداب والحماية .

ولم تزر اللجنة العراق ولكن رجالا عديدين من العراق جاءوا الى حلب وقابلوها فيها على ما هو منطبع في ذهني وقدموا لها عرائض تطالب باستقلال ووحدة العراق مع وحدة اقتصادية مع سورية وتحتج على الانتداب واي نوع من أنواع الوصاية والحماية والهيمنة والمتبادر ان اللجنة اكتفت بزيارة مناطق سورية الثلاث لأنها هي التي كانت موضوع تشاد بين بريطانيا وفرنسا ثم بين فرنسا والأمير فيصل ولما نكصت فرنسا وبريطانيا ومعهما ايطاليا عن ارسال ممثلين عنها احر بأن يعرف مدى رغائب هذه المناطق خاصة .

تقرير اللجنة

ولقد قدمت اللجنة تقريرها للرئيس ويلسون لأنها بعثته الخاصة ولم يعرض هذا التقرير على مؤتمر السلم وقد بقي سرا نحو سنتين ثم اذيعت محتوياتها او بعضها ونشرت مصادر عربية عديدة المذاع . وجاء ما نشر ملخصا لما تسلمته اللجنة من عرائض وسمعته من مطالب ورغبات وهو اجمالا في نطاق ما ذكرناه[١] .

جهد لجنة الدستور واتمامها مهمتها

ولقد استمرت لجنة وضع الدستور في عملها وجهدها وكانت تعقد جلساتها يوميا تقريبا حتى اكملت مشروع دستور يصلح ان يسمى دستورا تقدميا راقيا وهو منشور في مصادر عديدة[٢] .

(١) من آخر المصادر التي قرأنا فيها التقرير المذاع كتاب الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية لحسن الحكيم .
(٢) اقرأ مثلاً كتاب الحكومة العربية السورية ٩١٩ ـ ٩٢٠ للدكتوره خيرية قاسمية

مناقشة مشروع الدستور في المؤتمر واقرار كثير من مواده وجهدي في المناقشة

ولقد عرض هذا المشروع على المؤتمر بعد ان اجتمع للمرة الثالثة وقرر اعلان استقلال سورية التام بحدودها الطبيعية بملكية الأمير فيصل وغدت المملكة السورية قائمة فعلا وقد اشتغل المؤتمر في الدرجة الأولى في مناقشة مشروع الدستور واقر كثيرا من مواده وكان لي وللشيخ سعيد مراد وسعيد حيدر بخاصة مناقشات واسعة وكنت انا بخاصة اتولى الرد على بعض الاعتراضات على بعض المواد وأشرح منطلقات اللجنة فيما وضعت من حيث اني سكرتير لجنة الدستور .

موضوع حقوق المرأة في نقاش المؤتمر وما انتهى اليه

وقد اخذ موضوع حقوق المرآة في الدولة حيزا كبيرا وكان للشيخ سعيد مراد (الغزى) مواقف ايجابية قوية في صدد تثبيت حقوقها وحريتها ومساواتها في الدولة وكان للتقليديين مواقف مضادة ولكنها كانت تهزم امام الحجج القوية من جهة وكانت كثرة الشباب والمتفتحين في المؤتمر مساعدة على ذلك من جهة اخرى ولولا اننا لاحظنا ان ظروف البلاد السياسية لا تتحمل هزة شديدة في الشعب يثيرها الرجعيون لأمكن اقرار مساواتها مع الرجل في الحقوق والواجبات السياسية والمدنية والانتخابية والتمثيل واهليتها لذلك، فاكتفينا بابراز ذلك وتسجيله في المحاضر ولم يمكن اتمام مناقشة المشروع لأن الموقف السياسي تأزم بسبب الانذار الافرنسي فأوقفت الحكومة جلسات المؤتمر في أوائل تموز ١٩٢٠ والمواد المنشورة في المصادر للدستور هي مواد المشروع وليست المواد المقررة أو هي مزيجة مما تقرر ومما بقي مشروعا .

* * * * *

(١٣)

عودة الى الكلام عن جمعية الفتاة وتنويه بمدى بروز الجمعية اثناء عهد فيصل ونشاط هيئتها

ولقد نشطت جمعية الفتاة في عهد فيصل نشاطا عظيما وبرزت بروزا كبيرا ولقد كان الأمير فيصل وبطانته وموظفو قصره منها كما كان منها الحاكم العسكري العام علي رضا الركابي الذي كان بمثابة رئيس الحكومة وياسين الهاشمي رئيس مجلس الشورى وهما من أبرز وأقوى شخصيات العهد بعد الأمير وكان منها بالاضافة الى هؤلاء بعض كبار موظفي الدولة وكثير من اعضاء المؤتمر السوري بحيث صارت تعتبر حزب عهد فيصل وعماده وكانت الدولة بأميرها ورؤسائها يعتبرونها كذلك ويتعاملون معها على هذا الاعتبار بحيث لم يكن يقضي امرا ويهم بعمل او يصدر امرا ويعين موظف كبيرا الا وكان لها رأي او يد فيه او علم مسبق به وكانت

تتقدم بالاقتراحات وتبلغ القرارات ويطلب منها الرأي في شتى الشؤون السياسية والادارية والتنظيمية ومن ذلك ترشيح الموظفين الصالحين وبخاصة كبارهم وكانت تبليغاتها او قراراتها وآراءها وترشيحاتها تلقى التجاوب على الأعم الأغلب وكان اعضاء الجمعية في قصر فيصل ودوائر الحكومة اعوانا لها على تنفيذ قراراتها وتبليغاتها وترشيحاتها وتوجيه الأمور في الاتجاه الذي تقرره ثم على ابلاغها ما يطرأ ويحدث من شؤون سياسية وغير سياسية لتتخذ ازاءها الموقف اللازم . ولقد بقي عدد من اعضائها القدامى خارج منطقة فيصل في الغرب والجنوب فكانت الهيأة المركزية تتصل بهم وتجعل منهم معتمدين لها يرسلون لها بتقارير مما يحدث في منطقتهم او بما يرونه من اقتراحات وترسل اليهم تبليغاتها واخبار العهد وسيره وتوجههم في القضايا المطروحة في الوجهة الصالحة التي تقررها ، وقد مرّ ذكر مثل لذلك بالدكتور حافظ كنعان في نابلس ونشاطه ولقد أنشأت الهيئة المركزية فروعا لها في انحاء سورية واعتمدت معتمدين من اعضائها ليكونوا على رأس هذه الفروع ترسل لهم الأخبار والتبليغات وتتلقى منهم التقارير في صدد ما يجري في مناطقهم وأنشأت كذلك دائرة دعاية او استخبارات وفروعا او وكالات لها في مختلف انحاء المناطق السورية وعهدت بادارته الى معتمدين نشيطين من اعضائها وكانت بدورها تغذيها بالأخبار والتوجيهات وتتلقى منها التقارير في صدد ما يجري في مناطقهم ولقد كان الأمير يمنح الهيأة المركزية منحا نقدية من آن لآخر مما كان يرد اليه مباشرة من قيادة الحلفاء العامة على حساب الجمارك على ما ذكرناه قبل فكان ذلك مما يساعدها على ما كانت تبذله من جهد وتمارسه من نشاط متنوع داخليا وخارجيا وسياسيا وغير سياسي .

جهد هيئتها في ضم المواطنين الصالحين وابعاد غير الصالحين

وانسجاما مع اعتبار الجمعية نفسها حزب عهد فيصل وعماده اهتمت لضم كبار الموظفين في دوائر الحكومة لعضويتها اذا ما تأكدت من اهليته الاخلاقية واخلاصه وخبرته وروحه القومية كما اهتمت لابعاد من كان منهم في الحكم امتدادا لسابق عهد عن الحكم ولم يكن اهلا في اخلاقه واخلاصه وخبرته وروحه القومية واستبدل غيرهم بهم بعد ان تضم البديلين اليها وبذلك ضمنت او ارادت ان تضمن الهيمنة على دوائر الحكومة من جهة الولاء لها من هذه الدوائر وتنفيذ قراراتها وتوجيهاتها ووجود العناصر الصالحة في اخلاقها وخبرتها من جهة اخرى وكان احيانا يرشح للمناصب المهمة الوزارية وغير الوزارية اشخاص من جانب الأمير او من جانب رؤساء الدوائر او من جانب له اعتبار او بسبب ما لهم من وجاهة ومكانة وبروز وعلم وخبرة . فكانت تجتهد في ضمه اليها قبل تعيينه اذا اطمأنت الى صفاته وتبذل جهدها في سحب ترشيحه اذا لم تطمئن الى صفاته وتنجح في الأعم الأغلب بالاضافة الى كل هذا فقد اهتمت

لضم من كانت تراه صالحا في اخلاقه وشعوره ومكانته وعلمه وروحه القومية من اعضاء المؤتمر السوري وغيرهم ممن كان يفد الى دمشق سواء الذين كانوا موظفين وضباطا في الحكومة العثمانية خارج سورية ام الذين جاءوا من بلاد عربية اخرى ليندمجوا في نشاط العهد الفيصلي الذي كان عنوانا للحركة العربية القومية والظرف الذي كان يتحرك فيه رجال هذه الحركة بحرية وأمن ومنهم من كان يعين في وظائف الدولة ومنهم من يبقى خارجها وينشط مع الناشطين الآخرين .

طريقة الضم هي الطريقة الأولى

وكان ضم الأعضاء الجدد يجري على النهج الذي شرحناه قبل حيث يرشح الشخص من قبل من يعرفه من اعضاء الهيأة او الأعضاء القدامى فتعين الهيأة من يدرس احواله ثم من يفاتحه ثم من يأخذ منه يمين الاخلاص للجمعية واهدافها وقراراتها واسرارها وظل مع ذلك الأعضاء القدامى اي المنتسبين قبل نهاية الحرب يعتبرون انفسهم كما قلنا المؤسسين ويحصرون في انفسهم شهود الاجتماعات العامة والاشتراك في النقاش في الأمور الهامة واتخاذ القرارات الحاسمة فيها وانتخاب الهيأة المركزية .

جهدي الخاص في ضم الأعضاء الجدد

ولقد ساهمت شخصيا مساهمة فعالة وتنفيذية في كل ما تقدم لأنني شغلت عضوية الهيأة المركزية وسكرتيريتها نحو عشرة اشهر من آب ١٩١٩ الى مارس ١٩٢٠ على دورتين متتاليتين .

الهيئة السابقة لهيئتنا

وكانت الهيئة التي قبل هيئتنا مؤلفة كما قلت سابقاً من الركابي والهاشمي والناطور واحمد قدري ورفيق التميمي ونسيب البكري ولست على يقين ان كانت هذه الهيأة هي اولى الهيئات التي قامت بعد دخول فيصل او الثانية ثم جاءت الهيئتان التي كنت فيهما متواليتين مرة استمرت من آب ١٩١٩ الى تشرين الثاني ١٩١٩ ومرة من تشرين الثاني الى مارس ١٩١٩ ومارس ١٩٢٠ .

ولقد كانت عضوية الهيأة مطمحا مهما للنشيطين او الأقوياء او الراغبين في البروز فكان هذا يحدوهم للعمل على تجديد الانتخاب في أي فرصة مناسبة حيث كانوا يطلبون عقد اجتماع عام للمؤسسين فيتناقشون في الأوضاع ويوجهون للهيأة القائمة انتقاداتهم ويقررون تجديد الانتخاب .

وقد انتخبت الهيأة التي دخلت فيها لأول مرة نتيجة لاجتماع عام ومناقشة عامة وقرار بالتجديد وقد فزت انا وياسين الهاشمي والدكتور احمد قدري ورفيق التميمي واحمد مريود وشكري القوتلي وسعيد حيدر بدلا عن الهيأة التي كان فيها الركابي . وفي تشرين الثاني ١٩١٩ دعا المؤسسون بناء على اقتراح قدم من قبل عدد من الأعضاء الى اجتماع عام وجرت مناقشة عامة وجرت بعض الانتقادات كالعادة وتقرر تجديد الانتخاب ولكن هيأتنا احتفظت بمركزها للمرة الثانية نتيجة للأجوبة الدفاعية والتوضيحية التي أجيب بها المنتقدون والتي كانت مفحمة قوية والتي كنت ولا فخر من أقوى المجيبين وكان ياسين الهاشمي قد اعتقل من قبل الانكليز ونفي الى الرملة على ما أشرنا اليه قبلا فحل محله الشيخ كامل القصاب اذا لم تخني الذاكرة .

سقوط هيئتنا بجهد الركابي وقيام هيئة جديدة محلنا الى آخر العهد

وفي نيسان ٩٢٠ دعي المؤسسون الى اجتماع في بيت الركابي بناء على طلب من بعض الأعضاء كالعادة وتناقشوا في الأمور الجارية ووجه الى الهيأة انتقادات ثم تقرر بالأكثرية تجديد الانتخاب فسقطت هيأتنا وفاز كل من الركابي واحمد الحسيني وجميل مردم بك ونسيب البكري وسليم عبد الرحمن ومحمد الشريقي واثنان أو ثلاثة آخرون لم اعد اذكرهم .

وقد شرحت خلفيات هذا التجديد والسقوط في الكلمة التي كتبتها عن الركابي فلا ضرورة لشرح جديد وقد ظلت هذه الهيأة قائمة الى سقوط عهد فيصل بالغزوة الافرنسية وكان يتولى السكرتيرية فيها محمد الشريقي وأمانة الصندوق جميل مردم بك اما في الدورتين السابقتين فكنت انا المتولي للسكرتيرية وشكري القوتلي لأمانة الصندوق وقد سلمت للشريقي ما عندي من سجلات وأوراق وسلم شكري لجميل ما عنده من مال وكان نحو (١٦٠٠٠) جنيه وكان ذلك في حضوري في بيت شكري ولقد اخطأ امين سعيد فيما ذكره في الجزء الثاني من كتابه الثورة العربية في تاريخ وظروف استقالة هيأتنا . فلم يذكر اولا اننا قضينا دورتين متواليتين وذكر في مكان اننا استقلنا في ٢٠ مارس ١٩٢٠ فجاء الهيئة التي فيها الركابي وفي مكان آخر اننا اسقطنا في أواخر كانون الثاني ١٩٢٠ لأن فيصل تذمر من معارضتنا للاتفاقية التي عقدها مع كليمنصو فاقترح الركابي اسقاطنا وتم ذلك وجاءت الهيأة التي فيها الركابي، وأمين سعيد غير دقيق بل واحيانا غير أمين فيما يكتب والحقيقة هي ما شرحته آنفاً وفي الكلمة التي كتبتها عن الركابي معا .

ولقد عقدت الهيئة المركزية بعد انتخابها في الدورة الأولى اول اجتماع لها في بيت شكري القوتلي فاختارتني سكرتيرا واختارت شكري امينا للصندوق واستلم شكري ما في عهدة الأمين السابق من مال واظن انه كان في حدود عشرة آلا جنيه وكان الأمين رفيق التميمي فيما بقي في ذهني .

جهدي في تنظيم امور وتسجيلات الهيئة

واستلمت انا من السكرتير ما في حوزته من أوراق وكان توفيق الناطور ولم يكن عند الناطور شيء مهم من أوراق وسجلات وقد أنشأت سجلات سجلت فيها اسماء الأعضاء القدامى والجدد وشيئا عن احوالهم وحياتهم وظروف وتاريخ انتسابهم وصرت احتفظ بما يرد من أوراق ويصور وينسخ ما أرسله من كتب وتبليغات واسجل محضرا لجلسات الهيأة وقراراتها واخذ توقيعات الأعضاء عليها وكنت استعمل الشفرة الحرفية في تسجيل الرسائل والقرارات المهمة وهذه الشفرة وضعتها الهيأة المركزية المؤسسة الأولى وظلت تستعملها ثم استعملتها الهيئة التي خلفتها في أول عهد فيصل وقد نسيت الحروف ورأيت أمين سعيد يذكرها في الجزء الثاني من كتابه الثورة العربية الكبرى وتذكرتها واظن انها هي وهذا ترتيبها (ب ز غ ف ج ر و ط ن ك م ت ل ع ض د ش خ ص أ ح ي ث ق ت ط ذ س) وتحفظ بكلمات (بزغ فجر وطنك . مت لعضد شخص أحي ثقة طذس) ويقابل كل حرب حرفا من الأبجدية العربية بالتسلسل مع تسلسل حروف الشفرة كالألف في الأبجدية هو باء في الشفرة والباء هي ز في الشفرة وهكذا .

بيتي صار مقرا لاجتماعات الهيئة

ولقد كانت الهيئة السابقة لنا تعقد اجتماعاتها متنقلة في بيوت اعضائها فرأت هيأتنا ان يكون مركز مستقر فطلبت مني ان استأجر بيتا وأفرشه فيكون لي مسكنا ولها مركزا وقد استأجرت بيتا شاميا صغيرا في حارة دك الباب في الصالحية وفرشته فرشا بسيطا وكان من طابقين مختصرين في الأول حوض ماء في طرف وغرفة طعام ومطبخ وبيت ماء ثم درج على الثاني فيه غرفتان بينهما ردهة مكشوفة وصرنا نعقد اجتماعاتنا في الأمسيات بعد المغرب اسبوعيا فاذا كان امر هام اجتمعنا نهارا واكثر من مرة في الأسبوع وكنا احيانا نعقد اجتماعاتنا المسائية يومياً في الظروف الهامة والعصيبة .

مدى مركز سكرتير الهيئة وديمقراطية الاجتماعات والقيادة الجماعية

وسكرتير الهيئة هو كاتب للمحضر ومنفذ للقرارات وداع للاجتماعات ومنظم لها وليس رئيسا او صاحب الهيمنة كما هو الحال اليوم في الأحزاب الشيوعية وغيرها ولم يكن للهيئة رئيس وانما كانت قيادة جماعية ديمقراطية تناقش المسائل وتتخذ القرارات بالأكثرية اذا لم يمكن بالاجماع وتخضع الاقلية للأكثرية بدون حرد وشغب ويظل للأقلية الحق في اثارة اعتراضاتها داخل الهيئة او داخل الاجتماعات العامة للمؤسسين التي كانت هي الأخرى بدون رئيس وقيادة جماعية

وديمقراطية تناقش المسائل وتتخذ القرارات بالأكثرية اذا لم يمكن بالاجماع تخضع الأقلية للاكثرية وتحفّظ بالحق في اثارة اعتراضاتها في اجتماعات عامة اخرى دون تمرد وحرد وتخريب وحينما تجتمع الهيئة يقترح احد الأعضاء اسم احد زملائه ليكون رئيسا للجلسة وضابطا لها وهذا ما كان يحدث في اجتماعات المؤسسين العامة وتنتهي رئاسة الرئيس بانتهاء الجلسة والاجتماع العام .

ولقد قلت قبلاً ان المؤسسين في اجتماعهم الأول الذي عقدوه قبل قدومي قرروا وجوب ضم العناصر الصالحة في اخلاقها ونشاطها وثقافتها وخبرتها واخلاصها وجدها الى الجميعة حيث يظل الدم قوياً متجدداً يمد بعضه بعضا وفق المنهج السابق الذي شرحته والذي ظل معتمداً كما قلت وقد ضمت الهيئة او الهيئات السابقة لهيأتنا عددا من الأشخاص وسرنا نحن على الطريق وضممنا عددا أكبر آخر لأن مدتنا طالت نحو عشرة اشهر وكان لي رأي وسعي في عدد غير قليل نتيجة اختباري لهم واحتكاكي بهم وممن ضم الى الجمعية في عهد فيصل الذي استمر من تشرين الأول ١٩١٨ الى تموز ١٩٢٠ على ما وعته الذاكرة وبدون التزام تاريخ الانتساب وترتيبه :

أسماء الأعضاء الذين ضموا الى الجمعية في عهد فيصل

هاشم الأتاسي ، وصفي الأتاسي ابراهيم هنانو ، صبحي بركات ، نبيه العظمه ، يوسف العظمه ، عادل العظمه ، رشيد طليع ، سعيد طليع ، رضا الصلح ، رياض الصلح ، عفيف الصلح ، عادل ارسلان ، امين ارسلان ، ساطع الحصري ، احسان الجابري ، طه الهاشمي ، جميل الالشي ، فوزي الغزي ، ناجي السويدي ، جعفر العسكري ، خالد الشهابي ، عبد الرحمن شهبندر ، رشيد رضا ، صبحي الطويل ، يوسف ياسين ، عمر فرحات ، سامي العظم ، علاء الدين الدروبي ، جلال زهدي ، احمد حلمي عبد الباقي ، محمد علي دروزة ، الحاج امين الحسيني ، عبد الستار السندروسي ، محمد النحاس ، ابراهيم مجاهد ، رضا الرفاعي ، نجيب الارمنازي ، مصطفى الغلاييني ، محمد خير ، عارف العارف ، توفيق الشيشكلي ، محمد البارودي ، عبد الحميد القلطقجي ، سعيد الحسيني ، عبد اللطيف صلاح ، عارف الخطيب ، توفيق الحياني ، محمود الفاعور ، توفيق البيسار ، عارف نكد ، يوسف حيد ، مصطفى الشهابي ، زكي الخطيب ، تامر حماده ، زكي قدري ، أمين التميمي ، محي الدين صادق ، رشيد بقدونس ، مصطفى نعمه ، يحيى حيّاتي ، حسن الحكيم ، حسني الرازي ، خير الدين الزركلي ، عبد القادر الكيلاني ، هاني أبو مصلح ، صبحي حيدر ، مظهر رسلان ، صالح قنباز ، أحمد اللحام ، ومن الممكن ان يكون هناك أسماء نسيتها .

تنويه بالأعضاء الجدد ونشاطهم في عهد فيصل وبعده

ولقد كان لكثير منهم نشاط مركز وبروز وخدمات هامة في العهد الفيصلي وبعده وصاروا بعده عمادا للجمعية وعنوانا من عناوينها بدون اعتبار قديم وجديد ، وكثير منهم عرف بعضهم بعضا بصفة الأخوة في الجمعية وكانوا اخوة متصادقين متواثقين متحابين متعاونين في مختلف الظروف والمواقف في العهد الفيصلي وبعده الى آخر حياتهم . وهكذا انضم حشد عظيم من خيرة رجال العرب شباب وكهول الى ذلك الحشد العظيم الذي كان انتسب الى الجمعية في زمن الدولة العثمانية وقبل الحرب العالمية الأولى وفي اثنائها وازدادت بذلك رائدية هذه الجمعية في المجال التنظيمي والقومي ولقد عرفتهم جميعاً .

صلتي بهم واسماء من تواثقت معهم تواثقاً صميماً وشيء عنهم

وكان بيني وبينهم صلة وصداقة وكنت احظى ولا فخر بتقديرهم واعجابهم بقطع النظر عن ما كان بيني وبين بعضهم من فارق السن او خلاف في بعض المواقف والأفكار .

ولقد كنت التقي بكثير منهم بعد عهد فيصل في فلسطين وشرق الأردن ودمشق وبيروت وبغداد في مناسبات متنوعة فيكون اللقاء حارا اخوياً بدون كلفة وتكلف وتعاونت مع كثير منهم في مؤتمرات وأعمال ومواقف متنوعة بهذه الروح وقد توثقت صلة وصداقة حميمة بيني وبين عدد منهم كما كان الشأن بيني وبين عدد من القدامى . منهم من سبق ان كتبت انطباعاتي عنهم وصلاتي بهم وما كان من تعاون معهم وشيء عن سيرتهم مثل نبيه العظمة وعادل العظمة ورياض الصلح وعفيف الصلح ورشيد رضا والحاج امين الحسيني وعارف العارف وامين التميمي .

شيء عن ساطع الحصري

وممن توثقت الصلة والصداقة الحميمة بيني وبينهم ولم يسبق ذكر شيء عنهم ساطع الحصري وهو اسن مني بنحو سبع سنين وكان شديد النشاط والذكاء ميالاً للشؤون التعليمية والتربية وقد برز وسطع نجمه في زمن الدولة العثمانية بعد اعلان الدستور حتى لقد انشأ مدرسة نموذجية كان لها اسم وشهرة . وألّف كتباً مدرسية عديدة بالتركية كانت تدرس في مدارس الحكومة ، ولقد نشأ في البلاد التركية وكانت لغته العربية ضعيفة حينما جاء من الآستانة الى دمشق عقب دخول فيصل فبذل جهده حتى أتقنها قراءة وكتابة ونحوا وصرفا غير انه كان يلكن فيها بلكنة تركية وكان يجيد الافرنسية وكان ذا اطلاع واسع وثقافة واسعة وهو

شديد الاستقامة شديد التصلب في رأيه شديد الجرأة في قول ما يراه حقا والثبات عليه شديد النشاط في سبيل انجاز ما يعهد اليه او ما يريد انجازه منتظم منضبط جاد قليل اللهو والعبث والمزاح وحينما جاء من الآستانة عهد اليه بمديرية التعليم في الحكم العسكري وحكومة المديرين ثم اختير لوزارة التعليم والتربية وكانت تسمى (المعارف) في العهد الفيصلي الاستقلالي الذي بدأ في أوائل شهر مارس ١٩٢٠ فبذل جهوداً عظيمة في سبيل انشاء مديرية ثم وزارة المعارف واجهزتها وبرامج التعليم على أسس علمية وقومية معا وقد انعقدت صلة الصداقة بيني وبينه في هذا العهد واستمرت بعد سقوط الشام بل الى آخر حياته وهو شديد التمسك بآرائه سريع الانفصال عن العمل الرسمي اذا لم يسر وفق ما يرسم ويخطط ويرضى ولما سقط عهد فيصل خرج مع من خرج وذهب الى أوروبا مع فيصل ولما رشح فيصل لملكية العراق تم الأمر وذهب الى العراق وذهب معه وعمل في عهد فيصل في العراق بنفس النشاط الذي عمل به في عهده السوري ولا اعرف يقينا ما هي الوظائف الرسمية التي تقلدها في عهد العراق ولكنه ارسل الي في سنة ١٩٢٣ رسالة يدعوني فيها الى العراق لأشارك في تركيز العهد في أي عمل اقترحه ويناسبني حيث يفيد هذا انه كان له مركز قوة تنفيذي ما . وقد انفصل عنه كعادته فترة وأصدر مجلة للتربية ونشر لي فيها مخطوطة (القسم النظري من كتاب دروس في فن التربية) التي كنت نقلتها عن الافرنسية على ما ذكرت سابقا . وظلت الصداقة الحميمة على بعد وكنا نلتقي فتتجدد وقد أخرجته حكومة العراق بعد ثورة رشيد عالي سنة ٩٤١ مع من اخرجتهم او طاردتهم من رجالات سورية وفلسطين بتهمة ضلوعهم في الثورة بعد نجاح الانكليز في قمعها وعودة الملك فيصل الثاني ووصية الأمير عبد الاله ونوري السعيد الذين كانوا فروا من بغداد عند اندلاع الثورة وسحبت منه الجنسية العراقية فجاء الى سورية ، وبعد قليل قام عهد استقلالي جديد برئاسة شكري القوتلي فكلّف من حكومة العهد بتركيز مناهج التعليم فانصرف لذلك مدة ووضع مناهج وانظمة جديدة . وكنت آنذاك في تركية حيث نزحت اليها فرارا من الغزوة الانكليزية الديغولية ولما رجعت في أواخر سنة ٩٤٥ التقيت به وجددنا عهد صداقتنا وكان يزورني دائما وبعد نكبة قيام الدولة اليهودية وهزيمة الجيوش العربية أمام القوات الاسرائيلية ذهب الى مصر وأخذ يكتب ويحاضر في القومية العربية والوحدة العربية وطار صيته وازدادت حرمته واقترح على الجامعة العربية انشاء معهد الدراسات العربية العليا فاستجابت له وتم انشاؤها وتولى مديريتها وازدهرت في عهده ثم تخلّى عنها لاختلاف قام بينه وبين الجامعة وعاد يكتب ويحاضر وصدرت له كتب كثيرة في القومية العربية والوحدة العربية والأحزاب والاقليمية وغيرها ومن كتبه الجيدة كتاب (يوم ميسلون) الذي شرح فيه كثيرا من احداث العهد الفيصلي وبخاصة ظروف الانذار والغزو الافرنسي وأورد فيه وثائق كثيرة عائدة الى ذلك وملأ الأسماع والأذهان بعلمه ونشاطه وجدله

ودعوته الى القومية والوحدة وصار من أبرز الشخصيات العربية العلمية والفكرية والتقيت به سنة ١٩٥٣ مرة في حمانا حيث كان يصيف في الفالوغا وجاء الى زيارتي في فندق حمانا لما علم بوجودي ثم التقيت به في دمشق سنة ١٩٥٥ حيث جاء اليها زائراً وزارني . وكان هذا آخر عهدي به عيانا ولكن ظللنا نكن لبعضنا المودة والحرمة وقد أعادت حكومة العراق اليه جنسيته وراتبه التقاعدي ومات على ما يردني الى ذهني في الستينات رحمة الله عليه .

شيء عن الأمير عادل ارسلان

ومنهم الأمير عادل ارسلان وهو اخو الأمير شكيب واصغر منه ويمكن ان يكـون من سني وكان ذكياً ألمعياً نشيطاً مقداماً طموحاً وكاتباً وشاعراً حتى صار الناس يلقبونه بعد اشتراكـه في الثورة السورية (أمير السيف والقلم) وكان حاضر البديهة ميالاً للتنكيت المرح المقبول وقد برز مبكراً حتى انه انتخب نائباً للمجلس النيابي العثماني عن جبل لبنان اثناء الحرب وبعد ان ألغت الحكومة العثمانية امتيازات الجبل وصارت تطبق عليه قوانينها وبقي محتفظاً بنيابته الى آخر حكم الدولة العثمانية وبعد دخول فيصل الشام جاء الى دمشق ولم يلبث ان صار من رجـال الملك فيصل ومستشارا من مستشاريه وكان يرسله في بعض المهام الى قيادة الحلفاء العامة في فلسطين وقد تعرفنا به بعد قليل من قدومنا الى دمشق وتوثقت الصداقة بيننا واستمرت وثيقة طيلة العهد وخرج معنا من دمشق حينما غزتها فرنسا وكان ممن حكمت عليهم بالاعدام من رجالات العهد وفي الكسوه افترقنا ثم ذهب الى عمان مع بعض رجالات العهد السوريين والعراقيين وذهبنا الى فلسطين وبعد مدة دعيت الى عمان للانضمام اليهم حينما قدم الامير عبد الله فالتقينا به وقضينا معا نحو شهر لأني لم أقم اكثر من ذلك وعدت الى فلسطين لأمثل نابلس في المؤتمر الرابع واستلم مديرية مدرسة النجاح وصار هو من رجال عبد الله ومستشاريه وقد اختلف معه ومع اخوانه الاستقلاليين فشكاهم عبد الله لأبيه واستدعاهم هذا الى الحجاز وظلوا شبه منفيـين فيها الى قبيل سقوط العرش الهاشمي في سنة ١٩٢٤ فذهب من الحجاز الى مصر وتردد على أوروبا وفلسطين وكان ينشط مع الناشطين في سبيل القضايا العربية عـامة وسـورية خـاصة وكثـرت لقاءاتنا في فلسطين ولما نشبت ثورة سورية الكبرى سنة ٩٢٥ وتولى قيـادتها سلطان الاطـرش انضم اليه وصار مستشاره السياسي الى ان توقفت الثورة في سنة ٩٢٧ فعاد الى فلسطين وصار يتردد على مصر وأوروبا الى ان تم الاتفاق بين سورية وفرنسة ووقعت معاهدة الاستقلال سنة ٩٣٦ ذهب الى دمشق سنة ١٩٣٧ واخذ ينشط افي العهد الجديد دون عمل رسمي . وفي أثناء الحرب العالمية الثانية لجأ الى تركية لأن الافرنسيين والانكليز كانوا يطاردون ويعتقلون من يعرفون عداءهم لهم . وكنا نحن ايضا قد لجأنا اليها فكثرت لقاءاتنا وتوثقت صداقتنا . وعاد الى سورية

بعد الحرب وعهد اليه القوتلي بوزارة المعارف وكان عضواً في الوفد السوري الى هيئة الأمم المتحدة ١٩٤٧ ولما قام حسني الزعيم بالانقلاب السوري الأول ضد حكم ورئاسة القوتلي سنة ٩٤٩ طلب منه ان يكون مستشارا له ففعل وصار وزيرا للخارجية ثم نائباً لرئيس الوزراء وعد الناس واصدقاؤه في الجملة هذا منه سقطة وانها لكذلك . وادعى هو في معرض الدفاع انه قبل ليكون كابحا لحماقات الزعيم . وكان تبريراً غير سليم وحينما ثار سامي الحناوي على الزعيم واسقط حكمه وقتله في سنة ٩٥٠ ذهب الى بيروت واعتكف حتى توفاه الله في سنة ١٩٥٠ رحمة الله عليه .

شيء عن احسان الجابري

ومنهم احسان الجابري وهو اسنّ مني بنحو عشر سنين او اكثر واخو سعد الله الجابري الذي كتبنا عنه شيئاً في قبله . وكان في شبابه كاتباً او مأمور مراسم في قصر السلطان عبد الحميد وكان حسن التنظيم حسن السيره وقد كان في الاستانة حينما قام العهد الفيصلي فقدم الى دمشق وصار من رجال قصر فيصل اوكبير الامناء فيه . وتعرفنا به بعد قدومنا بقليل وقامت صداقة حميمة بيننا وظلت كذلك طيلة عهد فيصل ولم يكن له نشاط سياسي كأخيه وكان مقيدا بالأمر ثم بالملك فيصل ولما غزا الافرنسيون دمشق خرج مع فيصل والآخرين واقام قليلاً في مصر ثم ذهب الى أوروبا وصار ينشط في سبيل قضية سورية وفلسطين معاً مع الأمير شكيب ارسلان في سويسرا نشاطاً مشكوراً .

وكان يأتي الى فلسطين مرة بعد مرة فتتجدد صداقتنا وعهدنا . ولما اقمنا في دمشق منذ اواخر ١٩٣٧ صرنا نلتقي كذلك وفي اثناء الحرب بقي في حلب ثم اخذ ينشط في العهد الاستقلالي الجديد الذي قام ١٩٤٣ وبعد وفاة اخيه سنة ٩٤٧ صار ينتخب نائباً في المجلس النيابي السوري عن حلب وقد تعاونا في المسعى في سبيل الوحدة السورية المصرية في سنة ١٩٥٦ ولما تمت الوحدة وقرت عيناه بها اتخذ مصر دار اقامة له وكان يزور دمشق وحلب حيناً بعد حين فيزورني وأزوره في الفندق ويتجدد عهد صداقتنا . وقد توفي سنة ١٩٧٩ في القاهرة ودفن في حلب رحمة الله عليه .

شيء عن احمد حلمي عبد الباقي

ومنهم أحمد حلمي عبد الباقي ويعرف دائماً بلقب (باشا) وهو ارناؤوطي الجنس تركي النشأة ومستعرب وأسن مني ببضع سنين وكان ابوه ضابطاً او موظفاً في جنين وأظنه ولد فيها والله اعلم وتثقف ثقافة تركية وعربية حسنة وصار يحسن الكلام والكتابة في اللغتين ويشدو

بأدبها وله خط جميل ولا اعرف أين تعلم ولكنه لم يكن على ما اعلم يحمل اجازة جامعية واول ما رأيته في نابلس حيث كان مديرا للبنك الزراعي وكان ممن وشى بهم ياسين الطلوزي قبيل الدستور كما أوردنا في الجزء الأول من مذكراتنا هذه ونفي مع بعض رفاقه حيث يفيد هذا انه كان ذا نزعة الى الحرية والسياسة وبعد اعلان الدستور اندمج في جمعية الاتحاد والترقي وناديها في نابلس وهناك تعرفت به وقد ظل مديراً للبنك الزراعي ومندمجاً في الجمعية والنادي الى آخر العهد العثماني ولم اسمع عنه اي شيء ضد الحركة العربية ورجالها وبعد انتهاء عهد العثمانيين وقيام عهد فيصل في دمشق جاء الى دمشق,وأهّلته خبرته المالية والتنظيمية وثقافته وحسن سمعته لتولي مناصب مالية في عهد فيصل اي عهد الحكم العسكري والعهد الاستقلالي وعرف بشدة استقامته ونزاعته ونزعته الاسلامية ومحبته للعرب وجده ونشاطه فقررت الجمعية ضمه اليها وكان وظل من عناصرها المفيدة وقد توثقت المعرفة والصداقة بيننا في ظل ذلك واستمرت طيلة عهد فيصل وبعده ولما سقط عهد فيصل جاء الى شرق الأردن مع من جاء من رجالات العهد وعينه الشريف حسين رئيساً لمؤسسة الخط الحجازي ومنحه لقب باشا وكان مركزه معان ولما سقط عرش هذا الملك انضم الى الأمير عبد الله الذي كان جاء واستقر اميراً لامارة شرق الأردن قبل ذلك وتولى مناصب مالية عالية ثم وزارة المالية ثم جاء الى فلسطين ، وكان عبد الحميد شومان ، الذي كان مغترباً في أميركا عاد في هذه الأثناء وفي رأسه فكرة انشاء مصرف عربي فتعاون معه في تأسيس البنك العربي المحدود (١٩٣٠) وصار مديراً للبنك ونجح البنك نجاحاً كبيراً ولكن احمد حلمي اختلف مع شومان فترك البنك وصار مراقباً عاماً للأوقاف الاسلامية في أواخر العشرينات ثم انشأ شركة بنك الأمة وتولى مديريته العامة ونجح نجاحا لا بأس به . وكان لطلعة حرب اسم اقتصادي رنان في مصر حيث انشأ شركات بنك مصر وشركات عديدة اخرى للنسيج وللطيران وللسينما وغيرها مما لم أعد اذكره فأراد احمد حلمي تقليده وحاول انشاء شركات عديدة لم تصب من النجاح ما اصابته شركات طلعة حرب في مصر وقد انشأ فيها انشأ صندوق الأمة الذي كان يقوم على التبرعات لمساعدة اصحاب الأراضي المعرّضة لخطر البيع لليهود ونجح مشروعه بعض النجاح وهكذا صار من رجالات فلسطين البارزين وكنا على صلة وثيقة ودائمة به وكان من انصار حزب الاستقلال الذي انشأناه في سنة ٩٣٢ ولما تقرر انشاء لجنة عربية عليا لتشرف على الإضراب الطويل سنة ٩٣٦ تقرر ضمه اليها كرجل حيادي غير حزبي وكان من العناصر القوية ذات الخط القويم المتصلب فيها وحينما قتل اندروز حاكم الناصرة وبدت علائم استئناف الثورة في فلسطين اعتقلته السلطات في جملة من اعتقلته من اعضاء اللجنة العربية العليا ونفته الى سيشيل في أواسط شهر ايلول ١٩٣٧ حيث بقي في المنفى نحو عشرين شهراً ثم اطلق سراحه وسراح رفاقه بقوة ضغط الثورة واللجنة العربية على ما سوف نزيده شرحا بعد . وجاء الى لبنان والتقينا به وقبيل انتهاء

الحرب سمح له ولآخرين من رجالات فلسطين بالعودة الى فلسطين فعاد مع من عاد وأخذ ينشط معهم في سبيل القضية الفلسطينية وصار من ابرز الزعماء ثم كان من احد أربعة منهم اضطلعوا باعادة القيادة الفلسطينية الوطنية العامة باسم الهيأة العربية العليا بمسعى جامعة الدول العربية في سنة ١٩٤٦ وقد انضممنا نحن ايضا الى هذه الهيأة حينما عاد الحاج امين من أوروبا الى مصر واستلم رئاستها وتعاونا معا في نطاقها وكان يتردد بين مصر وفلسطين وقامت ثورة فلسطين ضد قرار التقسيم الذي أصدرته الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة وهو في فلسطين فساهم في النشاط والقيادة السياسية ولما انعقد مؤتمر غزة بعد الهدنة الأولى لحرب فلسطين في سنة ١٩٤٨ وقرر المؤتمر اعلان استقلال فلسطين وتشكيل حكومة عموم فلسطين اختاره لرئاسة الحكومة وصار ممثلا لفلسطين في جامعة الدول العربية وظل يحمل عنوان الرئاسة رغم تعثر تنفيذ قرار المؤتمر بسبب مناوأة عاهل الأردن عبد الله وضمه الأقسام التي بقيت من الضفة الغربية لمملكته كما ظل يمثل فلسطين في جامعة الدول العربية الى ان توفاه الله سنة ٩٦٣ في مصر وكان آخر عهدنا به في بعض اجتماعات الهيئة العربية العليا في مصر سنة ٩٤٧ رحمة الله عليه .

شيء عن الأمير مصطفى الشهابي

ومنهم الأمير مصطفى الشهابي وهو اخو الشهيد الأمير عارف واصغر منه وقد درس الزراعة في جامعة فرنسية وصار ذا خبرة واسعة فيها كما كان ذا رسوخ في اللغة العربية وفنونها وتاريخ العرب والاسلام بحيث يمكن القول انه كان من علماء العرب المعاصرين فضلا عن انه اعلم الشهابيين وكان مثلهم قوميا ابيا مستقيماً مع شيء من الجفاف والترسم وقد تعرفنا به في عهد فيصل وتوثقت صلة الصداقة بيننا وتولى وظيفة عالية في وزارة الزراعة في هذا العهد وبقي في وظيفته بعد غزو فرنسا لسورية وسكتوا عنه لأنه لم يكن له نشاط سياسي شديد ومعاد لهم . وظل محتفظاً باستقامته وروحه القومية دون اي انحراف وتعاون معهم مع استمراره في الدراسات العلمية العربية والزراعية وحينما رضخت فرنسا وقررت مفاوضة الكتلة الوطنية لعقد المعاهدة الاستقلالية تألفت حكومة جديدة موالية للكتلة وغير معادية لفرنسا برئاسة عطا الأيوبي فدخل فيها وزيرا للمعارف وذهب مع الوفد المفاوض الذي انجز عقد المعاهدة وفي عهد الاستقلال الأول ٩٣٦ والثاني ٩٥٤ تولى مناصب حكومية عالية في نطاق اختصاصه دون الوزارة وكان سفيراً لسوريا في مصر ثم صار عضواً في المجمع العلمي العربي فرئيساً له وظل في هذا المنصب الى ان توفي سنة ١٩٥٦ رحمة الله عليه .

وبقينا اصدقاء متواثقين نتزاور من آن لآخر لأني اتخذت دمشق دار اقامة منذ سنة ٩٣٧ الى ٩٤١ ثم بعد عودتي من تركية ٩٤٥ الى الآن وقد رشحني لعضوية المجمع العلمي العربي في

مصر وتم انتخابي لها. وقد الف كتباً عديدة في الزراعة والاجتماع والقومية العربية والاستعمار وحاضر في معهد الدراسات العربية العالية في مصر وكان ينشر مقالات وابحاثاً علمية ولغوية واجتماعية مفيدة وبليغة في مجلة مجمع دمشق ومجمع القاهرة ومجلات اخرى .

شيء عن محي الدين صادق

ومنهم محي الدين صادق وهو ضابط سوري صلب العقيدة مع دماثة خلق وقد احببنا بعضنا وتوثقت الصلة بيننا وتعاونا اثناء عهد فيصل ثم افترقنا بعد سقوط العهد ولم نلتق ولا اعرف متى توفي رحمة الله عليه.

شيء عن رشيد بقدونس

ومنهم رشيد بقدونس وهو زميل لمحي الدين صادق وضابط سوري مثله واسع الثقافة العربية والاسلامية دمث لين مع صلابة في العقيدة وقول الحق وقد احببنا كذلك بعضنا وتوثقت الصلة وتعاونا في عهد فيصل وافترقنا بعد سقوطه ولم نر بعضنا ولا اعرف متى توفي هو الآخر رحمة الله عليه .

شيء عن طه الهاشمي

ومنهم طه الهاشمي وهو ضابط أركان حرب في زمن الدولة العثمانية وذو ثقافة عسكرية وغير عسكرية واسعة حتى ليعد من العلماء العرب وكان دمث الأخلاق مع صلابة في المبدأ وجرأة على قول الحق وهو أخو ياسين ولكن لم يكن له صفات تؤهله للبروز في الزعامة كأخيه مع التنبيه على انه مثله في الروح القومية وقد كان يتولى مناصب عسكرية عالية في الجيش العثماني وبعد انسحاب الأتراك من سورية جاء الى دمشق واندمج في نشاط عهد فيصل وتولى بعض المناصب . وقد انسجمنا مع بعضنا وتوطدت صداقة صميمة بيننا ولما سقط العهد الفيصلي عاد الى العراق وتولى في عهد الملك فيصل مناصب تنظيمية عالية في الجيش وصار رئيس اركان القيادة العراقية العامة وقد التقينا به في زياراتنا لبغداد في سني ٣٣ و ٩٣٦ و ٩٣٧ وجددنا عهد الصداقة ولما تولينا امر تأجيج ثورة فلسطين في أواخر ٩٣٧ وبعدها طلبنا منه مدنا بالعتاد فاستجاب وأرسل الينا خمسين صندوقا فيها رصاص للبنادق فكانت لنا اعظم هدية ومدد ولجأ الى تركية في ظروف ثورة رشيد عالي والتقينا به في الآستانة حينما لجأنة بدورنا الى تركية وكنا نتزاور دائماً وحينما ابعدتنا الحكومة التركية من الآستانة الى الأناضول

سعى لنقلنا الى بورسة وجاء لزيارتنا فيها وبعد نهاية الحرب عدنا الى دمشق وعاد هو اليها بعد قليل وأقام فيها فتجدد عهد الصداقة والتواد وقد تولى أثناء التحضير لحرب فلسطين واعداد جيش الانقاذ مهمة مستشار عسكري ونشط نشاطاً مشكورا في انشاء مدرسة تدريب الضباط الفلسطينيين وتنظيم المتطوعين وجيش الانقاذ وتعاونا معه تعاونا وثيقا في كل ذلك وبعد النكبة عاد الى العراق ولم يقسم حظ بلقائه الى ان توفاه الله في الستينات رحمة الله عليه وله بعض المؤلفات العسكرية المفيدة. وقد اتهم بأنه قصر في امداد الشهيد عبد القادر الحسيني بالسلاح والعتاد وكان عذره ان الميسور من ذلك قليل وانه مضطر الى التقنين حتى يمكن التوزيع على جميع الفئات المجاهدة من جيش الانقاذ وفصائل الجهاد المقدس وغيرهما وانه لم يكن في استطاعته ان يعطي الشهيد الحسيني كل ما كان يريد ونحن نعرف انه لم يكن منسجما تماماً مع الحاج أمين الحسيني الذي كان يريد ان يتولى جميع أمور الحركة الجهادية بصفته رئيس الهيأة العربية العليا لفلسطين في حين ان الجامعة عهدت بقيادة العمل العسكري لضابط ركن عراقي هو اللواء اسماعيل صفوة وكان طه يتولى احياناً مهام عمله حين غيابه فكان شيء من الصدام يقع بينه وبين الحاج أمين واظن ان لذلك أثراً في ما اتهم به ، وحمّل اكثر مما هو الواقع .

شيء عن الشيخ يوسف ياسين

ومنهم الشيخ يوسف ياسين وقد رأيته لأول مرة في نابلس ١٩١٣ حيث جاء زائراً مع محمد الشريقي الذي كان اصغر منه وكان ينظم الشعر وكان الاثنان متحمسين للقومية العربية والحركة العربية التي كانت جائشة في هذه الظروف وكلاهما من اللاذقية ولما احتل الانكليز القدس في كانون الأول ١٩١٧ كان الشيخ يوسف في القدس ولا أدري سبب ذلك وكان متعاونا مع الحاج امين ورفاقه من شباب الحسينيين وزملائهم في نطاق النادي العربي فالتقينا به من جديد في سنة ١٩١٩ حيث ذهبنا الى القدس وعقدنا المؤتمر الفلسطيني الأول الذي مر ذكره ثم التقينا به في دمشق في عهد فيصل حيث جاء اليها في جملة من جاء من شباب العرب وفيها توثقت صلة الصداقة بيننا واستمرت وكان شابا ذا روح قومية ومتحمساً ونشيطاً ولما سقطت الشام خرج مع من خرجوا وذهب الى عمان مع من ذهب اليها وجاء الى القدس واشتغل في جريدة الصباح وكان يحررها محمد كمال بذيري فترة من الوقت ثم سافر الى الرياض وصار في حاشية الملك عبد العزيز ونال لديه حظوة كبيرة حتى صار نائب وزير خارجيته والتقينا به في الرياض في سنة ٩٣٧ حينما ذهبنا مع وفد لمقابلة الملك والتحدث معه في شأن مقابلة اللجنة الملكية التي جاءت للتحقيق في قضية فلسطين على ما سوف نشرحه بعد وجددنا عهدنا وقد نزلنا

انا ورفاقي في الوفد في بيته ثم التقينا به عبر نشاطنا في الهيئة العربية العليا حيث كنا نمثل هذه الهيئة في جامعة الدول العربية في سنة ٩٤٧ وكان هو يمثل المملكة العربية السعودية وكان يلتزم التزاما صارما بتعليمات سيده مهما كانت فكان في الحقيقة نتيجة لذلك فاقداً لشخصيته واستقلاله والمتبادر ان هذا ما جعله مقبولا محظيا من الملك السعودي وقد استطاع نتيجة لذلك ان يكون ذا مال وفير وآخر عهدنا به لقاء عابر التقينا به في مصيف الزبداني سنة ٩٥٣ وقد مات في الستينات رحمة الله عليه .

شيء عن ناجي السويدي

وهو اخو توفيق الذي كتبنا عنه كلمة سابقا وهو اكبر منه وقد تخرج من المدرسة الملكية والحقوقية العثمانية العليا ومارس بعض الوظائف في زمن الدولة العثمانية وهو المع ذكاء واكثر نشاطا وبداهة من توفيق وقد جاء الى دمشق في عهد فيصل والتقيت به وقام توادد وان لم يصل الى صداقة صميمة وفي ذهني انه مارس عملا اداريا عاليا في العهد الفيصلي في سورية وشهد مؤتمر العراق الذي قرر اعلان استقلال العراق على ما ذكرت في كلمتي عن توفيق ولما قام عهد فيصل في العراق اندمج فيه معارضا حينا ومؤيدا حينا وصار وزيرا اكثر من مرة وصار رئيس وزارة مرة ولم أره ثانية بعد دمشق الا في مؤتمر بلودان في أيلول ٣٧ الذي عقدناه مؤتمراً عربياً عاماً بعد صدور توصية اللجنة الملكية بتقسيم فلسطين للاحتجاج والاستنكار . وكان من جملة من وفد من العراق واشترك في المؤتمر وقد اخترناه رئيساً للمؤتمر وكنت انا سكرتيراً عاماً للمؤتمر فتعاونا وتواثقنا وكان حسن الضبط والانتباه وقد القى خطبة الافتتاح وكانت وجيزة وقوية اعلن فيها ان قضية فلسطين لا تخص عرب فلسطين فقط وانما هي قضية عربية واسلامية عامة من واجب العرب والمسلمين جميعا ان ينصروها ويكافحوا في سبيلها لتبقى فلسطين عربية سيدة واتفقت معه على القدوم الى بغداد لتوسيع تشكيلات لجنة الدفاع عن فلسطين حسب قرار المؤتمر وذهبت عقب انتهاء المؤتمر ولقيت منه ترحيباً وحرارة ودعانا الى مأدبة وبذل جهده في انجاز المهمة التي أتيت من اجلها ولم أره بعد ذلك وقد اعتقله الانكليز في اثناء الحرب العالمية الثانية ونفوه الى روديسيا مع من اعتقلوه ونفوه بعد ان تمكنوا من قمع تمرد العراق ضدهم بقيادة ضباط الجيش ورشيد عالي سنة ٩٤١ حيث انهم لمحوا له ضلعا في الموقف فقد كان وزيرا للمالية في الوزارة الكيلانية التي سميت الثورة باسمها وقد مات في منفاه سنة ٩٤٣ رحمة الله عليه .

كلمة عن خير الدين الزركلي

ومنهم خير الدين الزركلي وكان حينما التقينا به لأول مرة في العهد الفيصلي في دمشق شابا

تبدو عليه امارات الذكاء والبديهة وكان قد بدأ ينظم الشعر في العهد العثماني ولـه مقطوعات قومية ثم قويت موهبته في الشعر مع الأيام حتى صار من شعراء العرب المعاصرين البلغاء جزالة وقوة وفصاحة وعمقا ورقة وقد علمت انه كان اشتغـل في جريـدة الشرق التي كـان يصدرهـا الجيش الرابع وكانت بادارة واشراف الشيخ تاج الدين الحسني ولما قام عهد فيصل اندمج فيه ونشط وانضم الى جمعية الفتاة واشترك مع يوسف حيدر الذي كان هو الآخر قد انضم الى هذه الجمعية في اصدار جريدة (المفيـد) التي كانت لسان حال الجمعية بصورة غـير رسمية وكـان قوي القلم لاذع النقد . وكانت الجريدة تتلقى بعض المساعدات المالية من صندوق الجمعيـة وبواسطتها من خزينة الحكومة ولما توليت سكرتيرية هيئة الجمعية تعارفنا وتصادقنا وتعـاونا في نطاق ذلك وحينما سقط عهد فيصل خرج مع من خرج من دمشق وجاء الى عمان وبعد قليل قامت حكومة الأمير عبد الله فاشتغل فيها حيث كان رئيس ديوان مجلس المستشـارين ومفتشا للمعارف ايضا وحينما ذهبت الى عمان وقضيت فترة قصيرة جددنا عهد الصداقة وكان شديد النقد لاذعة لتصرفات الأمير وعهد حكومته وبعد سنتين غادر عمان وكتب كتـابه (عـامان في عمان) عن مدة اقامته وضمنه كثيرا من تلك التصرفات بأسلوبه اللاذع بالاضافة الى بند عن عشائر شرق الأردن وتشكيلات حكومتها واحداث سياسية اخرى جرت في هذه المدة وقد وثق صلاته بالملك السعودي عبد العزيز وصار موظفاً في السفارة السعودية في القاهـرة ثم مستشار لها .

وقد التقيت به بعد عمان اكثر من مرة في فلسطين حيث جاء وتولى رئاسة تحرير جريدة الحياة في القدس فكانت لسان حملة الفكرة الاستقلالية واشترك في المؤتمر الاسلامي العام ثم في المؤتمر العربي في اواخر سنة ٩٣١ واختير عضوا في اللجنة التحضيرية للمؤتمر الأخير التي عهد اليها بالسعي لعقد مؤتمر عربي عام واسع وكنت انا عضوا في المؤتمرين ثم في اللجنة التحضيرية وتعاونا في نطاقها وبعد ذلك عاد الى القاهـرة مستشارا للسعـودية وكـان ذلك آخـر عهدنـا به شخصياً وفي خلال ذلك انصرف الى كتابه العظيم الموسوعة (الأعلام) ذي الأجزاء الأحد عشر الضخمة وجزءين (المستدرك) وجزء بعنوان (الاعلام بما لم يرد في الاعلام) الذي اسدى بهم للتاريخ والأدب العربي والاسلامي اعظم خدمة بما احتوته من تعريف وجيز وصادق لمئات اعلام العروبة والاسلام قديما وحديثا وتوفي في عام ١٩٧٧ بمصر وربما بلغ الثمـانين من عمره او اكثر رحمة الله عليه .

تكرار لتنبيه سابق عما ذكرته من احوال اصدقائي

واكرر تنبيها سابقا لي عقب سلسلة كبيرة عن اصدقائي الذين توثقت الصلة الحميمة بيني

وبينهم من اعضاء المؤتمر واعضاء جمعية الفتاة القدامى والجدد ان ما اوردته هو انطباعات عامة في ذهني عن احوالهم ونشاطهم وظروف صلاتنا وصداقتنا وتعاونا معهم وقد يكـون فاتني من احوالهم واخلاقهم وتاريخهم ونشاطهم شيء قليل او كثير .

استدراك في صدد الأعضاء الجديدين

هذا ومن الحق ان اسجل ان عددا غير قليل ممن ضمته الفتاة في اثناء عهد فيصل كانوا موظفين كبارا في دوائر الحكومة وكانوا يترشحون للوظائف بسبب خبرتهم ومكانتهم ونشاطهم ومعارضتهم قد ضمتهم بقصـد كسبهم ودمجـهم فيها وجعلهم ينتقـدون قراراتهـا وانها كانت متساهلة بتحقيق هذا القصـد اكثر ممـا تتحمله الصفات المطلوبة في عضـو الجمعية وتسـوغه خطورتها .

وكان منهم المائع في اخلاقه وشعوره او وطنيته وغير المنضبط او انتهـازياً وغـير مهتم الا بمركزه ومطامحه ومطامعه ونزواته الشخصية وقد ظهر هذا من بعضهم اثناء العهد الفيصلي ثم ظهـر من بعضهم في عهد الاحتـلال الافـرنسي حيث ظلوا في وظـائفهم وسـايـروا السلطات الافرنسية بل منهم من اندمج في حركات ومواقف بغيضة تجاوبا مع سلطات الاحتـلال ومنهم من كان ذا دور رئيسي خطير في ذلك .

ولم تقتصر رغبة هيآت الجمعية في ضم الموظفين والمستوظفين الذي جعلها تتساهل فيهم بل اندفعت هذه الرغبة لضم اشخاص كانوا في تشكيلات حزبية اخرى وظهروا على المسـرح اقوياء العارضة والنشاط منسـاقة وراء ضم كل من كان فيه مزية ما لتكون محتكرة ولو بحسن نية للطبقة التي فيها قوة عارضة او مزية دافعة او نشاط او ثقافة بقطع النظر عن الأخلاق والمزاج وصعوبة الانسجام فكان من امر هؤلاء انهم لم يندمجوا في الفتاة قلبيـاً وباخلاص وحسن تواثق وانسجام وانما قبلوا بالانضمام اليها لكسب مركز وبروز في العهد الذي كانت الجمعية حـزبه وعماده والقوة المعنوية الكبرى فيه وظلوا في الفتاة اجساما غريبـة ومنهم من جاهـر بعدائـه لها وعدائه لأخوانه فيها وظل يعتبر نفسه غريبا عنها معارضا لها .

ولقد ثبت بالممارسة في عهد فيصل وما بعده ان الجمعية كانت قد ضمت اليها عنـاصر ضعيفة الاخلاق انتهازية في اثناء الحرب ممن كانوا يسمون قدامى ومؤسسين وقد جذبها اليهم ما كانوا يبدونه من حماس ونشاط وشعور قومي في العهد العثماني ولم يكونوا معرضين لتجـربة او حرية حركة او لاغراء بمطمع او مركز يمكن ان تنكشف بها تلك الصفات فيهم التي ظهرت على سجيتها حينما ذهب الخوف وتيسرت أسباب البروز واشباع الرغبات والنزوات والمطامع ولقـد

كان لمواقف واخلاق وسلوك هذه العناصر آثار سلبية في سمعة الجمعية وبنيانها وسيرتها وكانت من اسباب انتقادات وحملات وجهت الى الجمعية والى سلوك هذه العناصر وأنانيتها ومطامعها يعزى ما كان يكثر من دعوات الى اجتماع المؤسسين وتجديد انتخابات الهيئة المركزية لأن منهم من كان يريد ان يبرز ويشبع رغباته ونزواته بعضوية الهيئة لما كان لها من بروز وتأثير ونفوذ في دوائر الأمير الملك فيصل والحكم وميادين النشاط الأخرى وزاد في هذه آثارها السلبية ان الهيئة المركزية لم تقف الموقف الصارم والواجب وقوفه ازاء هذه العناصر بالمحاكمة والبتر والعقاب .

كان الشاذون اقلية والصالحون المستقيمون الأكثرية والكبرى

على ان من الحق ان نقول ايضا ان اسماء اعضاء الجمعية القدماء والجدد الذين عرفوا من اهل عصرهم وبيئتهم تدل دلالة قوية على ان الصالحين في اخلاقهم واستقامتهم وصدق شعورهم كانوا هم الأكثر كثيرا وان ما ظهر من عوار بعضهم وهناتهم حسب مقاييس الجمعية هم الأقل قلة كثيرة بحيث يمكن القول على كل حال ان الجمعية قد ضمت عدداً كبيراً من رجالات وشباب العرب الصالحين الجادين المستقيمين النشيطين الصادقين الذين كانت لهم خدمات جليلة وبروز مفيد للقضايا وفي هذا العهد وبعده وكانوا وظلوا ينتسبون للجمعية ويعتزون بانتسابهم اليها ويبذلون جهودهم لتحقيق ما كانت تتوخاه منهم حين ضمهم اليها .

تنبيه على ما تعرضت له الجمعية من حملات غير بريئة واسبابها ـ

ولقد قلنا ان سلوك تلك العناصر أثار حملة انتقاد ضد الجمعية ونقول ايضا ان الجمعية كانت عرضة لحملات انتقادية وتشهيرية لغير سبب سلوك هذه العناصر ايضا وقد يكون صدر من الجمعية وهيئاتها بعض اخطاء وتصرفات غير سليمة تستحق النقد مما هو طبيعي بالنسبة لأي تنظيم تبنّي عهدا وتكون حكومته منه او تحت هيمنته ويحاول ان يكون المؤثر في كل شيء وان لا يكون شيء في العهد الا بعلمه وموافقته ما امكن ذلك غير ان الجمعية تعرضت الى هذا وذاك لحملات غير نزيهة وغير صادقة ومجردة في عهد فيصل وكان للروح الاقليمية من جهة والدسائس الأجنبية من جهة والمطامع الشخصية من جهة يد فيها فكثير من اصحاب الوجاهات والزعامات المحلية الذين قامت وجاهاتهم على ما كان لهم من نفوذ او كلمة في دوائر الحكومة العثمانية تيسرت لهم بالأساليب القديمة المعروفة من رشوة وتملق وخدمات شخصية الخ . قد أغاظهم ان لا يتمكنوا من الاستمرار في استغلال وجاهتهم وزعامتهم في عهد فيصل على الوجه الذي اعتادوها وان يرو تلك الوجاهة والزعامة في طريق الزوال وان يبرز على المسرح رجال او شباب غير معروفين بالوجاهة والزعامة العشائرية فيكونوا هم اصحاب النفوذ والتأثير في دوائر العهد

وسيرته وان يكون نصيبهم الانزواء أو ما شابه . وكثير من طلاب الوظائف والمناصب والبروز لم ينعموا بما ارادوه فاعتبروا جمعيـة الفتاة خصما لهم واغتنم هؤلاء وأولئك فـرصة كـون كثير من اعضاء الجمعية القدامى المؤسسين والمؤثرين في العهد غير سوريـين شاميـين او غير دمشقيـين فحاولوا ان يجدوا في هذه النقطة ثغرة لاثارة النعرة الاقليمية والعصبية المحلية في أوساط الشام ودمشق وكان من آثار ذلك ما ذكرناه سابقا من جمعية وجهاء دمشق التي كان من وراءها بعض اعضاء الفتاة الذين هم من تلك العناصر . ولقد كان عهد فيصل مجالا عجيبا لمختلف التيارات الاجنبية . وكان كل تيار متعاونا مع الآخر يحاول ان يؤثر في مجال العهد ويجر ما يجده امامه . وكانت الدسائس والدعايات والأموال الأجنبية تلعب دورهـا في المجال ولما كانت الفتـاة تمثل الفئة الوطنية القومية المتطرفة اجمالا وكـانت تغذي الحمـلات المضادة للدسـائس الأجنبية التي كانت تهدف الى التشويش على عهد فيصل وإضعاف المقاومة والصلابة القومية فيه وتهديمه في النهاية وبسط السيطرة الاستعمارية على سورية الداخلية التي كانت المجال الفعلي لنشاط العهد والفتاة حزبه فمن الطبيعي جدا ان تكون لتلك الأموال والدعايات والدسائس اثر كبير في تلك الحملات ايضا . ولقد كان كثير من اعضاء الفتاة النشيطين المتطرفين موضوعا رئيسيا في انذار الجنرال غورو الافرنسي بين يدي غزوته الباغية لسورية الداخلية التي هدم بهـا العهد عـلى ما سـوف يرد شـرح أوفى له ممـا فيه دليـل قوي عـلى ما نقـول ولقد امتـدت حمـلات التشـويـة والتشهير ضد الفتاة في عهد فيصل وسورية الداخلية الى ما بعد انهدام هذا العهد ايضاً ومما لا ريب فيه ان فشل العهد وانهياره كان مما غذى هذه الحملات بعد هدمه من قبل خصوم الفتاة والحاقدين عليها ومما جعل اثارها تستمر الى امد غير قصير بعد انهيار العهد واننـا لنقول الحق ونؤكد اننا لسنا الآن متأثرين بالعصبية الحزينـة ان الفتاة كـانت اجمالا متشبعـة بفكرة الخـدمة المخلصة للعهد ونجاحه بأهدافها القومية وكانت لا تألوا جهدا في هذا السبيل وان ما كان من اخطاء او تصرفات غير سليمة قد بدرت عن حسن نية ولا يمكن ان تتحمل اتهاماً لها تمس مبادئها والأهداف القومية التي كانت تبذل جهدها بكل اخلاص في سبيلها .

التقصير في عدم ادامة او احياء تنظيم الجمعية وأسبابه

وهناك امر يجب ان نسجله على الفتاة فانها لم تستمر تنظيما بعد عهد فيصل ولقد حاول فريق من اعضاء الجمعية الذين تجمعوا في عمان بعد سقوط عهد فيصل وفي ظل امارة عبد الله استئناف التنظيم السري الرسمي وانتخبوا هيئة مـركزيـة واخذت تسير على غـرار دمشق في اجتماعاتها وقراراتها وتوجيهاتها وكانت تفرض نفسها في ميدان عمان وضمت بعض الصالحين الفلسطينيين والأردنيين اليها غير ان هذه المحاولة كانت محدودة الأمد والنطاق والمجال اولا ولم

يكتب لها الاستمرار فضلا عن الاتساع لأن جل البارزين من اعضاء الجمعية في عمان الذين كانت تلك المحاولة منهم اختلفوا مع الأمير عبد الله وتبعثروا ولم يسمع للفتاة خبرا تنظيميا آخر بعد ذلك ، ولو كان ، لما خفي أو اخفي ، عنا فقد كنا من اللباب وعظام الرقبة ، كما يقال وبقينا ننشط في مجال القضايا العربية عامة وقضية فلسطين خاصة ببروز وقوة والتقينا بكثير ممن حاولوا تلك المحاولة في عمان ولم نسمع او نلمح ان هناك تنظيماً .

ولقد كان هذا مؤسفا حقا فالجمعية تأسست واستطاعت ان تحتفظ بكيانها وحيويتها في أيام سوداء شديدة الخطورة والاخطار ثم تسنى لها ان تكون صاحبة عهد فيصل وان تنشط فيه نشاطا عظيما تنظيميا بالاضافة الى نشاطها العظيم في مختلف الميادين حتى لقد سنت لنفسها دستورا ونظاما[1] وكان معنى هذا عزما على الاستمرارية وتصميما عليها ولقد صارت القضية العربية القومية الى نفس الظروف التي ألهمت تأسيسها ان لم تكن ادق واشد خطورة لتنوع مجالات النضال واتساعها وصعوباتها ولم ينقطع النضال على اختلاف أساليبه في سبيل الاستقلال القومي والوحدة العربية وهما من الأهداف التي كانت للجمعية حين تأسيسها في داخل البلاد العربية وخارجها وكان ابناء الفتاة من العاملين المؤثرين في مختلف ميادين هذا النضال فكان كل هذا مما يوجب بقاء او احياء التنظيم فضلا عن ضرورة التوسع عنه والراجح انه كان لنتائج احداث الشام ، وخاصة لما كان من مكائد وتيارات ودسائس ، رد فعل في نفوس كثير من اعضاء الجمعية ثبط من هممهم وأضعف من عزائمهم وجعلهم في فتور وبلبلة وانكار ، وزاد هذا تفرق الأعضاء في مختلف انحاء البلاد العربية وانشغال كل من استطاع ان يستعيد انفاسه ونشاطه في مشاكل وقضايا وطنه الخاص حيث كان لكل منهم هذه المشاكل والقضايا التي من شأنها ان تستغرق جهودهم وأفكارهم فكان كل هذا مما حال بينهم وبين التفكير الجاد في ادامة تنظيمهم او احيائه .

ولقد اجتمع فريق غير قليل منهم في القدس ، وكنا منهم ، في آخر سنة ١٩٣١ في مناسبة انعقاد المؤتمر الاسلامي العام لبحث القضية الفلسطينية على ما سوف نشرحه فيما بعد في مؤتمر مصغر ووضعوا ميثاقا وقرروا الدعوة الى مؤتمر عربي اكبر وانتخبوا لجنة تحضيرية كنت انا من اعضائها ونشطت هذه اللجنة في سبيل عقد المؤتمر المنشود في بغداد بعد موافقة الملك فيصل وتشجيعه ولكن دسائس الانكليز وموت فيصل اوقفا النشاط وجمد اللجنة التحضيرية وكان من المأمول ان تنبعث عبر المؤتمر حيوية جديدة في الأعضاء تجعلهم ينظمون انفسهم مرة أخرى .

---

(١) اثبتنا نصوصها في كتابنا نشأة الحركة العربية الحديثة فلم نر ضرورة لاثباته هنا .

بقاء الأخوة والصميمين من الأعضاء

وكل ما بقي من اعضاء الفتاة تلك الصميمة الأخوية من كل من عرف بعضهم بعضا منهم من سوريين وعراقيين وفلسطينيين ولبنانيين حينما يلتقون في مناسبة ما خاصة او عامة والتمازج والانسجام والتعاون والتضامن فيما كانوا يباشرونه او يشتركون فيه من اعمال ونشاطات محلية او قومية .

الأحزاب التي كانت في عهد فيصل

لقد كان في عهد فيصل الى جانب جمعية الفتاة احزاب وتنظيمات سياسية اخرى .

حزب الاتحاد السوري وشيء عن نشأته ونشاطه واسماء أركانه

منها حزب الاتحاد السوري وقد انشيء هذا الحزب في القاهرة عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى وكان من أركانه أركان حزب اللامركزية الذي كان نشأ في عهد الدولة العثمانية والذي كان له دوي ونشاط كبيران في عهد هذه الدولة وكان موضع نقمة ومطاردة وبطش جمال على ما شرحناه في مناسبة سابقة وقد شرحنا نشأته وسيرته شرحا وافيا نوعا ما في كتابنا نشأة الحركة العربية الحديثة .

وكان سبب تشكيل حزب الاتحاد السوري جسب ما سمعناه وعلمناه من بعض اركانه ان الشيخ كامل القصاب وخالد الحكيم وعبد الرحمن شهبندر والشيخ رشيد رضا ذهبوا الى الحجاز بعد اعلان الشريف حسين الثورة واجتمعوا به ومنهم من زار فيصلا في مركز قيادة الثورة الشمالي ورجعوا الى مصر غير راضين عن الحسين وابنه لعدم انصياعهما لمقترحات وتوجيهات ابدوها فجمعوا فريقا من الساسة السوريين في مصر منهم رفيق العظم رئيس حزب اللامركزية وحقي العظم سكرتيره ومحب الدين الخطيب مساعد سكرتيره واسكندر عمون احد اعضائه وتشاوروا معهم في مصير البلاد العربية والسورية خاصة فقرروا اولا تقديم مذكرة لبريطانيا يطلبون منها توكيدا باحترام استقلال البلاد العربية وادارتها على أساس اللامركزية ويذكرونها بما للأمة والبلاد العربية من مركز مادي ومعنوي خطير وبما كان من جهادها ونشاطها وتضحياتها في سبيل ذلك مع الاحـ جاج على ما كان عرف قبل نهاية الحرب نتيجة نشريات الثورة الروسية من اتفاق بريطاني فرنسي روسي ثم اتفاق بريطاني روسي على تقسيم البلاد العربية التي تتحرر من السيطرة العثمانية لمناطق نفوذ وأستعمار-ثم على وعد بلفور المعطى لليهود بالمساعدة على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وقد وقع المذكرة كل من رفيق العظم والدكتور عبد الرحمن شهبندور وفوزي البكري والشيخ كامل القصاب وخالد الحكيم ومختار الصلح وحسن حمادة

وقد دعا مكتب المخابرات البريطانية في القاهرة الدكتور شهبندر وسلمه جوابا من وزارة الخارجية البريطانية مؤرخا في ١٦ حزيران ١٩١٨ عرف فيها بعد بالعهد البريطاني للسوريين السبعة وقد وعدت وزارة الخارجية فيه ببذل جهدها في مساعدة الشعوب العربية التي لم تكن متمتعة باستقلالها والتي سوف تتحرر من السلطان العثماني على الاستقلال والحكم وفقا لرغبات اهلها واجتمع على اثر ذلك فريق كبير من السوريين في مصر من جملتهم السبعة فقرروا انشاء حزب باسم الاتحاد السوري وفق ميثاق وضعوه ينص على وحدة سورية الطبيعية من جبال طوروس الى رفح واستقلالها استقلالا تاما على ان يكون الحكم فيها ديمقراطيا وعلى اساس اللامركزية والمنهج الذي كان وضعه حزب اللامركزية وعلى ان تكون الأحوال الشخصية[1] وفق شرائع كل ملة وان تكون حقوق الأقليات فيها مضمونة . واعتبر المجتمعون مؤسسين للحزب وانتخبوا له هيئة تنفيذية وادارية مؤلفة من ميشيل لطف الله والشيخ رشيد رضا والدكتور الشهبندر وسليم سركيس ورفيق العظم والشيخ كامل القصاب وخالد الحكم ووهبة عيسى المحامي وآخرين . وانتخبت هذه الهيئة ميشيل لطف الله رئيسا والدكتور الشهبندر وسليم سركيس سكرتيرين وكان من اولى مبادراته احتجاجه على تقسيم سورية الى مناطق احتلال عسكرية والمطالبة باستفتاء أهلها في المصير الذي يريدونه ولما عرفت الهيئة بقرار مجلس السلم بارسال لجنة استفتاء ثم عرفت ان الفرع الاميركي من هذه اللجنة قد توجهت نحو بلاد الشام بادئة بفلسطين جاء كل من رئيسها والدكتور الشهبندر والشيخ رشيد رضا والشيخ كامل القصاب ورفيق العظم وخالد الحكيم واسكندر عمون الى دمشق ولقد كان يقال ان هدف الحزب اقامة حكم جمهوري في سورية الموحدة على أساس الاستقلال التام واللامركزية وان اعضاء الحزب اندفعوا وراء هذا الهدف بسبب ما كان بينهم وبين الحسين وابنه من خلاف وان منهم من كان يطمع برئاسة الجمهورية مثل رفيق العظم وميشيل لطف الله الأول اعتمادا على عراقته وبروزه على رأس حركة اللامركزية في زمن الدولة العثمانية والثاني اعتمادا على تراثه الواسع وما كان يهيئه من مؤيدين وهتافين . ولقد ظل طابع النقمة والجفاء ملحوظاً عليهم ضد الحسين وفيصل طيلة العهد الفيصلي وبعده مما يمكن ان يؤيد صحة ما كان يقال غير ان شكل الجمهورية للدولة السورية لم يكن منصوصا عليه في منهج الحزب من جهة وقد اضطر الذين قدموا الى دمشق وتقدموا الى لجنة الاستفتاء لمسايرة الجو فاكتفوا بتقديم مذكرة مؤيدة بصورة عامة للقرار الذي قرره المؤتمر السوري على ما بقي منطبعا في ذهني وهذا القرار يرشح الأمير فيصل لملكية سورية الموحدة المستقلة الديمقراطية ولقد عاد الى مصر رفيق العظم وميشيل لطف الله بعد انتهاء لجنة الاستفتاء

(١) يقصد بذلك الزواج والطلاق والارث والوصية والوصاية . . . الخ .

من مهمتها وبقي في دمشق الشيخ كامل وخالد الحكيم والشيخ رشيد رضا والدكتور شهبندر ومحب الدين الخطيب واسكندر عمون ينشطون في سبيل استقلال سورية ووحدتها مع الناشطين تحت راية واسم حزب الاتحاد السوري مع بقاء الحزب محدود النطاق في الشام قاصرا على من جاء من اعضائه من مصر ومع اعتبار انفسهم من جبهة المعارضة للحكم القائم وجمعية الفتاة وكانت الجمعية تتعامل وتتعاون معهم في بعض المواقف على هذا الأساس ومن المفارقات الطريفة ان هذا ظل طابعا لجميعهم مع ان خالد الحكيم والشيخ كامل القصاب كانا من اعضاء الجمعية القدامى الذين يشهدون الاجتماعات ويشتركون في انتخابات الهيئة ومنهم من صار عضوا في هيئتها المركزية وهو الشيخ كامل . وان الشهبندر ورشيد رضا قبلا الانضمام للجمعية واقسما يمين الاخلاص لها اثناء وجودهم في العهد الفيصلي وقد ذكرنا اسماءهم في قوائم اعضاء الجمعية وكانت خلفية هذه المفارقة خلافهم مع فيصل وأبيه وعدم انسجامهم التام مع ترشيح فيصل لملكية سورية خلافا لمعظم اعضاء الفتاة القدامى والجديدين .

ولقد تعرفنا على جميع القادمين منهم وتوثقت الصداقة الحميمة بيننا وبين الشيخ رشيد رضا والشيخ كامل القصاب ومحب الدين الخطيب وكتبنا ما رأينا مفيدا عنهم وانطباعاتنا عنهم وصداقتنا معهم وصلاتنا بهم .

شيء عن خالد الحكيم

اما خالد الحكيم فقد كنا نلتقي به ونتزاور ونتحدث ونتوافق في كثير من المواقف والأفكار ولكن صلتنا به ظلت في نطاق اخوة الجمعية ولم تنعقد بيننا وبينه صداقة حميمة ولقد كان قوي الشخصية عاقلا حسن الاطلاع والمحاكمة والحديث ولكنه كان الى ذلك عنيدا حجاجا كثير النقد فيه شيء من السخرية والجفاف في أقواله وآرائه . وكان آخر عهدنا به عهد فيصل حيث افترقنا حينما أوشكت الشام على السقوط في الاحتلال الافرنسي وظل هو في دمشق لأنه لم يكن ذا نشاط معاد للافرنسيين ولم نسمع شيئاً عنه بعد ذلك ولا ندري متى توفاه الله رحمة الله عليه .

شيء عن الدكتور عبد الرحمن الشهبندر

واما الدكتور شهبندر فقد كنا كذلك نلتقي ونتحدث ونتوافق في كثير من المواقف والأفكار ولكن لم تنعقد بيننا صداقة حميمة ايضا ولقد ذكرنا قبل انه كان ينشط مع الناشطين في مجال الحركة العربية قبل الحرب وان جمال باشا قرّبه اليه هو وعبد الكريم الخليل ومحمد كرد علي حينما سولت له نفسه بامارة سورية ومصر او احداهما وانه لما اخفق في مطمحه وانقلب على من قرّبهم اليه همّ باعتقاله كما اعتقل عبد الكريم الخليل ولكنه استطاع ان يحدس الخطر وان

يفلت ويفر الى العراق عبر الصحراء ثم الى مصر واندمج في حركة اللامركزية مع رجال حزبها ونشاطهم ولقد كان واسع الاطلاع حسن الثقافة العربية والغربية وخطيبا مفوها وكاتبا . وكان فيه شيء من الحدة والنزق والعصبية وشيء كثير من الاعتداد بالنفس والطموح الى الزعامة والبروز وتوجيه اللوم والنقد ، وظل كل هذا ملازماً له في عهد فيصل وبعده ومع انه قبل الانتساب لجمعية الفتاة واقسم يمين الاخلاص لها فانه كان غريبا عنها بروحه وقلبه شديد المعارضة والتجريح لها . وظل هذا كذلك ملازماً له في عهد فيصل وبعده ولقد كان في عهد فيصل رمزا للمعارضة والتطرف في المطالب والمواقف حتى لقد رأت الهيئة المركزية للفتاة ان ترشحه وزيراً للخارجية في وزارة هاشم الأتاسي التي خلفت وزارة الركابي في العهد الاستقلالي حينما لمحت في فيصل بعد اعلان الاستقلال بل وقبيله على ما سوف نشرحه يعد شيئاً من الحيرة والرغبة للتفاهم مع فرنسا ولو بقبول انتدابها بصورة ما ليكون قوة ضاغطة في الوزارة واصرت على فيصل حتى قبل باسناد وزارة الخارجية له وجاء هو الى المؤتمر فدافع عن سياسة الوزارة وقال ان الوزارة هي دفاعية وجاءت للدفاع ولا يمكن ان تتوانى او تتساهل في مواقفها . ونسجل بحق انه لم يكن في الوزارة ذا فعالية او قوة ضاغطة كما كنا نتوقع ويتوقع الناس منه . ولقد بقي في دمشق بعد خروج فيصل ودخول الافرنسيين وسكت عنه الافرنسيون لأنه لم يكن له مواقف عدائية قوية وصريحة ضدهم واخذ ينشط في سبيل قضية سورية وحقوقها واستقلالها وكان له مواقف وطنية قوية حيث قاد مظاهرة شعبية ترحيبية بالمستر كراين عضو لجنة الاستفتاء الاميركية حينما زار دمشق بعد سنتين من الاحتلال الافرنسي وخطب خطابا حماسيا ازعج السلطات وحملها على اعتقاله مع آخرين لفترة من الوقت ولما اخذت الحركة الوطنية في سورية تشتد أسس مع رفاق له في الحركة حزبا سموه حزب الشعب وكان له نشاط حسن في نطاقه ولما اندلعت ثورة جبل الدروز وترشحت لتكون ثورة عامة عارمة لجميع سورية انضم اليها وصار زعيمها السياسي الى جانب سلطان الاطرش قائدها الحربي ، ونسجل انه لم يسجل فعالية جدية كما كان الناس يتوقعون منه وكان على خلاف ونشاز وتبادل تهم وانتقادات مع رجالات سورية الذين كانوا منتسبين لجمعية الفتاة وينشطون في مجال الحركة الوطنية في سورية والحركة الثورية في خارجها ولما توقفت الثورة ذهب الى مصر وفتح عيادة فيها مع استمراره في النشاط السياسي مع الناشطين في سبيل استقلال سورية وفي مناوأة الافرنسيين وفي توجيه التهم والنقد والمعارضة في نفس الوقت للذين كانوا ينشطون في داخل سورية الذين تجمعوا في نطاق الكتلة الوطنية برئاسة هنانو ثم برئاسة الأتاسي والذين كان معظمهم من المنتسبين لجمعية الفتاة القدامى ولقد زرت مصر في سنة ١٩٣٢ فزرته في عيادته وجددنا عهد تعارفنا ثم عاتبته على أسلوبه الذي يصطنعه ازاء رجال الجمعية ولكنه اصر على صوابه فيه ولما اتفقت الكتلة الوطنية مع فرنسة

وعقدت معاهدة الاستقلال سنة ٩٣٦ وقام العهد الوطني الاستقلالي برئاسة جمهورية هاشم الأتاسي انتقدها وعارضها ولقد دعي الى دمشق من قبل حكومة العهد للتعاون والمشاركة فجاء واستقر في دمشق وفتح عيادة ولكنه ظل في موقف المعارضة الشديدة للكتلة الوطنية وحكومتها وتجمعت حوله كتلة معارضة شديدة ايضا والمبررات كانت تسمح بذلك بعض الشيء بسبب ثغرات في نصوص المعاهدة من جهة ومراوغات الافرنسيين وسوء نيتهم من جهة اخرى غير انه يؤخذ عليه وعلى جماعته انهم لم يلحظوا او يقدروا الظروف الصعبة التي كانت تحدث بالقضية والكتلة الوطنية ولقد نقضت فرنسا المعاهدة في أواخر سنة ٩٣٩ عادت الى اسلوب الحكم الانتدابي او الاستعماري السابق للمعاهدة فأراد هو وجماعته ان يرى في ذلك صواب موقفه بل وصاروا يتهمون الكتلة بأنها من أسباب النكث الافرنسي لأن الافرنسيين حسبوا ان ذلك لن يكون له ردة فعل شعبية قوية بزعم ان الكتلة فقدت شعبيتها بسبب تساهلها . . ولقد اغتيل بعد النكث بقليل اي في أواخر سنة ١٩٣٩ فالصق انصاره تهمة تدبير ذلك باركان الكتلة وبخاصة بسعد الله الجابري وجميل مردم بك ولطفي الحفار وشكري القوتلي وكانت التهمة لشكري اضعف لأنه كان استقال من الوزارة قبل نحو سنة من النكث الافرنسي بسبب تصرفات جميل مردم بك ولطفي الحفار وكثرة تساهله مع الافرنسيين باجتهاده انقاذ ما يمكن انقاذه وصدر حكم المحكمة بالقضية واعلن براءتها مما اتهموا به ولقد كان الدكتور يسكن بيتاً فوق بيتنا في شارع الشعلان فيه سكنه وعيادته ولقد اعتقلتنا السلطات الافرنسية قبل اغتياله بأشهر قليلة بسبب نشاطنا في تمويل وتأجيج ثورة فلسطين وبضغط من الانكليز حتى قال احد اصدقائنا بين المزح والجد ان سجنك السابق لاغتياله كان من حسن حظك وانه لو اغتيل وانت خارج السجن لكانت التهمة وجهت اليك لأنكما في عمارة واحدة ولما بينك وبين رجال الكتلة من صداقة حميمة ولما كان تحت يدك من ثوار سوف يظن انهم هم الذين اغتالوه بتدبير منك .

وعلى كل حال لقد كان الدكتور من رجالات العرب عامة وسورية خاصة البارزين المعاصرين الذين شغلوا جزءاً كبيرا في تاريخ الحركة العربية الحديثة في اثناء الحكم التركي وبعده بالاضافة الى ما كان عليه من مواهب عقلية وثقافة واسعة عربية وغربية وقوة عارضة وخطابية ونشاط وحيويه رحمة الله عليه .

شيء عن رفيق العظم

ولقد اجتمعت برفيق العظم مرتين في اثناء وجوده في دمشق والرجل مهيب الخلقة وقور رصين وذو ثقافة اسلامية وعربية واجتماعية واسعة وكان ينشر بعض الابحاث الدالة على ذلك

في المجلات وله كتاب مشهور هو (اشهر مشاهير الاسلام) في اسلوبه ومنهجه دلالة على فهم عميق للأحداث الاسلامية ومداها وكان ذا مركز محترم في أوساط مصر وبخاصة اوساط الجالية السورية . ولا نعرف يقينا ظروف نزوحه الى مصر والراجح ان نزعة الحرية والحيوية فيه هما سبب النزوح في ظروف كان الحكم في سورية وسائر بلاد العرب تعسفيا واستبداديا وكثير الفساد وشديد الوطأة وقد اهلته صفاته ومركزه ونزعته وحيويته وثقافته ليكون رئيس حزب اللامركزية الذي كان له دوي عظيم ونشاط اعظم في مجال الحركة العربية اثناء الحكم التركي وقد مات في مصر في الثلاثينات رحمة الله عليه .

شيء عن ميشيل لطف الله

وقد اجتمعنا كذلك مرة واحدة مع ميشيل لطف الله الذي استطاع في ظروف ما وباسلوب ما أن ينال لقب أمير وباشا من الملك حسين وان يكون لقب الامارة شاملا لآخوته والانطباع الذي تركه اجتماعنا به ثم مسموعاتنا فيها بعد عنه انه يبذل بسخاء في سبيل الحركة السورية وأنه كان جادا في مناوأته للاستعمار الافرنسي والمطامع الافرنسية في سورية وقد عقدت الجمعيات السورية في جنيف في سنة ٩٢١ مؤتمرا لوضع ميثاق عمل في سبيل استقلال وحرية سورية فاختاره المشتركون في المؤتمر رئيسا ثم رئيسا للجنة التنفيذية التي انبثقت عن هذا المؤتمر ولم يكن ذا ثقافة واسعة ولكنه لم يكن غبيا وان كان يلمح فيه شيء من السذاجة ولقد زاودته فكرة الامارة على سورية عبر حزب الاتحاد السوري وبذل لهذا الحزب اموالا ساعدته على النشاط ولكن هذه الفكرة خابت حينما قرر المؤتمر السوري شكل الملكية للدولة السورية ثم رشح الأمير فيصل لها في القرار الذي قدمه للجنة الاستفتاء الاميركية ثم نفذ ترشيحه حين قرر في باريس ١٩٢٠ اعلان استقلال سورية غير ان الفكرة عادت تراوده بعد ذهاب فيصل من سورية وارتقائه عرش العراق وعلى امل ان تسفر الجهود عن نتائج ايجابية في القضية السورية فيكون اميرا لها ورئيسا وربما كان بعض من حوله يغذون فيه هذه الفكرة لاستمرار وضمان انفاقه على القضية وعليهم معا ولم يخالجني شعور حينما كنت اسمع اخبار طموحه وترشيح من حوله ان ذلك كان جادا ولقد توفي الأمير في العشرينات فحاول اخوه الامير جورج ان يحل محله في الجهد في سبيل سورية ومطمح الامارة او الرئاسة فيها ولكنه كان ارعناً فكانت بوادره مثار تندر الناس .

شيء عن اسكندر عمون

ولقد اجتمعت باسكندر عمون في دمشق اكثر من مرة لأنه اقام مدة اطول من رفيق

العظم وميشيل لطف الله وكان رجلا وقورا رضيا سديد الرأي والمحاكمة ضليعا في العلوم الحقوقية وعروبيا استقلاليا صلبا على ما انطبع في ذهني عنه وبقي تعارفنا عابرا دون صداقة حميمة واظن انه عين في حكومة المديرين التي كان يرأسها الركابي في المرحلة الأولى في عهد فيصل مديرا للعدلية لفترة من الوقت ثم غادر دمشق عائدا الى مصر .

شيء عن حزب العهد وانشطاره الى عهد عراقي وعهد سوري اثناء الثورة الهاشمية

ومن الأحزاب والتنظيمات التي كانت في عهد فيصل (حزب العهد) ولقد شرحت في كتابي نشأة الحركة العربية الحديثة كيفية تشكيل هذا الحزب في زمن الدولة العثمانية الذي كان عسكريا في الدرجة الأولى ومنهجه فلا أرى ضرورة لشرح جديد ولقد انضوى الى هذا الحزب عدد اكبر من الضباط السوريين والعراقيين في الجيش العثماني واستطاع عدد منهم الالتحاق بالثورة الهاشمية حينما اندلعت منهم من ذهب تسللا ومنهم من أسر من قبل قوات الحلفاء فطلبوا السماح لهم بالانضمام الى الثورة وأجيبوا لذلك . ولقد نشب شيء من الخلاف بين الضباط السوريين والعراقيين في اثناء الثورة ادى الى انشطار الحزب الى حزب عهد عراقي وحزب عهد سوري . ولعل مما سوغ لهم هذا الانشطار ما بدا من علائم انفصال قضية سورية عن قضية العراق في المصير السياسي ولقد انشغل كل من الشطرين ابان عهد فيصل بقضية وطنه الخاص .

العهد العراقي وأركانه ونشاطه وبعض أركانه

مع استدراك امر مهم هو ان عددا من ضباط العهد العراقيين كانوا قبل الانشطار منتسبين الى جمعية الفتاة ايضا ومنهم ياسين الهاشمي ومولود مخلص وعلي جودة الايوبي وجميل المدفعي فكان هؤلاء ينشطون في نطاق الجمعية في سبيل الشؤون العربية العامة وشؤون سورية منها ايضا بالاضافة الى اشتغالهم بقضية العراق اما الذين لم يكونوا منتسبين منهم الى الفتاة فقد ظلوا عهديين وكانت الفتاة تتعامل معهم على أساس كونهم من حزب غير حزبها وكانوا هم يتعاملون معها على هذا الأساس ايضا مع التنبيه على انه لم يكن بينهم وبين الفتاة صدام وتناظر لأنهم انصرفوا كما قلنا الى قضية العراق وممن نتذكرهم من هؤلاء نوري السعيد وتحسين العسكري وتحسين علي وجعفر العسكري وصبيح نجيب وراسم سردست وابراهيم كمال وعبد الله الدملوجي وثابت عبد النور وهذا كان مدنيا ـ غير عسكري ـ وغيرهم وقد تعرفنا عليهم وقام بيننا وبين غير واحد منهم شيء من المحبة والمودة والانسجام .

شيء عن نوري السعيد ونشاطه ومواقفه وصلاتنا ولقاءاتنا به

ومن أبرزهم وألمعهم نوري السعيد وكان من مؤسسي حزب العهد مع عزيز علي الضابط

المصري المشهور ولقد كان شابا ذكيا طموحا جم النشاط . وانضم الى الثورة الهاشمية ومنحه الملك حسين لقب باشا ورتبة لواء وكان من كبار اخصاء فيصل اثناء العهد الشامي وكان ذا بروز وحيوية وكان فيصل يعهد اليه بمهمات وسفارات سياسية وكان يبذل جهده وذكاءه في سبيل حسن انجاز مايعهد اليه وكانت اكثر هذه المهمات والسفارات مع السلطات الافرنسية حتى لقد اتهم بانه عميل لها ولم يكن هذا صحيحا ولكنه كان بأسلوبه اللبق يجعل ذاته مقبولاً ولقد كان يجنح الى المداورات والنشاط في الكواليس ولم يكن يتورع عن الدس والتدليس حتى كان خصومه يسمونه (الألعبان) ولقد كانت اخلاقه هذه وحسن انسجامه مع الافرنسيين مما جعلت الفتاة تحذر منه فلم تضمه اليها في بدء العهد وقبل مجيئنا ولم يقترح احد اثناء وجودنا ضمه اليها .

ولقد كنا نلتقي به مرارا في سياق لقاءاتنا مع فيصل وترددنا على قصره وفي اجتماعات أخرى ايضا فصار بيننا الفة وصداقة وان لم تكن قلبية وحميمة ولقد التقينا به مرارا بعد عهد دمشق وأولاهما حينما ذهبنا الى بغداد في آخر سنة ١٩٣٣ لحضور مأتم الملك فيصل وكان يتولى وزارة الخارجية وكان لقاؤنا حارا وكأصدقاء ليس بينهم تكلف ثم التقينا به مرارا في فلسطين ومصر ودمشق وبيروت وبغداد في سياق رحلاته ورحلاتنا ونشاطنا المشترك في سبيل قضية فلسطين التي كان له نشاط كبير في سبيلها في اثناء الاضراب الطويل وبعده في سني ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨ وقد سجلنا لقاءاتنا وما كان فيها في سياق تسجيلاتنا احداث السنوات الثلاث المذكورة وسوف ترد في مناسباتها وكانت لقاءاتنا حارة حميمة ولم نلقه بعد سنة ٩٣٨ ولكننا كنا نتابع نشاط بعضنا ونتبادل السلامات من بعيد ولقد ظل ملتصقاً بفيصل وصار من كبار مستشاريه وأوليائه حينما صار ملكا للعراق سنة ٩٢١ ثم ظل كذلك في زمن ابنه غازي ثم في زمن ابن غازي فيصل ووصاية الأمير عبد الأله وشغل جزءاً كبيرا في تاريخ العراق السياسي وتعهد مرارا الوزارة ورئاسة الوزارة وكان رمزا للموالاة للسياسة البريطانية على اعتباره ان التضامن مع بريطانيا هو الأفضل والاصلح للمصالح العراقية بخاصة والقضايا العربية بعامة وكانت الأسرة الهاشمية منسجمة مع هذا الاعتبار كل الانسجام وكان هو رجلها الأقوى ومن هنا كان دائما في الحكم وحينما لا يكون في الحكم لأسباب وظروف محلية كان يعد رجل القصر ومستشاره والناطق بلسانه وكان لذلك ثم لصفاته واخلاقه التي ذكرناها على خلاف ونشاز مع معظم رجالات العراق الذين شغلوا جزءاً كبيرا ولعبوا ادواراً مهمة في تاريخ العراق مثل ياسين الهاشمي وجميل المدفعي وعلي جودة الأيوبي ومزاحم الباجة جي ورشيد عالي الكيلاني وغيرهم .

وأذكر اني زرت بغداد في أيلول ٩٣٧ لتشكيل لجنة دفاع عراقية عن فلسطين وفق قرار

اتخذه مؤتمر عربي عقد في بلودان في ذلك الشهر احتجاجا على قرار اقامة دولة يهودية في فلسطين اعلنته الحكومة البريطانية حسب توصية لجنة التحقيق الملكية وكان جميل المدفعي آنذاك رئيسا للوزارة على أثر سقوط عهد انقلاب بكر صدّقي وحكمَة سليمان وكنت أتردد عليه في بيته لما بيننا من صداقة حميمة فكان يشكو لي من تحريكات نوري السعيد وطلب مني ان اذهب اليه وأعرض عليه ان يذهب سفيرا للندن على ان يمنحه ما يريد من مخصصات وامتيازات رغبة في ابعاده عن بغداد للخلاص من تحريكاته وذهبت اليه فعلا واستقبلني بحرارة والفة ونقلت اليه عرض جميل فضحك وقال انه باق في بغداد وهي مركز نشاطه وادرك ان جميل انما يريد ابعاده .

ولقد نشط أثناء الحربَ العالمية الثانية بسبيل تلك الفكرة وقدم المذكرة التي عرفت بالمذكرة الزرقاء لأنها جاءت ضمن وثائق نشرت في كتاب أزرق للحكومة البريطانية على ما اظن وادى نشاطه ونشاطَ الأمير عبد الاله ومصلحة الانكليز معا الى قيام جامعة الدول العربية في سنة ٩٤٤ على ما سوف نشرحه في مناسبته وظل مع ذلك يسعى في سبيل ذلك الاتحاد الذي كان يطلق عليه اتحاد الهلال الخصيب المتحالف مع الانكليز وكان يعتقد هو وكثيرون من رجالات العرب ان هذا الاتحاد حتى لو تم مبدئياً تحت هيمنة الانكليز فانه يكون منطلقاً لتطور اتحادي استقلالي عربي اجمع وانه ما دام العراق والأردن وفلسطين تحت تلك الهيمنة فالأفضل ان تكون مجتمعة في نطاق واحد تشريعي واقتصادي وسياسي ولما قام حسني الزعيم بانقلابه ضد حكم شكري القوتلي في سورية على ما أشرنا اليه قبل سارع نوري وكان وزيرا لخارجية العراق الى القدوم الى دمشق مهنئا للزعيم مشجعا على اندماج سورية في اتحاد الهلال الخصيب وكان شكري من المعارضين له ولدعوة سورية الكبرى التي كان يدعو الأمير عبد الله اليها وكان بين سورية والقوتلي من جهة وبين العراق والأردن من جهة اخرى جفاء ومساجلات غير ودية بسبب ذلك ولقد جاء في نفس اليوم الذي جاء فيه نوري الى دمشق وفد من قبل الأمير عبد الله مهنئا حيث اثار هذا وذاك ظنا بل يقينا لدى المراقبين وكنا منهم، حيث كنا في دمشق، بأن للانكليز وللعراق وللاردن وبالتالي لنوري السعيد يدا في الانقلاب واستطاعت مصر والسعودية ان تجذب حسني الزعيم وتغريه بأن يجعل الانقلاب لحسابه على الأقل لا لحساب العراق والأردن فانجذب وأعلن نفسه رئيساً للجمهورية ووقف مجافيا للعراق والأردن فقام سامي الحناوي وهو ضابط سوري كبير بانقلاب ضده وحينئذ تحركت من جديد فكرة اتحاد الهلال الخصيب واندمج فيها كثير من رجالات سورية الوطنيين انطلاقا من الاجتهاد الذي ذكرناه حتى كادت تصل الى نتيجة ايجابية لولا ما كان من تريث وتباطؤ في الخطوات اغتنمتها مصر والسعودية لاحباط واثارة انقلاب جديد اطاح بعهد سامي الحناوي ، وقد قتلته ثورة ٨ تموز ١٩٥٨ في العراق غفر الله له .

شيء عن ثابت عبد النور

وممن توثقت الصداقة بيننا وبينهم ممن ذكرت اسماءهم من رجال العهد العراقي ثابت عبد النور وكان مسيحيا ذكيا قويما جم النشاط سديد المحاكمة نير العقل ولم يبرز في مجال الحكم في عهد فيصل الشامي ولا في عهده العراقي، وقد أسلم،على انه لم يكن منزويا ومغمورا فيهما وقد التقينا به بعد عهد فيصل الشامي اكثر من مرة لقاء صداقة ومودة وكان يكثر الانتقاد والتجريح لرجالات العرب عقرايين وغير عراقيين وكان له أفكار واقتراحات لا تخلو من تخيلات وبعد عن الواقع والتطبيق ، وكان آخر عهدي به لقاء فلسطين في سنة ٩٣٥ ولا اعرف بعد ذلك ما جرى له ومتى توفي .

اما بقية من ذكرنا من رجال العهد العراقي فقد كان تعارفنا بهم عابرا وكنا نلتقي بهم في دمشق ولكن لم تنعقد بيننا وبينهم الفة وصداقة حميمة .

وظل الأمر بيننا وبينهم على هذه الصورة بعد سقوط العهد الفيصلي الشامي وقد التقينا ببعضهم في بعض زياراتنا لبغداد فكنا نجدد تعارفنا وحسب .

العهد السوري وبعض أركانه ومدى نشاطه

ولقد احتفظ ضباط العهد السوريين بتنظيمهم بمثابة حزب معارض للحكم الفيصلي وحزبه(أي جمعية الفتاة)ولقد تعامل التنظيم والجمعية على هذا الأساس وكانا مع ذلك يتعاونان على هذا الأساس في المواقف التي كانت المصلحة القومية تقتضي التعاون فيهما على ما سوف نشرحه بعد .

وكان من أبرزهم مصطفى وصفي وعارف التوام ورشيد الطرابيشي ورشيد بقدونس ومحي الدين صادق وقد رأت جمعية الفتاة في صفات ودماثة الاخيرين ما جعلها تعرض عليهم اخوة الجمعية ووافقا وصارا عضوين من اعضائها مع بقائهما ايضا في التنظيم العهدي وكان ذلك مما كان يلطف جو الصلات بين التنظيمين .

ولقد طعّم ضباط العهد السوري حزبهم او تنظيمهم ببعض المدنيين وكان من ابرز هؤلاء حسني البرازي وحسن الحكيم والأمير عز الدين والأمير فؤاد الشهابي وكانت هيئة ادارة تنظيمهم تتألف ممن ذكرنا اسماءهم من ضباط ومدنيين ولقد كان الضباط ضباطا في الجيش السوري الذي انشيء في عهد فيصل كما كان حسني البرازي وحسن الحكيم موظفين في

المالية فكان ذلك مما جعل نشاطهم الحزبي محدودا ولا أثر ايجابي شعبيا له . غير ان مواقفهم ازاء الأحداث والحلول السياسية المطروحة كانت قوية وصلبة وكانوا ينتقدون ما يترآى لهم انه غير سليم من أساليب الحكم وأساليب جمعية الفتاة وبرغم انهم كانوا موظفين في الجيش والمالية فقد اتسعت حوصلة العهد الفيصلي حكمة وحزبه لأن يقفوا موقف المتصلب المتشدد المعارض للحكم وحزبه المنتقد لها كما هو شأن المعارض .

ولقد ضمت جمعية الفتاة حسني البرازي ايضا لما كان يبدو من نشاطه وحيويته ولكنه ظل غريبا بقلبه وروحه عنها .

ولقد تعرفت عليهم جميعا وصار بيننا الفة وصار بيننا وبين محي الدين صادق ورشيد بقدونس صداقة على ما ذكرناه قبل اما الآخرون فقد ظلت صلتنا بهم صلات الفة دون صداقة حميمة .

شيء عن مصطفى وصفي

ولقد كان مصطفى وصفي الأبرز من العسكريين بقوة شخصيته ولكنه كان محدود الثقافة وكانت السمة العسكرية هي الغالبة عليه وقد توفي في الثلاثينات رحمة الله عليه واظن انه كان له مشاركة في النشاط الوطني ثم في الثورة السورية حينما اندلعت وقد كان آخر عهدي به في دمشق قبل سقوط العهد الفيصلي .

شيء عن حسني البرازي وحسن الحكيم

ولقد كان كل من حسني البرازي وحسن الحكيم شابين متحركين نشيطين مع القول ان الأول كان اشد جدا وكانا ذوي ثقافة عربية وتركية حسنة وقد عمرا طويلا ومات اولهما في سنة ١٩٧٢ رحمة الله عليه ولا يزال الثاني على قيد الحياة حينما بيضنا هذه الجذاذات في ايلول سنة ١٩٧٦ وهما اسن مني ببضع سنين وقد كانا اولا موظفين في المالية في زمن الدولة العثمانية ثم صارا كذلك في العهد الفيصلي وقد اسند الى حسن الحكيم في هذا العهد وظيفة مدير عام البرق والبريد وحمل مسؤولية تأخير برقية ارسلها الملك فيصل للجنرال غورو القائد الافرنسي قبل زحفه على رأس جيشه نحو دمشق جوابا على انذاره حتى لقد قيل انه أخرها عمداً لأن فيها قبول ذلك الانذار وكان هذا مخالفا لموقفه ورأيه وأظن ان يده كفت عن الوظيفة بسبب ذلك وقد قرأت دفاعا له في مذكرات نشرها سنة ١٩٧٢ ينفي العمد في التأخير واعتقد انه صادق فيه .

وكان حسن الحكيم مؤيدا او متفقاً مع الدكتور الشهبندر في مواقفه التي شرحناها تجاه الكتلة الوطنية ومعاهدتها مع الافرنسيين وحكومتها في سني ٩٣٦ - ٩٣٩ وحينما غز الافرنسيون دمشق في تموز ٩٢٠ خرج مع من خرج من سورية الى عمان ولما قامت امارة شرق الأردن برئاسة الأمير عبد الله دخل في حكومته كمستشار للمالية في مجلس المستشارين الذي كان هو حكومة الامير ثم عاد الى دمشق بعد ابرام اتفاقية الاستقلال وقيام العهد الوطني الاستقلالي الأول برئاسة هاشم الأتاسي ولقد برز كل من حسني وحسن في الخمسينات وصار الأول عضوا في المجلس النيابي عن حماة وصار كل منهما في ظروف استثنائية وزراء ورؤساء وزارات وصار حسن رئيسا للوزارة اكثر من مرة وقد التقيت بحسن في عمان حينما جئت اليها بعد قدوم الأمير عبد الله وأقمت فيها فترة ثم التقيت بالاثنين اكثر من مرة حينما أقمت في دمشق في سنة ٩٣٧ وبعدها وكان لقاؤنا لماما ومصادفة ولم يكن قد انعقد بيننا وبينهما صداقة حميمة وكنا حينما نلتقي يسلم احدنا على الآخر بمودة كأصدقاء تعارفوا وتعاونوا معا في عهد فيصل الشامي وقد انصرف حسن الحكيم في اخريات حياته ولايزال، الى كتابة ونشر مذكراته وكتب تاريخية اخرى عن حكومات سورية ووثائق الحركة العربية والسياسية .

حزب الاستقلال وظروف انشائه وبروزه ومدى نشاطه

ومن الأحزاب التي انشئت في عهد فيصل حزب الاستقلال العربي وقد قررت الهيئة المركزية لجمعية الفتاة في الدورة الثانية لوجودنا فيها التي كنت سكرتيرا لها انشاءه ولقد حاولت الجمعية ان تحتفظ بسريتها المطلقة على ما ذكرنا قبل ولكنها لم تستطع بعد ان بلغ عدد أعضائها من قدامى وجدد نحو مئتين او اكثر معظمهم في دمشق وكثير منهم يعرف بعضهم الآخر ويعرف اخوته معهم في الجمعية وصارت تسمى برجال الغيب وبأولاد حنيكر تعبيرا عن سريتها التي لم تبق سرا ولكنها في الوقت نفسه لم تصل في بروزها الى الحد الذي تكون فيه كتنظيم سياسي يتعامل مع الناس باسم صريح وكان هناك اشخاص كثيرون مسلمون ونصارى اصحاب نشاط وحركة وحيوية وثقافة يعيشون في مجال عهد فيصل موظفين وغير موظفين واعضاء في المؤتمر السوري لم يكونوا حسب مقاييس الجمعية اهلا ليكونوا من اعضائها فقررنا انشاء هذا الحزب ليكون واجهة علنية للجمعية تحمل اسم تنظيم حزبي علني ويتعامل مع الأحزاب على هذا الأساس بدون زج لأسم الفتاة في هذا التعامل وصونا لها من التبذل وكان ذلك في أوائل عام ١٩٢٠ وقد اعلن تأسيسه كحزب ذي برنامج استقلالي يستهدف الوحدة العربية وبذل كل جهد للنهوض بالأمة العربية الى مصاف الأمم الراقية ، وقد تقرر ادخال كثير من العناصر التي ذكرناها ممن لم يكونوا كما قلنا اهلا لعضوية الجمعية حسب مقاييسها وتقرر مع ذلك ان تكون

عضويتها فيه تابعا لبعض المراسم مثل الترشيح والتقرير والتحليف والواجبات المالية وتقرر ان يوعز لأعضاء الفتاة القدامى والجدد ان يدخلوا اعضاء فيه فلم يلبث ان قام الحزب قوي الاسم قوي النشاط كثير الأعضاء وان انتسب اليه كثير من العناصر الوجيهة البارزة والنشيطة والمثقفة في دمشق وعدد غير قليل من اعضاء المؤتمر السوري غير الدمشقيين وقد جرى لانشائة وتدشين قيامه احتفال واجتمع عدد كبير من الذين انتسبوا اليه واقروا برنامجه وقانونا داخليا له وانتخبوا هيئة ادارية اولى له وكانت مؤلفة مني ومن سعيد حيدر وأسعد داغر وفوزي البكري وعبد القادر العظم وسليم عبد الرحمن وفائز الشهابي واختاروني سكرتيرا وكنت في نفس الوقت سكرتيرا للهيئة المركزية لجمعية الفتاة وسكرتيرا للمؤتمر السوري الذي توقف ثم استأنف اجتماعاته وظللت سكرتيرا له وسكرتيرا للجنة الدستور التي ألفها المؤتمر لوضع مشروع دستور للمملكة السورية المرتقبة وكنت الى هذا سكرتيرا للجمعية الفلسطينية وعضوا في اللجنة الوطنية ممثلا لحزب الاستقلال على ما سوف اذكره بعد حيث يدل هذا على ما كان لي من جهد ونشاط في العهد وكان الارتباط وثيقا بطبيعة الحال بين هيأتي حزب الاستقلال وجمعية الفتاة بحيث كانت القرارات والأعمال متوافقة متطابقة او بكلمة اصح بحيث كانت قرارات ومقترحات ونشاط الحزب صدى لقرارات ومقترحات ونشاط وتوجيهات جمعية الفتاة وهكذا دارت الالة الظاهرية قوية نشيطة واتجهت الأنظار لها وكان ذلك وسيلة لحفظ سرّية جمعية الفتاة بشكل ما حتى لقد اختلط الأمر على الناس بل وعلى كثير من خواصهم فلم يعودوا يفرقون بين الجمعية والحزب ثم لم يلبث ان غلب اسم الحزب وصار هو الذي يدور على الألسنة ومع ذلك فمن الحق ان اسجل ان كثيرا من الأعضاء قد دخل في الحزب لأنه بدا لهم انه حزب الحكومة وان من الممكن ان يكون لهم بسبب انتسابهم اليه منافع وبروز وان من هؤلاء من لم يخلص للحزب ويندمج في توجيهاته ومقرراته واهدافه اندماجا مخلصا بل منهم من كان يقف معارضا له وسلبيا ازاءه ايضا . وهذا كان شأن عدد ممن ضمته الفتاة من قدماء وجدد على ما نبهنا عليه قبل .

بعض ممن اذكرهم ممن انتسبوا لهذا الحزب من البارزين

وممن ترد اسماءهم الى ذاكرتي من الذين انتسبوا الى حزب الاستقلال من البارزين في الوجاهة او النشاط آنئذ فارس الخوري وتوفيق شامية واسعد داغر والشيخ تاج الدين الحسني والشيخ عبد القادر الخطيب وراشد مردم بك . ومعظم هؤلاء وأمثالهم ممن لم اعد اذكرهم انتسبوا الى الحزب للبروز لأنه كان حزب الحكومة وكانوا وظلوا غرباء عن اهدافه ومبادئه وقد قام شيء بيننا وبين معظم المنتسبين للحزب ممن لم يكونوا من اعضاء المؤتمر واعضاء جمعية الفتاة سواء منهم المخلصون او الذين ظلوا غرباء بقلوبهم وروحهم عنه صلات معرفة ومودة لم تصل

الى صداقة حميمة باستثناء اسعد داغر وكنا نلقى منهم ولا فخر تقديرا واعجابا وقد التقينا بعدد منهم بعد سقوط العهد الفيصلي الشامي في اثناء زيارتنا لدمشق او اقامتنا فيها فكان لقاء ود ومعرفة .

شيء عن أسعد داغر

وأسعد داغر الذي استثنيناه كان شابا لبنانيا ذكيا نشيطا دمث الأخلاق عروبيا وحدويا استقلاليا وكانت تبدو عليه الطيبة وحسن الانسجام وقد عاش في اثناء الدستور ردحا من الزمن في الأستانة واندمج في حركة الشباب العربي واشتغل في الصحافة .ولا اعرف يقينا ما اذا كان درس او تخرج من مدرسة عالية ولكنه كان حسن الثقافة والاطلاع حسن الحديث وقد جاء من الآستانة الى مصر فاشتغل في الصحافة ثم جاء الى دمشق في جملة من جاء اليها في عهد فيصل الجياش واندمج في الحركة العربية ورجالاتها وظل على حسن وانسجام معهم وقد تعرفنا به في دمشق واحببنا بعضنا وتوثقت الصداقة بيننا واستمرت بعد سقوط عهد فيصل وقد عاد هو الى مصر واشتغل في الصحافة وشغل مركزا لا بأس فيه في الأهرام وقد التقينا به اكثر من مرة فكان يتجدد بلقائنا عهد الصداقة والانسجام والتوافق ونتداول في مختلف الشؤون العربية كأصدقاء عملوا في اتجاه واحد ومبدأ واحد وآخر عهدنا به لقاء في مصر سنة ١٩٤٧ ولم اعد أراه وقد توفاه الله في الستينات وقد كتب مذكراته وذكرني فيها مرارا في مناسبات مختلفة .

الحزب الوطني السوري ونشأته واركانه ومنهجه وما استشرى في نشأته من الروح الاقليمية ومداها

ومن الأحزاب التي نشأت في عهد فيصل الحزب الوطني السوري وقد انشأه جماعة من وجهاء الشام مزيجة من الكهول والشباب وظاهره حزب وطني استقلالي يعمل على استقلال ووحدة سورية ومساعدة الأمير فيصل في جهوده في تحقيق ذلك في ظل نظام ملكي ديمقراطي نيابي ويبذل جهده في توطيد التعاون بين الأقطار العربية[١] غير ان الذي لمحناه ولمحه كثير من المراقبين العروبيين انه انشيء للدفاع عما سمي بحقوق الشاميين ازاء مناقشة ما كان يسمى بالغرباء وكانت هذه التسمية تعني الفلسطينيين والعراقيين حيث كان رجال عديدون من هؤلاء قد تجمعوا في دمشق وبرزوا في عهد فيصل وصار لهم كلمة وشأن ونفوذ فيه وكان كثير منهم

---

(١) في كتاب امين سعيد ، الثورة العربية الكبرى الجزء الثاني خبر انشاء هذا الحزب ومنهجه .

اعضاء قدامى في جمعية الفتاة وكشفوا حسب تصورهم لمعان وبروز كثير من رجالات ووجهاء وشباب الشام ودمشق وكان من اعضاء هذا الحزب واركانه عبد الرحمن اليوسف وفوزي البكري ونسيب البكري وعلاء الدين الدروبي وسامي مردم بك ورضا الركابي وجميل مردم بك واحمد الحسيبي والشيخ تاج الدين الحسني والشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ عبد المحسن الأسطواني والشيخ محمد المجتهد ومحمد العجلاني والشيخ مسلم الحصني ونسيب حمزة وزكي المهايني وعمر العابد واحمد القضاني وبديع المؤيد ومحمد الشريقي وضموا اليهم للتعمية وللتزلف الشريف ناصر وآخرين من بارزي الحجازين الذين كانوا في حاشية الأميرويلفت النظر الى ان عددا من الذين سميناهم كانوا اعضاء قدامى في جمعية الفتاة وعدد آخر انتسبوا في الوقت نفسه الى حزب الاستقلال وهذا من المفارقات التي كانت تملى على بعض المنتسبين للفتاة وحزب الاستقلال مواقف متناقضة تنبثق في الحقيقة من المصالح الشخصية ومقتضياتها .

وقد قويت النعرة الاقليمية الشامية الدمشقية بقيام هذا الحزب وأخذت تبث دعاية ضد الفلسطينيين والعراقيين يحمّلونهم بها مسؤولية الحيلولة دون بروز الشاميين والدمشقيين والسوريين في وطنهم هذا مع انه لم يكن عدد العراقيين والفلسطينيين البارزين النشيطين في عهد فيصل يزيد كثيرا عن مائة شخص ان لم يكن اقل . وكانت جل المراكز الحكومية الرئيسية والثانوية في عهدة السوريين الشاميين وكان هذا في ظرف كانت الفكرة القومية العربية جياشة وكانت الروح الاقليمية متلاشية او يجب ان تكون كذلك وقد اندمج في تلك الفكرة الشامي واللبناني والحلبي والفلسطيني والأردني والعراقي والمصري وكان كثير من العراقيين والفلسطينيين بخاصة قد انضموا الى الثورة الهاشمية وجاهدوا في سبيل تحرير سورية تحت قيادة الأمير فيصل وكانت الحركة العربية التي كان لها نشاط وكان بينها وبين السلطات التركية تشاد وراح ضحيتها عدد كبير من الشباب والكهول مزيجه من عناصر عربية وعراقية وسورية ولبنانية وفلسطينية ولم يكن القائمون على هذا الحزب او الطامحون للبروز من اعضائه يتورعون في مختلف المواقف من التعريض بالعراقيين والفلسطينيين والقول انهم يتمتعون بخيرات ومراكز بلدهم ويعرضونه في الوقت نفسه للأخطار الداخلية والخارجية ولأنهم لا جذور لهم فيه . وحينما وقف معظم اعضاء جمعية الفتاة وحزب العهد واعضاء المؤتمر السوري موقف المتصلب من اتفاقية فيصل كليمنصو ثم من ازمة الانذار الافرنسي وكان فيصل لا يحبذ هذا الموقف ويميل الى تفاهم ما مع الافرنسيين على ما سوف نشرحه بعد سارع رجال هذا الحزب او حزب وجهاء الشام كما ينبغي ان يسمى حقا الى تأييده وكانوا يقفون ضد موقف ما يسمونه الغرباء واخوانهم ولقد أثرت هذه الدعاية في نفسي وجعلتني كما ذكرت في مناسبة سابقة ارفض تلبية دعوة الملك فيصل التي جاءتني في رسالة ساطع الحصري للذهاب الى العراق والمشاركة في بناء عهد فيصل فيه . واحذر ساطعاً في

جوابي الذي ارسلته اليه من تكرر تنبيه الروح الاقليمية في العراق كما تنبهت في دمشق اذا ما استجاب لدعوته غيري وصار رجال العروبة وشبابها في أقطار اخرى يتوافدون على العراق ويشتغلون فيه المراكز والمناصب .

حزب التقدم والحزب الديمقراطي في نطاق المؤتمر السوري

ومن الأحزاب التي نشأت في عهد فيصل حزب اسمه حزب التقدم وآخر اسمه الحزب الديمقراطي وهذان الحزبان قاما في نطاق المؤتمر السوري بعد ان انقلب هذا المؤتمر الى مجلس تأسيسي لمناقشة مواد مشروع الدستور الذي وضعته لجنة الدستور ومجلس نيابي لرقابة الحكومة بعد ان اعلن استقلال سورية بحدودها الطبيعية بملكية الامير فيصل في ٦ ـ ٨ مارس ١٩٢٠ ولم يكن لأي منهما تنظيم شعبي خارج المؤتمر وقد انقسم المؤتمر الى ثلاثة جماعات . . جماعة انضوت تحت الاسم الأول وأخرى تحت الاسم الثاني وثالثة احتفظت باستقلاليتها وكان الأول يمثل جمعية الفتاة وحزب الاستقلال وانصارهما ويعتبر حزب الحكومة والثاني كان يعتبر حزب المعارضة وقد كنت من الأعضاء العاملين في الأول وسوف نعود الى الكلام عنهما حينما يأتي دور الكلام عن نشاط المؤتمر السوري بعد اعلان الاستقلال .

شيء عن اللجنه الوطنية في عهد فيصل

وكان في عهد فيصل تنظيم باسم (اللجنة الوطنية) بالاضافة الى التنظيمات السابقة وهذا التنظيم لم يكن حزبا وانما كان تجمعا من الأحزاب الف في مناسبة انسحاب الانكليز من سورية في اوائل سنة ١٩٢٠ بعد اتفاقهم مع فرنسة على منحها حرية التصرف ازاء سورية الداخلية والاعتراف لها بالاشراف والهيمنة المباشرة وغير المباشرة على سورية الداخلية والساحلية ولبنان وفقا لاتفاقية سايكس بيكو المعقودة بين الدولتين اثناء الحرب والتي ذكرنا خبرها ومداها في مناسبة سابقة واقدام فرنسا على ارسال جنودها لاحتلال الأقضية الأربعة البقاع وبعلبك وحاصبيا وراشيا التي كانت تقيم فيها قوات انكليزية مؤقتا وقرار سورية بعدم الاعتراف بما تم من تفاهم بين الدولتين والاحتجاج على الاحتلال الافرنسي للأقضية الأربعة والاستعداد لموقف الدفاع عنها حيث تداعت الاحزاب مع وجهاء ورجالات احياء دمشق وتضاموا في الرفض والاحتجاج والفوا هذه اللجنة للاسهام في النشاط السياسي والدفاع المقرر باسم جميع قوى الشعب وقد استمرت اللجنة قائمة بعد حل مسألة الاقضية الأربعة وعادت الى نشاطها اثناء تأزم الموقف السياسي وانذار فرنسة لسورية واستعدادها لغزوها على ما سوف يأتي شرح أوفى له وقد كنت امثل في هذه اللجنة حزب الاستقلال .

الجمعية الفلسطينية وشيء من نشاطها

وكان هناك ايضا تنظيم فلسطيني باسم الجمعية الفلسطينية وقد انشأها بعض رجال فلسطين الذين اجتمعوا في دمشق في عهد فيصل للنشاط والدعاية لقضية فلسطين ونشر ميثاقها والكفاح في سبيلها وكنت انا عضوا وسكرتيرا لها وكان من اعضائها كل من الحاج امين الحسيني ومعين الماضي وعارف العارف والشيخ عبد القادر المظفر وسليم عبد الرحمن . وقد بذلت جهودها في سبيل مهمتها واصابت نجاحا غير يسير .

جمعية فتى فلسطين

والى جانب هذه الجمعية ألّف فريق من هؤلاء جمعية سرية سموها فتى فلسطين لتقوم ببعض اعمال مسلحة على حدود فلسطين لتشعر اليهود والانكليز ان اهل فلسطين سوف يسيرون في هذه الطريق بسبيل منع تنفيذ المخططات الانكليزية الصهيونية الاستعمارية على ما سوف نزيده شرحا بعد والذين الفوها هم انا والحاج امين وعارف العارف ومعين الماضي .

النادي العربي

وكان هناك النادي العربي وليس هو تنظيما حزبياً وانما انشيء ليكون مركز ومنطلق نشاط ودعاية قومية وشعبية وكان يتولى ادارته سليم عبد الرحمن والشيخ عبد القادر المظفر على ما ذكرناه في كلمتينا عنهما وقد كان له نشاط واثر في السبيل الذي انشيء له .

شيء من التفصيل في صدد انشاء جمعية فلسطين وجمعية فتى فلسطين ونشاطهما

لقد ذكرت آنفاً انه كان في دمشق من جملة التنظيمات السياسية جمعية فلسطين العربية وجمعية فتى فلسطين، وشرحا الظروف ونشاط هذين التنظيمين اقول اني اغتنمت انا وبعض الأخوان الفلسطينيين فرصة وجود عدد كبير من رجال وشبان فلسطين في دمشق واقترحنا على سليم عبد الرحمن دعوتهم الى اجتماع عام في النادي العربي الذي كان يتولى ادارته ففعل واجتمع نحو اربعين من بينهم من كان موظفا ومنهم من كان عضوا في المؤتمر السوري وتحدثنا في القضية الفلسطينية ووجوب التكاتف في الاهتمام لتوجيه الأذهان اليها والتوعية بخطورتها وجعلها موضع اهتمام الآخرين وانتهى الأمر الى تأليف جمعية سميناها الجمعية الفلسطينية . وانتخبت لها هيأة ادارية مؤلفة مني ومن الحاج امين الحسيني وعارف العارف ومعين الماضي وكان مما قررناه محاولة البدء بحركة كفاح مسلحة على حدود فلسطين لاشعار الانكليز واليهود

معا بعزم الفلسطينيين على الكفاح المسلح في سبيل منع تنفيذ وعد بلفور والسياسة الانكليزية الصهيونية الاستعمارية .

أول حركة كفاح مسلحة على حدود فلسطين

وخطونا خطوة في سبيل التنفيذ حيث استمددنا من الهيئة المركزية لجمعية الفتاة بعض المال والمعدات وهيأنا عصابة صغيرة بأمرة اخي محمد علي وكانت أولى حركاتها على حدود سمخ ولقد كان البدء بهذه الخطوة متأخراً أي في أواسط حزيران ١٩٢٠ وفي تموز ١٩٢٠ اخذ الموقف في سورية يتأزم بسبب الانذار الافرنسي ثم كانت حركة الغزو الافرنسية الاثيمة في أواسط تموز ٩٢٠ وسقط العهد وغادرنا دمشق على ما سوف نشرحه بعد فلم يكن بالامكان عمل شيء كبير .

قدوم كلفريسكي الى دمشق وما جرى بيننا وبينه

ولقد ذكرنا في مناسبة سابقة خبر تأليف الصهيونية جمعية في فلسطين سموها (جمعية السلام اليهودي العربي) وأوكلوا رئاستها ليهودي قديم مهاجر مستعرب اسمه كلفريسكي من اهل مستعمرة الجاعونة ـ روشبينا ـ قرب صفد وشيئاً عن نشاطه . ولقد جاء هذا الداعية الى دمشق بعد اعلان الاستقلال في ٦ ـ ٨ مارس ١٩٢٠ وأخذ يحتك بالفلسطينيين ويدعو بدعوته ويبذل جهده للاجتماع ببعض زعمائهم وبارزيهم وقد تم اجتماع معه وكنت انا ممن حضروا الاجتماع وناقشناه في مدى دعوته. وكنت انا ممن تصدى له بقوة . وأفهمناه ان لعبته لا يمكن ان تمر على واع عربي مخلص وانها ليست اكثر من سم في دسم لبينما يشتد ساعد الصهيونية وتستطيع ان تخطو خطوات هامة في سبيل انشاء دولتها على انقاض العرب وانا واعون بكل أبعادها واهدافها وان لا سلام بين العرب واليهود واننا سنكافحهم بكل قوة وبدون هوادة الى النهاية وسنحبط مخططاتهم ونحتفظ بفلسطين عربية كما هي ، وانه لن يقع في احبولته الا أفراد طامعون بمالهم او بمنافع أخرى على يدهم واحوالهم تكون مكشوفة والخزي يكللهم ولن يكون للصهيونية منهم اي جدوى وان ما ذكرناه للجّنة الاستفتاء هو قصارى ما يكون بالنسبة لليهود وهو ان القدماء في فلسطين اذا سالموا وتنصلوا من الصهيونية واهدافها يكونون جزءاً من رعايا الدولة العربية ولا يمكن السماح بهجرة يهودية جديدة او بشراء ارض عربية ولما رأى خيبة امله ما وسعه الا ان يوجه الي القول انك صعب شديد ومن الطريف ان بعض صحف الشام[1] نشرت خبره وخبر اجتماعنا به وحاولت غمزنا بذلك وقد كتبت لها رداً شرحت فيه أسباب

---

(١) جريدة المفيد وجريدة الدفاع العدد ١٣٦ تاريخ ٢٥ حزيران ١٩٢٠ .

الاجتماع وكون موافقتنا عليه هي لدرء اجتماعه مع اناس قد يكونون ضعفاء او غـافلين وانه تلقى ما يجب ان يتلقاه من جواب وصد . ولقد فكرنا في جمعية فتى فلسطين تدبير كمين له حين يعود الى فلسطين حتى نخلص من داعية زلق اللسان شديد النشاط شديد الخبث قد خول ان ينفق على من يستطيع جذبهم وخداعهم بسعه ويكـون في ذلك نـذير وعبـرة للصهيونيـة ومن الأسف انه عاد من طريق بيروت دون طريق القنيطرة التي كانت هي المفروضة لعودتـه واعد الكمين بها .

* * * * *

(١٤)

شيء من التفصيل في صدد مساعدة ثورة العراق

ومما كان من احداث كان لها رد ونشاط في دمشق، الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ولسنـا في صدد تاريخها لأن ذلك لا صلة له بمذكراتنا ولكن نذكر صلة الثورة بعهد فيصل في دمشق ولقد نشط رجال العراق منذ الاحتلال الانكليزي في سنة ١٩١٧ ـ ١٩١٨ في الاحتجاج على النيات والمطامع الاستعمارية التي اخذت تظهر من الانكليز المحتلين وفي المطالبة باستقلال العراق بناء على العهود التي قطعوها للشريف حسين . وتطورت الامور الى ان اندلعت ثورة عارمة ضدهم واشتـدت السلطات الانكليزيـة في المطاردة والقمـع حتى اضطر رجـال عديـدون بارزون الى المخاطرة والقدوم الى دمشق طالبين النجدة وكان على رأسهم الشيـخ يوسف السـويدي والـد تـاجي السويـدي وتوفيق السـويدي وكـان ذلك في ظـروف قدومي الى دمشق ثم في ظـروف سكرتيريتي الأولى للهيئة المركزية لجمعية الفتاة ولقـد كان جميـل المدفعي وعـلى جودة الأيـوبي اللذان كانا في قيادة الأمير والملك فيصل الثورية الهاشمية ودخلا معه الى دمشق في تشرين الأول ١٩١٨ ممن سارعوا للقيام بحركات مسلحة على الحدود العراقية الشمالية وتألف في دمشق تجمع عراقي بسبيل مساعدة الثورة وتأجيجها واتصل هذا التجمع برجال حكم وحزب فيصل وقـد احيل الأمر الى الهيئة المركزية للفتاة التي كنت سكرتيرها وتقرر ان تمنح المسـاعدات الممكنـة بواسطتها وتم الاتفاق على ان يكون جميل وعلي جودة ضابطي ارتباط وهمـزة وصل بيننـا وبين التجمع العراقي وصارا يترددان علي ونتعاون في سبيل تيسير مـد الثورة بمـا يمكن وكنت ابذل جهدي مع التنظيم العسكري الفيصلي ومع بعض رجال الحكم والقصر للحصول على ما يمكن الحصول عليه من مال وسلاح وتسليم ذلك لهما وكان ذلك مما وثق الصلة بيني وبينهما عـلى ما ذكرته في كلمتي عنهما .

(١٥)

شيء من التفصيل في صدد حركة الكفاح المسلح شمال سورية

ولقد كان الافرنسيون يحتلون بعض انحاء شمال سورية مما يلي حدود كليكيا واسكندرونه ومما كان يدخل في حدود الدولة السورية المرتقبة وقد فكر صبحي بركات الذي كان له زعامة ووجاهة في منطقة انطاكية وابراهيم هنانو الذي كان ذا عزيمة وصلابة وروح ثورية وهو من اهل الشمال السوري بالتصدي لهم والعمل المسلح في منطقة احتلالهم . وراجعا الهيئة المركزية للفتاة فقررنا قبول الفكرة ومد العمل بما يمكن من مال وسلاح ندبرهما لهم بجهدنا وعهدت الهيئة إليّ ان اكون صلة بينها وبينهم وان ابذل جهدي في سبيل تيسير ما يمكن من مساعدة وصارا يترددان عليّ وابذل جهدي كذلك لتيسير ذلك . وكان ذلك مما وثق الصلة بيني وبينهما على ما ذكرته في كلمتي عنهما ولقد استمرت حركتهما بقية عهد فيصل واستمرت مدة ما بعدها على ما اشرنا اليه في كلمتنا عن ابراهيم هنانو.

حادث ضم دير الزور الى سورية

ومن الأحداث التي كان لها دوي ورنين حادث ضم دير الزور الى سورية ولقد كانت حكومة الامير فيصل حينما قامت في تشرين الأول ١٩١٨ ان تمد سلطانها الى مدينة دير الزور وما يتبعها من قرى وعشائر ولكن الانكليز كانوا يطمعون في جعلها ضمن نطاق حكم العراق الذي كانوا يبيّتون الهيمنة عليه وفقا للاتفاق الذي تم بينهم وبين الافرنسيين فحركوا في دير الزور بعض عملائهم وجعلوهم يرسلون مضابط اليهم يطلبون فيها القدوم الى دير الزور وجعلها تحت حكمهم . وجاءت قوات انكليزية بناء على هذه المضابط الى دير الزور واحتلتها وأثار ذلك رجال دير الزور وكان رمضان شلاش وهو زعيم بدوي قد تعلم في مدرسة العشائر العسكرية العثمانية التي انشأتها الدولة لتخريج ابناء زعماء القبائل وتخرج منها ضابطا وقد عينته حكومة فيصل حاكما على مدينة الرقة وما يتبعها فتحرك بالتضامن مع رجالات دير الزور وقام بحركة عسكرية اخفقت في بدئها ثم نجحت واستطاع ان يحتل دير الزور وحينئذ اعلن انضمامها لحكومة فيصل وكان لذلك دوي عظيم في الشام في ظروف قدومنا الى دمشق وجاء هو بعد ذلك الى دمشق فاستقبل استقبالا كبيرا ومنح رتبة باشا ومرتبة لواء عسكرية واصبح لواء دير الزور نتيجة لهذه الحركة من نظام حكم سورية الداخلي وأرسلت الحكومة حاكما وموظفين . وقد سكت الانكليز على مضض وانتخب اهل دير الزور على أثر ذلك ممثلين عنهم للمؤتمر السوري وجاءوا الى دمشق واندمجوا في المؤتمر وحركة الحكم الفيصلي وهم محمد نوري الفتيح

وابراهيم الحاج حسين والحاج فاضل عبود وقد تعرفنا بهم وصار بيننا وبينهم مودة والفة وتعاون وكان الأول بخاصة رجلا جسيما وقورا رزينا عاقلا وطنيا استقلاليا حسن السمعة والعقل والمحاكمة والحديث .

(١٦)

حادثة استبدال الحاميات الافرنسية بالحاميات البريطانية في الأقضية الأربعة

ومن الأحداث الهامة التي كان لها دوي ومضاعفات واثارت نشاطا وانفعالا وتوترا حادث الاتفاق الانكليزي الافرنسي الذي انسحبت بموجبه القوات الانكليزية التي كانت ترابط في انحاء منطقة حكم فيصل ومنها الاقضية الأربعة راشيا وحاصبيا والبقاع وبعلبك .

فالانكليز برغم مسارعتهم الى التنصل لفرنسة مما كان من تسمية بريطانيا كمرشدة ومساعدة لسورية في حال رفض الولايات المتحدة الاميركية ذلك على ما جاء في قرار المؤتمر السوري المقدم للجنة الاستفتاءالاميركية ،واعلانهم لها انهم غير راغبين وغير طامعين في الانتداب على سورية وغير موافقين علىتسميتهم، فان فرنسا ظلت تلمس اصبعهم فيما كان يجري من حركات في الشام وما كان من اشتداد الدعاية ضدها اثناء الاستفتاء وما كان من اشتداد الحركة العربية والدعاية العربية في صدد تحقيق الأهداف التي قررها المؤتمر السوري وهي قيام مملكة عربية مستقلة تشمل جميع بلاد سورية داخلا وجنوبا وغربا واشتداد المعاكسة لمآربها ومطامعها والتي هي مناقضة لاتفاقية سايكس بيكو المعقود بينها وبينهم، بقصد ازعاجها والضغط عليها وارغامها على قبول ما تريد من تعديلات في هذه الاتفاقية وهو فصل منطقة شرق الأردن عن سورية الداخلية التي ستصبح تحت اشرافها والموافقة على غدوها تحت هيمنتهم مباشرة والموافقة على ان تكون جميع فلسطين تحت هيمنتهم وكانت في تلك الاتفاقية ستكون تحت ادارة دولية والموافقة على تعديل حدود سورية من الشرق بحيث يخرج منها بعض أقسام في حدود الموصل لتكون داخلة في حدود العراق الذي سيكون تحت هيمنتهم ولقد كان لفرنسة مطلب مهم عاجل من سورية الداخلية تحول بريطانيا دون تحقيقه وهو سيطرتها على الأقضية الأربعة (البقاع وبعلبك وحاصبيا وراشيا) التي كانت ترابط فيها قوات انكليزية والتي كانت من ضمن ولاية سورية في اواخر عهد الدولة العثمانية لأن اولياءها في لبنان كانوا وظلوا يثيرون هذه المسألة بدعوى ان هذه الأقضية كانت قبل غدوها في نطاق ولاية سورية في نطاق حكم الأمراء المعنيين ثم الشهابيين في لبنان وبالتالي انها جزء من لبنان ويجب ان يعاد اليه ليصبح لبنان بذلك (لبنان الكبير) وتتضمن به حدود لبنان الشرقية اكثر من جهة ويضمن به الاكتفاء

الذاتي في الاستغلال الزراعي عبر سهل البقاع الخصيب من جهة اخرى وكان هذا من مطالب اولياء فرنسة في الاستفتاء امام اللجنة الاميركية ومن قبله كان موضوع قرار من مجلس ادارة لبنان ارسل الى مؤتمر السلم وتضمن فيما تضمنه دعوى كون هذه الأقضية جزء من لبنان سلخته عنه الدولة العثمانية عنوة ويجب ان تعاد اليه والرغبة في انشاء اوثق العلائق السياسية والاقتصادية بين لبنان الكبير وبين فرنسة وكان هذا الأمر مما أثاره البطريرك الماروني الحويك حينما ذهب الى باريس ابان انعقاد مؤتمرر السلم حيث قدم مذكرة للمؤتمر وللحكومة الافرنسية ألح فيها على وجوب اعادة هذه الأقضية الى لبنان مع طلب الحماية الافرنسية للبنان الكبير .

اجتماع كليمنصو ولويد جورج واتفاقهما على تصفية المسائل المعلقة بين فرنسة وبريطانية

وقد رأت فرنسة من اجل ذلك كله ان تتصل ببريطانية وتصفي معها هذه المسائل وتم الاتفاق بين رئيسي وزارتي الدولتين على الاجتماع في باريس بسبيل ذلك وكان موضوع الأقضية الأربعة هو الموضوع المباشر لذلك الاجتماع بقصد استبدال حاميات افرنسية فيها بالحاميات البريطانية .

دعوة لويد جورج للأمير فيصل واحتجاج كليمنصو وإعاقته عن الوصول واتمام الاتفاق قبل وصوله

وقد دعا لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا الامير فيصل الى باريس لحضور الاجتماع على اعتباره حاكم المنطقة الشرقية السورية المعترف به كذلك من الحلفاء والذي لمنطقة حكمه علاقة بالموضوع المباشر ولعله اراد ان يقوي موقفه في المفاوضة والمساومة مع فرنسة بذلك ايضا وقد سارع فيصل الى السفر عن طريق فلسطين في ١٢ ايلول ١٩١٩ وكان معه الشيخ فؤاد الخطيب سكرتيره والجنرال جبرائيل حداد مدير الأمن العام، والدكتور احمد قدري بصفته طبيب الأمير الخاص وكان من اعضاء الهيئة المركزية للفتاة، والقائد أركان حرب محمد اسماعيل الطباخ بصفته خبير عسكري وتوفيق الناطور بصفته خبير قانوني والاثنان ايضا من اعضاء الفتاة القدامى وتحسين قدري مرافق الأمير ولحق بالوفد بعد يومين الأمير امين ارسلان والدكتور سامح الفاخوري وامين الكسباني والأمير فائز الشهابي الحاصباني النشأة وأمين التميمي ليكونوا ردفاً ومؤيدا لفيصل وكان سفر هؤلاء برأي وقرار الهيئة المركزية للفتاة حيث رأينا من المفيد ان يرافق فيصل اناس من لبنان وفلسطين والأقضية الأربعة ، ولقد احتج كليمنصو رئيس وزراء فرنسا على دعوة فيصل وحضوره الاجتماع لأن فرنسة كانت منذ البدء تنكر حقه في الكلام عن سورية وتناوىء حكمه ووجوده فيها وترى في عهد الشام الذي كان هو رأسه

والجياش بالحركة العربية المناوئة لمطامعها عثرة في سبيل تحقيق هذه المطامح، والح على حصر المفاوضة بين فرنسا وبريطانيا ولقد كان الموعد الذي ضربه لويد جورج لوصول فيصل يوم ١٦ ايلول وكان من الممكن ان يصل في الموعد لأن نسافة بريطانية حملته من الاسكندرية في ١٣ أيلول ولكن النسافة توقفت فترة ما في عرض البحر بحجة العطل والوقود ثم واصلت سيرها فوصلت مرسيليا في ١٨ أيلول وكان اجتماع لويد جورج - كليمنصو قد انتهى وعاد لويد جورج الى لندن .

الغدر الانكليزي اللئيم

وكان التعويق مقصودا ولا يمكن ان يكون الا من الانكليز لأن النسافة انكليزية حيث يبدو ان لويد جورج رضخ لاحتجاج كليمنصو فأشار بالتعويق لتسهيل مهمته ومآربه حيث يبدو موقف من مواقف الانكليز الخادعة الغادرة وعرف بعد قليل، ان الاجتماع الانكليزي الافرنسي قد انتهى الى اتفاق بين الدولتين فوافق الانكليز على سحب قواتهم من سورية الى شرق الأردن وحلول قوات افرنسية محل القوات الانكليزية في الأقضية الأربعة مقابل سحب الافرنسيين قوة رمزية كانت لهم في المنطقة الشرقية الفيصلية فتصبح هذه المنطقة عدا شرق الأردن خالية من قوات اجنبية ثم مقابل موافقة فرنسا على التعديلات التي كان يريدها الانكليز في اتفاقية سايكس بيكو والتي ذكرناها قبل اي غدو جميع فلسطين تحت هيمنتهم وفصل شرق الأردن عن سورية وغدوها كذلك تحت هيمنتهم واخراج بعض الحدود المحاذية لولاية الموصل من الهيمنة الافرنسية لتكون جميع ولاية الموصل عراقية وتعهد الانكليز بنفض يدهم من سورية الداخلية وجعل شؤونها ومصيرها لفرنسة تنفيذا للاتفاقية وتعهد الافرنسيون باحترام حرية التصرف الانكليزي في شؤون العراق المعدل الحدود وكان معنى هذا الموافقة على غدو سورية الداخلية تحت رحمة القوة الافرنسية المتفوقة وهدم عهد فيصل بالتالي ومن تمام الموقف الغادر ان لويد جورج ابقى في فرنسا رجلاً من قبله لاستقبال فيصل حينما تصل النسافة التي تقله وللاعتذار له عن انهاء الاجتماع الافرنسي الانكليزي الذي كان له موعد محدد والذي تأخر عنه ولدعوته لمتابعة سيره الى لندن .

محاولة الانكليز التهدئة خداعا ونفاقا

وبعد يوم أو يومين من انتهاء اجتماع كليمنصو / لويد جورج اخذت القوات الانكليزية تستعد للانسحاب من سورية ومن الجملة من الأقضية الأربعة وأخذت القوات الافرنسية الرمزية في سورية الداخلية تستعد للانسحاب كما ان الافرنسيين اخذوا يعدون قوة للحلول محل

القوات الانكليزية في الأقضية وشعر الانكليز بقوة اللطمة الغادرة التي صفعوا بها وجه سورية وفيصل حليفهم فأذاعوا في سورية بيانا حاولوا فيه تهدئة العرب حيث قالوا فيه ان ما تم هو تدبير عسكري مؤقت وليس من شأنه التأثير في قرار مؤتمر السلم والمصير السياسي لسورية .

الهياج في دمشق وانحاء سورية

ولقد ادرك رجال الحكم والسياسة والشعب في سورية الفيصلية مدى الاتفاق الانكليزي الأفرنسي ومدى الغدر الانكليزي اللئيم وانكشف لمن كانوا مخدوعين او غافلين ان ما كان من مواقف الانكليز المجاملة للعرب في سورية وما كان من تحريضهم ضد فرنسا انما كان وسيلة مساومة لبيع العرب بالثمن الذي يريدون وكان لذلك اثر شديد في انفسهم اهاج الافكار والأعصاب في مختلف طبقات الناس من حكام وغير حكام وهيئات وعوام وقامت في دمشق والمدن السورية الأخرى مظاهرات صاخبة تندد بالانكليز وغدرهم وتطالب بالدفاع وعدم تمكين الافرنسيين من احتلال الأقضية الأربعة وكان ينوب عن الأمير فيصل في رأس الحكم اخوه الأمير زيد فقرر بالاتفاق مع الحكومة وضغط الهياج والمظاهرات دعوة المؤتمر السوري للاجتماع للنظر في الموقف .

وسارع من استطاع ممن كان خارج دمشق من اعضاء المؤتمر الى تلبية الدعوة وكان في دمشق منهم جمهور كبير يمكن ان يكون ثلث الأعضاء او اكثر وانعقد المؤتمر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٩ في بهو النادي العربي كالمرة السابقة في جو عاصف من المظاهرات الصاخبة والأعصاب الهائجة وترأس الاجتماع عبد الرحمن اليوسف نائب الرئيس لأن الرئيس محمد فوزي العظم كان قد توفي وظللت انا سكرتيرا للمؤتمر لأنه لم يكن دورة جديدة وانما دورة استثنائية لأمر عارض فلم يتجدد انتخاب الرئيس ولا السكرتير وشهد الامير زيد الاجتماع على ما يرد الى ذهني والقى الركابي الحاكم العسكري ورئيس الحكومة بيانا حاول فيه تهدئة الهياج والأفكار حيث قال فيها قال :

بيان الحكومة وقرار المؤتمر مع الدفاع

ان الأمير فيصل في اوروبا يواصل نضاله وان الاتفاق العسكري هو تدبير مؤقت وان استقلال سورية مصون وان وزير خارجية فرنسة صرح بأن ما تم هو مؤقت ولا يؤثر في قرار مؤتمر السلم والمصير السياسي لسورية وان حكومته احتجت مع ذلك على ما تم لأنه بدون رأينا واستشارتنا وان نائب الأمير اراد اطلاعكم على الموقف لأنكم زعماء البلاد وممثلو الأمة لتبدو

رأيكم في الموقف وتكون مساعيكم القيمة في داخل البلاد عونا لسمو الأمير في خارجها. وعقد المؤتمر بعد ذلك جلسة ناقش فيها الموقف وقال غير واحد من الأعضاء ان ما تم ليس الا تطبيقا لاتفاقية سايكس بيكو المجحفة التي رفضتها سورية والأمة العربية واحتجت عليها وان الانكليز قد خانوا العرب وباعوهم لفرنسا مقابل ثمن تقاضته منها ضمانا لمطامعها ومآربها الاستعمارية ثم قرر وجوب رفض الاتفاق والدفاع عن استقلال سورية ووحدتها بالمال والنفس واعداد كل الوسائل الكفيلة بذلك وتحمل كل تضحية مهما عظمت لأن ذلك وحده الكفيل بحفظ كرامة الأمة وشرفها واستقلال البلاد ووحدتها ورد أي عدوان وتآمر عليها وقرر رفع كتاب بذلك الى الأمير زيد يكون بمثابة جواب على بيان الحكومة ثم نشر منشور بذلك على الأمة ايضا واختار لجنة لصياغة الكتاب المنشور وكنت من اعضائها ثم عرضنا الصيغة على المؤتمر في جلسة اخرى وتم اقرارهما بصيغتهما النهائية . وفي كتاب امين سعيد (الثورة العربية ج ٢) نص للكتاب والمنشور ويجوز ان يكون صحيحا لأنه نشر ايضا في الصحف الدمشقية في وقتها وقد وقع الكتاب المقرر تقديمه للأمير عبد الرحمن اليوسف بصفته رئيسا بالنيابة ووقعته انا ايضا بصفتي سكرتيرا وذهبت انا وهو الى قصر الامارة وقدمنا الكتاب للأمير زيد وشرحنا له جو المؤتمر الحماسي وأذكر ان عبد الرحمن اليوسف قال للأمير بأسلوبه البسيط التقليدي (ان عبيدكم اعضاء المؤتمر قرروا الدفاع وهو حق شرعي وكل حي حتى الحيوانات لا يمكن ان ترضى بالعدوان وتدافع عن حياتها ، وان الدجاجة حينما يمسكها ذابحها من عنقها تظل تضرب برجليها وجناحيها احتجاجا ودفاعا عن النفس) وضحك الأمير عاليا على هذا التشبيه الصادق الساذج . ولقد قرر المؤتمر فض الدورة الاستثنائية مع توكيده على الحكومة بوجوب الاستعداد للدفاع وعلى استعداده للاجتماع حينما تدعو الحاجة .

تأليف اللجنة الوطنية ونشاطها في هذا الظرف

ولقد استمر الهياج والتوتر وتكررت المظاهرات المناوئة بالدفاع وتألفت لجنة دفاع وطني شعبي باسم اللجنة الوطنية ضمت ممثلين عن الأحزاب وعن احياء دمشق وعلى رأسها الشيخ كامل القصاب وكنت انا وسعيد حيدر وتوفيق شامية ممثلين عن حزب الاستقلال فيها وكان حسن الحكيم وحسني البرازي ومصطفى وصفي ومحي الدين صادق ممثلين عن حزب العهد واختير من كل حي شخص من وجهائه المخلصين وصارت اللجنة تعقد اجتماعات عامة في الأحياء في احدى دورها الكبيرة فيجتمع مئات الناس من مختلف الفئات ويخطب الخطباء في تنبيه الناس وتوعيتهم ودعوتهم الى الاستعداد والتسلح للقيام بواجب الدفاع والتطوع في الجيش . .

استعداد الحاميات الانكليزية للانسحاب

ولقد استمر الانكليز في استعدادهم للانسحاب وسحبوا حامياتهم من الأقضية الأربعة واخذت قواتهم تتجمع في معسكر في دمشق استعدادا للانسحاب التام من سورية وبلغنا ان الافرنسيين اخذوا يحركون بعض قواتهم نحو الأقضية الأربعة للحلول محل القوات الانكليزية فيها وكان لنا (اي جمعية الفتاة وهيئتها المركزية) معتمدون في بعلبك من آل حيدر الذين كان عدد منهم اعضاء في الجمعية فقررت الهيئة المركزية للفتاة وجوب اعداد حركة دفاعية فعلية مهما كان الأمر حتى نسجل بأن الاحتلال الافرنسي لم يتم الا على اشلاء شهداء ودمائهم وان اهل البلاد دافعوا عنها بالقوة ثم قررت انتدابي انا والقائد العسكري محمد اسماعيل من اخوان الفتاة القدامى، وكان ذهب مع فيصل ثم عاد حينها واصل هذا سفره الى لندن لأنه ذهب كخبير عسكري في المفاوضات التي كان من المفروض ان يشترك فيها فيصل مع رئيسي وزراء بريطانيا وفرنسة، للذهاب إلى بعلبك للتحريض على الحركة والاشراف عليها وتنظيمها . وذهبنا فعلا ولما وصلنا الى قرب زحلة علمنا ان الافرنسيين احتلوا رياق وزحلة وصار الذهاب الى بعلبك متعذرا فعدنا ادراجنا الى دمشق ومما اذكره انني حملت في هذه السفرة مسدسا وأطلقت منه لأول مرة في حياتي بعض الطلقات للتمرين ولم نلبث ان ورد علينا من اخواننا في بعلبك بأنهم هيأوا جماعة مسلحة نصبت كمينا للقوة الافرنسية المتقدمة نحو بعلبك على بعد بضعة كيلومترات وان الجماعة اشتبكت مع هذه القوة وانه كان قتلى وجرحى من الطرفين نتيجة هذا الاشتباك وقد تغلبت القوة الافرنسية المتفوقة بالعدد والعدة على الجماعة المسلحة واستمرت في تقدمها حتى دخلت بعلبك، وعلى كل حال فان الحادث سجل موقفا دفاعيا دمويا ضد العملية الاحتلالية الافرنسية ولم يذهب الاشتباك مع التوتر والهياج والمساعي المبذولة سدى حيث عادت القوة الافرنسية فانسحبت من بعلبك بل وقد وقفت عملية احتلال الأقضية الأربعة كلها نتيجة مفاوضات واتفاق على حل وسط مقبول على ما سوف نشرحه بعد .

ولقد بذلت الحكومة نشاطا غير يسير في هذا الظرف فعينت نوري السعيد العراقي، الذي سبق تسجيل كلمة عنه، قائداً عسكريا للأقضية الأربعة كدلالة على تصميمها على الدفاع واحتجت على محاولة الاحتلال في احتجاج ارسلت نسخة لفرنسا وبريطانيا بواسطة معتمديها العسكريين في دمشق وسلمت نسخة كذلك لقناصل الدول الأخرى في دمشق وذكرت في احتجاجها ما أثارته محاولة الاحتلال من هياج وتوتر ونبهت الى ما قد ينتج عن ذلك من اخطار كبيرة ، ثم ارسلت نوري السعيد بصفته المذكورة الى بيروت لمفاوضة المندوب الافرنسي الجنرال غورو والذي يجمع بين صفة المندوب وصفة القائد الافرنسي العام معا بسبيل ايجاد حل مقبول للموقف تخف به حدة التوتر والهياج وتدخل الجنرال اللنبي قائد الحلفاء العام بصورة ما

بسبيل مثل ذلك الحل، والحيلولة دون تفاقم الموقف والاقتتال بين قوات الحلفاء التي ما زالت تحت قيادته والتي منها القوات العربية في سورية الداخلية والقوات الافرنسية في المنطقة الغربية ونتيجة لذلك تم الاتفاق على ان يكون الوجود العسكري الافرنسي في الأقضية الأربعة رمزيا وان يكون للحكومة العربية وجود عسكري فيها وفي رياق وغيرها على امتداد السكة الحديدية وان تبقى الأقضية تابعة كما كانت للحكومة العربية بواسطة موظفين عرب تابعين لهذه الحكومة وان تكون الادارة العربية هي المسؤولة عن حفظ الأمن والنظام بواسطة دركها وبوليسها وان لا يكون للقوات الافرنسية اي تدخل الا لمساعدة الادارة العربية وبطلبها .

وأرسل المعتمد العسكري الافرنسي، كتابا للحاكم العسكري الذي كان كما قلنا رئيس الحكومة العربية يذكر فيه انه يتلقى تعليمات من الجنرال غورو مستندة الى تعليمات من كليمنصو رئيس الوزارة الافرنسية بالتأكيد بان ما كان من اتفاق انكليزي افرنسي هو ذو صفة عسكرية مؤقتة وليس من شأنه التأثير في قرار مؤتمر الصلح في مصير سورية السياسي وانه مع ذلك قد وافق على الحل الوسط المذكور سابقا بسبيل اثبات حسن النية للتفاهم والانسجام وقد كانت الحكومة تذيع بيانات بالخطوات التي تقوم بها ثم اذاعت بيانا بما تم من حل وسط مقبول وبما جاءها من تأكيدات من الجنرال غورو مستندة الى تعليمات من كليمنصو وقالت ان الأزمة انفرجت وانتهى الخلاف وقد صدر البيان في الثاني من كانون الأول ١٩١٩ ثم اذاعت بيانا بعد يومين ذكرت فيه انها تلقت برقية من الأمير فيصل من باريس وانه اخبرها فيه بأن الاتفاق الذي تم بين كليمنصو ولويد جورج تم قبل وصوله . وانه لم يقبله وانه مع ذلك هو عسكري محض لا يؤثر على مصير البلاد السياسي وان فرنسة عدلت ان احلال جنودها محل الجنود الانكليز في الأقضية وتم الاتفاق على تعيين لجنة مشتركة من ضابط عربي وآخر انكليزي وآخر افرنسي لحل ما يقع بين المناطق من اختلافات ومقابل ذلك يكتفي بوجود درك عربي في الأقضية دون حاميات عسكرية عربية ويبقى الأمر كذلك الى ان تتم التسوية النهائية بواسطة مؤتمر السلم .

ولقد كانت هيئة جمعية الفتاة المركزية في حالة انعقاد دائم وكانت تتابع الموقف وتشترك في بحثه وتركيزه مع الحكومة التي كان اعضاؤها البارزون اعضاء في الجمعية .

ولقد نبهت هذه الحادثة الحكومة الى وجوب الاستعداد لمواقف مستقبليه واعداد جيش نظامي قوي لذلك وسنت قانونا بالتجنيد الاجباري حيث كان الجيش قائما على التطوع . وجعلت الجندية فيه واجبة على من يبلغ العشرين من عمره ومدتها ستة اشهر وبدلها النقدي ثلاثون جنيها ولم تسعف الظروف المالية والاجتماعية والسياسية معا للسير في تنفيذ هذا القانون مع الأسف .

ولقد استمرت اللجنة الوطنية مستمرة في نشاطها وقررت فيها قررته انشاء كتيبة مجاهدة في دمشق قوامها الف مجاهد تتولى هي تجهيزهم كما قررت ارسال وفود الى مدن سورية الأخرى لتحث اهلها على السير في ما سارت فيه سواء في التجمع والتوعية ام في انشاء كتائب جهاديه ولكن تلك الظروف لم تسعف أيضاً، ومع الأسف، على السير قدما في ذلك برغم ما كان من حماس الناس وثقتهم باللجنة وتأييدهم لها وكان من نشاطها عقد اجتماع عام في النادي العربي شهده جمهور عظيم من الشعب على اختلاف طبقاتهم وأديانهم وفي مقدمتهم مفتي دمشق وعلماؤها وبطرك الروم ومطران السريان وتعاهدوا على التضامن والدفاع وبذل كل تضحية في سبيلهما .

خطف الانكليز ياسين الهاشمي في يوم انسحاب حامياتهم

ولقد عين الانكليز يوم ٢٣ تشرين الثاني موعد انسحاب قواتهم من سورية فأرادوا ان يتوجوا ذلك بعملية مكر غادرة فدعا قائدهم العام ياسين الهاشمي الذي كان يتولى رئاسة ديوان الشورى الحربي لشرب الشاي موهما بأن ذلك حفلة وداعيه وحال ما وصل الى مركز القيادة أُمِر تحت التهديد بركوب سيارة عسكرية خرجت به تسللا من دمشق محروسة بحراسة شديدة حتى الرملة في فلسطين فاعتقل في معسكرها الانكليزي ولم يلبث الناس ان افتقدوا الهاشمي وعرفوا بعملية المكر والغدر فهاجوا وماجوا وسارعوا الى التظاهر الصاخب والاحتجاج الشديد بدون جدوى لأن الطير كان قد طار وفي نفس اليوم تم انسحاب القوات الانكليزية وكان من تمام المكر واللؤم والخداع الانكليزي انهم نثروا من طياراتهم مناشير يودعون فيها اهل الشام ويشكرونهم على ما كانوا يلقونه منهم من عطف وود .

تعليل الحادث

ولقد علل هذا الحادث بتعليلات عديدة حيث قيل ان الافرنسيين طلبوا من الانكليز اقصاءه لأنه اكبر رأس عسكري منظم ومدبر وهم يبيتون لسورية ما يبيتون بعدما تم بينهم وبين الانكليز من اتفاق صارت لهم بها حرية التصرف ازاءها وحيث قيل ان الانكليز اخذوه معهم لأن الثورة العراقية اخذت تشتد وياسين في دمشق من مصادر مدها وتأجيجها . بل وحيث قيل ان الركابي هو الذي سعى مع الانكليز لاقصائه قبل سفرهم لأنه كان يرى فيه المنافس القوي له المترصد لسياسته وكانت سياسته معتدلة نحو الانكليز والافرنسيين معا خلافا للهاشمي الذي كان يعد في رأس المتطرفين نحوهما . وكان الانكليز والافرنسيون يعرفون كل هذا فاستجابوا لرغبة الركابي التي رأوها متفقة مع مصلحتهم وقد تكون كل هذه الأسباب واردة معا . ولقد كنا

نحن في جمعية الفتاة وفي هيأتها المركزية وفي مجال العمل الحكومي نلمس تنافسا بين الرجلين وكانت قلوبنا مع الهاشمي لأننا كنا نلمس الاعتدال بل المهاودة والمراوغة من الركابي وقد لبث الهاشمي في معتقله في الرملة الى اواسط مارس ١٩٢٠ اي بعد شهر من اعلان الاستقلال وتتويج فيصل على سورية على ما سوف نذكره بعد وبناء على الحاح منا ومساع متواصلة من الملك حيث اطلق سراحه واعيد الى دمشق وقد لمحنا من سلوك الهاشمي بعد عودته انه اطلق سراحه بشرط ان لا يتولى منصبا حكوميا ولا يشترك في أي نشاط سياسي سوري او عراقي حيث التزم ذلك بعد عودته التزاما قويا . ومن الجائز ان الانكليز اشترطوا هذا الشرط على فيصل وعلى الهاشمي معا وحصلوا على التعهد من الطرفين .

استقالة الركابي من منصبة نتيجة لذلك وتعيين مصطفى نعمة مكانه

ومما جرى بعد خطف الهاشمي ان الهيئة المركزية للفتاة وكثير من اعضاء الجمعية رجحوا ان يكون للركابي اصبعا ما في الخطف لما عرفوه بين الرجلين من تنافس وتناظر ولما عرفوه في الركابي من مهاودة واعتدال فاشتدت الضجة والحملة والتجهم على الركابي واندمج الأمير زيد نائب الأمير زيد نائب الأمير فيصل في هذا كله ، فلم يسعه الا ان يستقيل من منصب الحاكم العسكري ورئاسة مجلس المديرين التي كانت بمثابة رئاسة الحكومة المدنية وكان الأمير يحب الهاشمي ويتوافق معه ويرتاب في الركابي فكان ذلك مما جعله يندمج في الجو السخاط عليه وقد قبل الاستقالة بدون اي تأخير او تردد ، وعين مكانه ضابطا كبيرا في الجيش اسمه مصطفى نعمة ورتبته اميرالاي اي (زعيم) في اصطلاح اليوم وظل الركابي معتكفا في بيته الى ان عاد فيصل من أوروبا حيث اعاده ثانية لمناصبة على ما سوف نذكره بعد ومما جرى كذلك ان هيئة الجمعية المركزية جريا على الخطة التي سارت عليها قررت ضم مصطفى نعمة اليها وفوتح بذلك ووافق وحلف اليمين ولكنه كان وظل غريبا عن الجمعية قلبا وروحا وشعورا .

ترشيحي لمديرية البرق والبريد العامة

ومما كان ايضا ان بعض اخواني في الهيئة المركزية اقترحوا ان اتولى منصب المدير العام للبرق والبريد وكان شاغرا وكانوا يعرفون أني امضيت نحو عشر سنين في وظائف البرق والبريد وكسبت خبرة تؤهلني للقيام بمهام المنصب فوافقت ووافقت الهيئة المركزية ايضا ورُشحت لمصطفى نعمة وذكر له سابق خدمتي وخبرتي وطلب ان ازوره فذهبت الى ديوانه وتحدثنا ووعد بعرض الأمر على مجلس المديرين ويظهر ان المجلس لم يوافق لأسباب لا اعرفها فلم يتم تعييني وبعد مدة ما عين للوظيفة حسن الحكيم ولم آسف كثيرا على ذلك لأني كنت اجد مجالي الواسع ومركزي البارز وكنت مستغرقا فيهما بنجاح واعجاب وحسن قبول وتقدير .

(١٧)

موقف الانكليز من فيصل حينما ذهب الى لندن

ذكرنا قبل ظروف سفر الأمير فيصل الى اوروبا وتعويق وصوله لباريس الى ان انتهى اجتماع لويد جورج ـ كليمنصو وترك لويد جورج رجلا يعتذر له ويطلب منه السفر الى لندن ومع انه كان مع الأمير المعتمد الافرنسي العسكري في دمشق ، حسب التقاليد السياسية لأنه كان ذاهبا الى فرنسة ، فلم يجر له استقبال لائق في مرسيليا فلم يشأ ان يطيل اقامته في فرنسة وسارع الى مغادرتها الى لندن على مدمرة انكليزية هيئت له على ما ذكره لنا مرافقوه عند عودتهم . وقد استقبل في لندن بحفاوة وانزل ضيفا على الحكومة في فندق كارلتون الضخم . وكان اللورد اللنبي القائد العام للحلفاء في لندن فزاره ثم اصطحبه الى مقر رئاسة الوزارة وقد قابله لويد جورج ، واحتج على ما كان وتم ، وكرر لويد جورج اعتذاره . ولقد تكرره مقابلاته لرئيس الوزارة ولوزير الخارجية كورزون وكان في كل مرة يثير قضية العهود المقطوعة لوالده ويطالب باحترامها ، والاحتفاظ بصداقة العرب وولائهم ولم يكن ذلك ذا جدوى ومما ذكره لنا الدكتور احمد قدري ان الأمير اخذ يوما يذكر اللورد كورزون بما كان من دماء العرب وجهادهم وتضحياتهم الى جانب الانكليز وما كان لذلك من أثر في احرازهم النصر فما كان منه الا ان قال له ان تضحيات بريطانية وحلفائها هي التي كان لها الأثر الحاسم في النصر ، وكان موقفا لئيما حقا .

مصارحة الانكليز لفيصل بوجوب تفاهمه مع فرسة ودعوة فرنسة لفيصل وذهابه لباريس

ثم أفهمه بصراحة وجفاء ان نجاحه في قضية سورية منوط بتفاهمه مع فرنسة وان كل ما يستطيعونه هو التوسط معها لاستقباله والحديث معه وايجاد حل مناسب يتفق عليه معها وقد سعوا فعلا واستصدروا دعوة له من رئيس وزارة فرنسة للقدوم الى باريس ولم يكن له خيار فغادر لندن كسير النفس ليواجه فرنسة التي ترسخت الكراهية الشديدة بينها وبينه وبين سورية معا عبر الدعاية والنشاط اللذين كان للانكليز اصبع قوي فيهما .

وبعد وصوله بمدة ما قابل كليمنصو ولكن هذا لم يتحدث معه في صدد القضية الاساسية وكل ما كان بين فيصل وكليمنصو ورجال الحكومة في الفترة الأولى من وجوده في باريس اتصال وحديث في صدد ما كان من توتر وهياج في سورية بسبب استبدال الحاميات الأفرنسية بالحاميات الانكليزية في الأقضية الاربعة ولقد نتج عن ذلك ان كليمنصو امر بالايعاز للمندوب السامي القائد العام الافرنسي بالتساهل واعلان كون ذلك مؤقتاً وذا صفة عسكرية ثم ابلاغ

فيصل بموافقته على الاكتفاء بوجود ضباط ارتباط في الاقضية دون حاميات وبقاء الأقضية الأربعة تابعة في ادارتها وامنها الداخلي للحكومة العربية السورية كما كانت سابقا على ما شرحناه قبل .

اهمال الافرنسيين الحديث مع فيصل في صدد سورية

وجاء بعض من كان مع فيصل الى دمشق وشرح لنا وللأمير زيد الموقف الانكليزي اللئم منه وموقف فرنسة اللامبالي في صدد اساس القضية استمرارا لاعتبارها ان فيصلا غير مختص بها وان كلامهم في موضوع الأقضية الأربعة وحامياتها معه كان من اعتبار انه قائد المنطقة الداخلية العسكري التابع لقيادة الحلفاء العامة وكون وجوده في سورية مرتكزاً على ذلك .

الحركات المسلحة في سورية وتحريكها للحديث مع فيصل

وظل الأمير كذلك وظل فيصل يجتر احزانه من لامبالاة فرنسة به ولؤم الانكليز الغادر الى ان اخذت بوادر مقاومة مسلحة تبدو في بعض انحاء سورية وكان من اهمها في ظروف وجود فيصل في باريس حوادث تمرد تلكلخ . ولقد كان الافرنسيون احتلوا تلكلخ في سياق احتلالهم السواحل ولبنان لأنها متصلة بحدودها وقد بدا لهم ان يرفعوا في هذا الظرف العلم الافرنسي على القلعة خلافا لما اتفق عليه من عدم رفع اعلام فرنسية وبريطانية على مناطق احتلالهما اي الجنوب والغرب فاحتج اهل البلد وحاولوا منع ذلك وطالبوا بالانضمام الى الحكم العربي وقالوا ان ذلك هو رغبتهم التي اعلن الحلفاء ثم فرنسا وبريطانية عقب انتهاء الحرب استعدادهم لاحترامها وتحقيقها ووقع صدام دموي بينهم وبين الحامية الافرنسية وكان توتر وهياج وقد قررت الهيئة المركزية لجمعية الفتاة تقوية هذه الحركة ومدها وانتدبت سليم عبد الرحمن احد اعضاء الجمعية القدامى لهذه المهمة بسبب صلاته بشباب آل دندش الذين كانوا الأسرة القوية البارزة في البلد وبخاصة زعيم شبابهم النشيط القومي الشديد الحماس عبد الرزاق وتكررت الاشتباكات نتيجة لذلك وكان يتكبد الطرفان معا خسائر جرحى وقتلى ومما نذكره مشهد قدوم سليم عبد الرحمن وعبد الرزاق الدندشي وبعض رفاقهما في اثناء ذلك من تلكلخ الى دمشق وهم يلبسون الثياب العسكرية ويتمنطقون بأحزمة الرصاص وعلى اكتافهم البندقيات وفي أوساطهم المسدسات وبعض القنابل اليدوية تتدلى من احزمتهم مما أثار الحماس الشديد في دمشق . ولقد تغلب الافرنسيون على الموقف في تلكلخ لتفوقهم الحربي عدداً وعتاداً ولكن التوتر ظل مستمرا في البلدة ومنطقتها ورفض المتمردون اداء الغرامة التي فرضوها عليهم مقابل العفو عنهم وتركوا بلدتهم وكان ذلك مما يزيد في التوتر والى هذا فقد كانت في هذه الأثناء

حركات عصابات تنشط على حدود مرجعيون اللبنانية والقنيطرة السورية المتصلة بتلك الحدود باشراف وتعضيد الامير محمود الفاعور زعيم قبائل منطقة القنيطرة وبنشاط ومسعى احمد مريود ابن هذه المنطقة وعضو الفتاة المتحمس الصلب المجاهد. وتشتبك مع قوات الدرك الافرنسية واللبنانية ويقع جرحى وقتلى من الطرفين وقد اشتدت هذه الحركات في ظرف وجود الأمير في باريس بتأييد وتعضيد الهيئة المركزية للفتاة وكان احمد عضوا معنا فيها والى هذا كذلك كانت حركة الثورة النصيرية التي قادها المجاهد صالح العلي في جبال اللاذقية التي بدأت قبل سفر الأمير الى اوروبا اي في مارس ١٩١٩ انتيجة التشاد بين الافرنسيين واهل المنطقة آخذة بالاشتداد كذلك يضاف الى هذا ما كان من حركات الشمال المسلحة التي كان يدبرها صبحي بركات وابراهيم هنانو والتي ذكرناها قبل حيث كانت هي الأخرى تقوى وتشتد في هذه الأثناء .

عرض كليمنصو على فيصل اتفاقية في صدد مصير سورية

فكان كل هذا نذيرا باحتمال تفاقم الحركات والاضطرابات وجعل الحكومة الافرنسية تتصل بالأمير فيصل بعد ذلك الاهمال واللامبالاة وقد دعاه كليمنصو رئيس الوزراء واستقبله بحفاوة وتحدث معه في أساس القضية وعرض عليه اتفاقا ونصحه بقبوله لأنه عرض سخي كما زعم وقال له انه قد لا يتيسر له مثله بل ولا أقل منه اذا لم يقبله الآن وتخلى هو عن الوزارة .

قدوم فيصل بالاتفاقية لعرضها على الناس وميله لقبولها

وكان فيصل في حالة نفسية سيئة نتيجة لتخلي الانكليز عنه وغدره وجها لوجه مع فرنسا وليس له امل في مقاومة ناجحة فوافق مبدئياً على الاتفاقية التي عرضت عليه ووقعها هو وكليمنصو بالاحرف الأولى على ان يعرضها على اهل البلاد ويكون قرارهم هو الفاصل وكان ذلك في أوائل كانون الثاني ١٩٢٠ وعرفت الاتفاقية باتفاقية فيصل كليمنصو وفي كتاب الوثائق التاريخية لحسن الحكيم وفي الجزء الثاني من كتاب الثورة العربية لأمين سعيد نص كامل لهذه الاتفاقية ويجوز ان يكون صحيحا لأن الصحف نشرته في وقتها .

وهذه ديباجة الاتفاقية :

عطفا على التصريح الافرنسي الانكليزي في ٩ نوفمبر ١٩١٨ من جهة واستنادا الى المبادىء العامة لتحرير الشعوب والمعاونة الودية المعلنة من قبل مؤتمر الصلح من جهة اخرى تؤكد حكومة الجمهورية الافرنسية اعترافها بحق الأهالي الناطقين باللغة العربية القاطنين في الأراضي السورية من سائر المذاهب ان يتحدوا ليحكموا انفسهم بأنفسهم بصفتهم امة

مستقلة . ويعترف صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بأن مصلحة الأهالي السوريين الكبرى نظرا لاحتلال الكيان الاداري الناشيء عن الاضطهاد التركي والخسائر اللاحقة بالبلاد اثناء الحرب يتطلب تحقيق وحدتهم وتنظيم كيان الأمة الاداري للالتجاء الى النصائح والمعونة التي ستسجل في جمعية الأمم عندما تتألف هذه الجمعية بصورة عملية فهو باسم الأهالي السوريين يطلب هذه المهمة من فرنسة .

ثم يأتي بند تتعهد فيه الحكومة الافرنسية ان تمنح معونتها لسورية وبأن تضمن استقلالها ضد كل تجاوز ضمن الحدود التي سيعترف لها به مؤتمر الصلح وان تبذل جهدها في تعيين هذه الحدود لنيل جميع التعديلات الحقة من الوجهة الجنسية واللغوية والجغرافية .

ثم يأتي بند يتعهد فيه الأمير فيصل بأن يطلب من فرنسة وحدها المستشارين والمدنيين والموظفين الفنيين اللازمين لتنظيم الادارتين المدنية والعسكرية ويكونون تحت أمرة الحكومة السورية على ان يكون اتفاق بين الحكومتين على مدى مهمتهم ومدتها والطرفان متفقان على تطبيق نظام دستوري في سورية ضامن لحقوق الأهلين السياسية والحريات المكتسبة سابقا ومحققا لأمانيهم المتضمنة انشاء حكومة مسؤولة امام البرلمان . ومما تنص عليه بنود الاتفاقية اشتراك المستشار المالي الافرنسي في اعداد الميزانية وحقه بالاطلاع على كل التعهدات والنفقات اجباريا وفي الاتفاقية نص على مركز خاص لمستشار الاشغال العامة ونص على ان الحكومة الفرنسية سوف تمنح معونتها لأجل تنظيم الدرك والجيش والشرطه حينما يدخل الاتفاق حيز التنفيذ ونص على أولوية الحكومة الافرنسية بالتعهدات والقروض اللازمة لخير البلاد ما لم يتقدم وطنيون للقيام بذلك على شرط ان يكون لحسابهم ولا تكون اسماؤهم معارة لأجانب ونص على انه سوف يكون للدولة السورية في باريس لدى الحكومة الافرنسية مندوب سام مكلف بملاحقة المسائل الخارجية التي تهم الأمة السورية وعلى ان الدولة السورية تعهد لممثلي فرنسة السياسيين وقناصلها في الخارج تمثيل مصالحها الخارجية . ونص على اعتراف الأمير باستقلال وسلامة لبنان تحت الانتداب الافرنسي .

وفي نهاية الاتفاقية هذا النص العجيب : اللغة العربية معترف بها كلغة رسمية للادارة والمدارس (أما اللغة الافرنسية فتدرس بصورة اجبارية وممتازة) .

وواضح مما تقدم ان الاتفاق يتعامل مع اهل سورية ويعتبر الأمير فيصل كوسيط وان كان يمكن ان يفيد اعتراف فرنسة بامارته على سورية تأويلاً غير صريح وليس في الاتفاق نص بالانتداب والحماية والوصاية والاستعمار ولكن كل ما فيه صريح صارخ على ان فرنسة قد منحت لنفسها في سورية الانتداب والحماية والوصاية والاستعمار معا وسجلت اعتراف فيصل بمدى ذلك .

ميل فيصل لقبول الاتفاقية ليأسه من غيرها ومن عدم احتمال المقاومة المجدية

وعاد فيصل الى سورية يحمل الاتفاقية فوصل بيروت واستقبل استقبالا حسنا من السلطات الافرنسية فيها وذهبت وفود كثيرة من سورية الى بيروت فاشتركت في الاستقبال وأقام المندوب السامي الافرنسي له حفلة استقبال تعمد ان يتقدم عليه في المشي والبروز والتحركات للدلالة على انه سوف يكون تابعا له . وجاء الى دمشق فاستقبل كذلك استقبالا حافلا وكانت احاديثه لكبار مستقبليه تنم على اليأس وتفيد ان ما جاء به هو كل ما يمكن ان يكون وان لا مناص من قبوله .

ما كان من نشاط في صدد الاتفاق ورفضها من معظم اعضاء الفتاة ومعظم الوطنيين

وأقام النادي العربي حفلة ترحيب واستقبال في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٠ وكنت انا ومعظم اعضاء الجمعية والأحزاب ومن في دمشق من اعضاء المؤتمر من حاضريها بالاضافة الى جمهور كبير من رجالات دمشق المسلمين والمسيحيين وخطب الأمير خطبة ارتجالية طويلة اشاد فيها بمبادىء الثورة الهاشمية وأهدافها وبرغبة العرب في الاستقلال والحرية وحقهم في ذلك وبجهاده وجهاد أبيه وجهاد العرب وتضحياتهم في سبيل ذلك وقال فيها قال انه لا يخاف الا من التاريخ والمستقبل . وخطب الدكتور الشهبندر خطبة حماسية اكد فيها حق العرب بالاستقلال والحرية والوحدة واستعدادهم لكل تضحية في سبيل ذلك ورفضهم لكل تنازل عن شيء من ذلك بأي اسم كان . وخطب خطباء آخرون منهم من ضرب على نغمة الدكتور ومنهم من اناط بالأمير السير بالأمة وفق ما يمليه عليه ضميره وما يرى فيه مصلحتها .

ولقد كانت الهيئة المركزية للفتاة قد دعت في غياب الأمير المؤسسين الى اجتماع عام بعد أيام قليلة من خطف الهاشمي الذي كان عضوا فيها اي في أواخر تشرين الثاني ١٩١٩ شرحت لهم الأحوال السياسية وما لديها من اخبار وما انجزته من اعمال واقترحت تجديد انتخاب الهيئة وجرى اقتراع سري فاحتفظ اعضاؤها بمراكزهم وحل الشيخ كامل القصاب محل الهاشمي الشاغر .

ولقد اجتمعت الهيئة اولا مع الأمير فيصل فعرض عليها الاتفاقية وتناقشنا فيها وحللناها وانكشف نتيجة لذلك ما احتواه من معاني الحماية والوصاية والانتداب والاستعمار وانتهى الاجتماع بوجوب رفضها والبحث عن بديل لها وطلب فيصل جميع المؤسسين الى اجتماع عام واستجابت الهيئة للطلب ودعتهم وجرى النقاش حول النصوص وكان كلام الأمير وموقفه ينمان عن رغبته في قبول الاتفاقية لأنها هي الممكنة بقطع النظر عن ما فيها من قيود وشروط

بالغة السوء . وكنت انا ورفيق التميمي وسعيد حيدر والشيخ كامل القصاب وأحمد مريود بخاصة من المنددين بالاتفاقية والكاشفين لسوأتها وطلب فيصل الوقوف على آراء مختلف الفئات في دمشق فعقد اجتماع في دار كبيرة لأحد رجال آل مردم بك وشهده جمهور كبير من وجوه احياء المدينة وأعضاء الأحزاب والمؤتمر وخطب خطبة طويلة في المعانى التي ذكرها وقال فيها قال انه لم يمكنه الحصول الا على هذه الاتفاقية وانه يريد ان يعرف ويسمع آراء مختلف الناس فيها وخطب خطباء عديدون منهم من ندد بالاتفاقية وكشف عما فيها من قيود واغلال وسوآت وواجب رفضها ومنهم من اناط الأمر بالأمير على النحو الذي كان في النادي وكنت أنا وسعيد حيدر والشيخ كامل ممن تكلموا في نطاق الرأي الأول وكان جماعة الحزب الوطني السوري الذي كان حزب وجهاء دمشق ضد الغرباء على ما ذكرناه قبل في حانب الرأي الثاني ولم يكتف الأمير بما جرى فطلب من الهيئة المركزية ان تقدم له رأيها مكتوبا بصراحة وبصورة رسمية وتوليت انا تسويد التقرير ونوقش في الهيئة حتى تم اقراره في صيغته النهائية التي كانت في نطاق الرأي الأول .

البديل المقدم من الفتاة وهو اعلان الاستقلال

وتضمن اقتراحا بديلا للاتفاقية هو جمع المؤتمر السوري وأخذ قرارا منه باعلان الاستقلال التام تحت ملكية فيصل ووضع العالم امام أمر واقع ويفعل الله ما يشاء وناقش التقرير احتمال غزو فرنسة لسورية وفرضها ما تريده فيها بالقوة وقلنا في التقرير ان الاتفاقية والغزو المحتمل في مثابة واحدة وخير للبلاد ان ترغم على ما في الاتفاقية بالقوة من ان تسجل على نفسها الموافقة عليه ، وهو حماية ووصاية وانتداب واستعمار معا ويبقى على كل حال أمل ولو ضئيل بنجاح ما أردناه من امر واقع او تعديله تعديلا مناسبا وحملتُ التقرير انا والدكتور احمد قدري ورفيق التميمي وسلمناه للأمير وطلب الأمير ان يختلي بكل منا على حده ويسمع منه ففعلنا وسمع من كل منا على حدة ما جاء في التقرير فاقتنع ان ذلك قناعة تامة في ضمير كل منا وقد لمحنا ان الأمير كان يستدعي بعض اعضاء الجمعية الآخرين ويختلي بهم ويسألهم شخصيا عن رأيهم حيث يفيد انه كان يظن ان جماعة قليلة متحمسة كانت هي المتغلبة على الكثرة وكنا نعرف من الذي كان يستدعيهم انهم كانوا مؤيدين للرفض .

تعليق على ما جاء في كتابي حسن الحكيم وأمين سعيد من قول ان الفتاة هي التي رفضت الاتفاقية ودفاع عن الرفض وتفنيد لانتقاده

وأمين سعيد وحسن الحكيم اللذان اثبتا الاتفاقية في كتابيهما اللذين ذكرناهما يقولان ان

الذي رفض الاتفاقية هو جمعية الفتاة وأنها أثرت على الأمير كأنما يريد ان يحملها المسؤولية وحدها عن هذا الرفض وهناك آخرون من الحزب الوطني وغيره كانوا يقولون ذلك في العهد الفيصلي وظلوا يقولونه بعد الغزو الافرنسي وسقوط هذا العهد ونقول تعليقا على ذلك اولا ان رفض الفتاة كان يمثل رأي اكثريتها وان من اعضائها من كان يحبذ الاتفاقية ويقول (شيء خير من لا شيء) وكانوا أقلية فرضخوا للأكثرية فصار الرفض يعبر حقا عن موقف الفتاة وثانياً اني أقول كشخص كان مسؤولا في الفتاة ان من حق الفتاة ان تعتز بذلك وان كل عاقل متزن يستحضر الظروف وما كان من احلام العرب الكبرى وما كان من جهادهم وتضحياتهم في سبيل الاستقلال والوحدة وما كان من شدة رفضهم لأي حماية او وصاية او انتداب ولمطامع فرنسة بخاصة في سورية لا يمكن ان يرضى بأن تنمسخ تلك الأحلام الى موقف تصبح فيه سورية تحت الاستعمار والحماية والوصاية والانتداب الافرنسي داخليا وخارجيا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا وعسكريا ، والفتاة لم تكن كما قلنا غافلة عن احتمال تغلب فرنسا على سورية بالقوة وفرض سيطرتها واستعمارها ولكنها لم تكن ترى فرقا كبيرا في النتيجة وكانت ترى الأفضل ان يتم ذلك عنوة مع رفضها الشديد بما تملك وليس بالرضاء والخضوع . والفتاة ليست منفردة في ذلك فكل حركة وطنية ذات اهداف ومبادىء وجهاد وقفت وتقف نفس الموقف اذا ما عرض عليها مثل هذه الاتفاقية ، ومع ذلك فللحق والتاريخ نسجل ان الفتاة لم تكن وحدها الرافضة بل كان حزب العهد الذي كان ينتسب اليه حسن الحكيم رافضا بل وبقوة واجماع ولم يكن فيما نعلم بين افراده من يميل الى الموافقة وبالتالي فلم يكن رفضه بأكثرية ضد أقلية كما هو الأمر في الفتاة وهذا يكشف عن المفارقة بين موقف حسن الحكيم وحزبه من الاتفاقية وبين قوله الذي يفيد قصد تحميل مسؤولية الرفض على الفتاة وحدها ولقد كان الدكتور شهبندر الذي يعلن حسن الحكيم دائما ولاءه لزعامته واعجابه بها وتقديرها والثناء عليها من اشد الرافضين . وحسن الحكيم يعرف ذلك. وبالاضافة الى ذلك فان الرأي العام الشعبي كان مؤيدا للرفض متحمسا له ولم يكن الموافقون الا اقلية من اصحاب المصالح الاحتكارية والاقطاعية الذين يستمدون وجاهتهم ومصالحهم من الحكم ايا كان ويوالونه ويحبونه، ان لا يتورطوا في مواقف نضالية ولا يعرضوا مصالحهم لمشاكل تعرقلها ولقد دعا اعضاء المؤتمر السوري الى الاجتماع للنظر في الموقف وفي اقتراح اعلان الاستقلال البديل للاتفاقية وجاءوا ووافقت اكثريتهم الساحقة في جلسة رسمية على ذلك وفيهم كثير من المثقفين والنبهاء والناقمين على الحكم الراهن وذوي الارادة القوية والبروز وبعد النظر وهذا يعني ان الرفض كان كاسحا لم يشذ عنه الا أقلية ولو كان الموافقون على الاتفاقية اكثرية من الوجهاء والشعب واعضاء المؤتمر لكان الأمير فيصل، الذي كان ميالا للقبول بداعي اليأس، اصر على القبول بها ولم يكن يتراجع

عنها ولما استطاع حفنة من الفتاة وحزب العهد ان تفرض رأيها ومواقفها ونحن لا ننكر ان فريقا من الناس انتقد رفض الاتفاقية واعلان الاستقلال واعتبروا ذلك تسرعا وطنيا وسببا للكارثة التي هدمت العهد الفيصلي وحملوا مسؤولية ذلك على الفتاة والاستقلاليين خاصة، ومنهم من كان يزعم ان نصوص الاتفاقية ليست شديدة الوطأة وانها مما تستسيغه حوصلة امة ضعيفة لا عدة لها وقد خذلها حلفاؤها، وقبل كل شيء نقول انه لم يرتفع صوت قوي بانتقاد واعتراض في حينه لا من شخصيات بارزة ولا من اعضاء المؤتمر من داخله او خارجه ولا من احزاب وان جميع هؤلاء او اكثريتهم الكبرى كانت متطابقة او متظاهرة في التطابق وفيهم كثير من خصوم الفتاة واذا كان وقع شيء من انتقاد واعتراض في حينه فانه كان همسا خافتا غير مسموع وغير مؤثر ولا يصح ان يعزى ذلك الى الخوف من رجال الفتاة والاستقلال ولم يقع اي حادث ارهابي في عهد فيصل على كثرة المجرمين الطاغين والمنتقدين والجواسيس والمتلاعبين والدساسين المأجورين وغير المأجورين بل والذين لم يكن اندماجهم مع الدعاية الافرنسية سرا خفيا حتى يكون خوف من الوقوف موقف الصراحة القوي بوجوب القبول وعدم الرفض. وهذا فضلا عما كان من ميل الأمير فيصل الى القبول كما قلنا بسبب يأسه من العاقبة ومن حلفائه حيث كان من الممكن ان يستقوي الرافضون بموقفه فيقفون موقفا قويا وصريحا في القبول وعدم الرفض لأن مثل هذا الموقف لم يكن مستساغا لا من السواد الأعظم ولا من الأوساط القومية والوطنية على السواء وما كان من انتقاد غير هامس فقد كان في الحقيقة بعد انهيار العهد الفيصلي والمنتقدون انواع منهم ذوو نيات حسنة ومنهم مغرضون حاقدون ومنهم ضالعون مع الافرنسيين والأولون كانوا على الأكثر من المتفرجين في أيام العهد فانكسرت قلوبهم من فظاعة ما وقع فأخذوا يضربون كفا على كف ويندبون الطالع المنكود ويوجهون النقد واللوم الى هذا وذاك ويستجيبون الى دعاة اللوم والتجريح السيئي النية بسهولة. وهذه حالة عامة مألوفة في كل زمن وموقف وقد تأثروا بالدعاية السيئة ولم يمحصوا الأمور والوقائع ولعل ما كان من تفاهم فيصل مع الانكليز بعد سقوط عهده الشامي وتسلمه نتيجة لذلك عرش العراق وما كان من ظواهر ومظاهر استقلال العراق كان ذا اثر في موقفهم الانتقادي اللاحق دون ان يلمحوا الفرق . والمغرضون الحاقدون اندفعوا في انتقادهم بسائق الهوى ومنهم الحانق لحرمانه مما كان يتوق اليه من منصب وجاه ومنهم المغتاظ من بروز رجال الفتاة والاستقلال ومنهم الذين كانوا بيدهم زمام العهد فوجدوا في النتيجة المشؤومة مجالا للنقد والتجريح والتشفي ومن الظواهر العجيبة التي تدل على الضعف الاخلاقي ان كثيرا من افراد هذا الفريق وزعمائه كانوا مندمجين في حركة الشام وعهد فيصل قبل اعلان الاستقلال وبعده وكان منهم البارزون فيه ومنهم من كان يظهر تضامنه مع العاملين ومنه من كان شريكا في مسؤولية العهد واحداثه ومنهم الأعضاء في المؤتمر الموقعون على قرار الرفض

واعلان الاستقلال والمسارعون الى مبايعة الأمير فيصل ولم يرتفع بينهم صوت أو رأي او معارضة بجد وقوة بل وكان كثير منهم يظهرون سرورهم وحماسهم بما تم وتقرر في حينه بل وكان منهم المتظاهرون بمعارضة العهد لما كان منه احيانا من تساهل او ترو ومنهم من كان متعنتا في الرفض اكثر من كثير من عناصر الفتاة وحزب الاستقلال. أما الضالعون مع الافرنسيين فأمرهم هين وكان الاتجاه الذي وجهوا فيه هو بذل كل جهد في اخماد روح القومية والوطنية بالتهديم والتحطيم والتثريب والتثبيط بعد الغزوة الافرنسية بل وبين يديها وابراز ضعف الأمة وعدم استطاعتها الوقوف امام فرنسة والنضال ضدها وضرورة مسايرتها والحالة هذه وأخذ ما يمكن اخذه وجعل السواد يفقد ثقته برجال حركته ونضاله . . ولقد اثبتت الأيام ان الفريق القومي الذي قاد حركة الرفض للاتفاقية والخضوع لانتداب فرنسة واستعماره والتمرد على ما أريد للأمة من ذل وهوان كان على حق في موقفه لأن الأمة بقيادة رجالها الوطنيين بعد الغزوة الافرنسية ظلت تؤيد رفض الخنوع والاستسلام وان الندم على ما كان من رفض اتفاق يقوم على أساس التسليم بالسيطرة والحماية والوصاية لم يكن معبرا عن رأيها وضميرها وقد ثارت اكثر من مرة وظلت تلتف حول رجال حركتها النضالية الوطنية الذين كانوا يرفضون باستمرار كل عرض يقوم على ذلك الأساس والذي كان يعرض عليهم بأشكال متنوعة تخلصا من الموقف السلبي الكفاحي الذي وقفته الأمة والذي كانت تتجلى فيه روح المقاومة بكل شدتها وروح الرغبة في الحرية والكرامة والاستقلال بكل قوتها وبذلت في سبيل ذلك التضحيات الجسيمة بالمال والنفس وتحملت المشاق والشدائد حتى اعيت الافرنسيين وجعلتهم في النهاية يجنحون الى التفاوض مع رجالهم الوطنيين ويعقدون معهم معاهدة استقلالية في سنة ١٩٣٦ يصح ان تكون مرحلة لا بأس فيها ومن الجدير بالتسجيل ان معظم الذين قادوا حركة النضال الوطنية بعد الغزو الافرنسي هم من الذين وقفوا موقف الرفض للاتفاقية وتأييد السواد الأعظم لهم والتفاهم عليه دليل ساطع على ان موقفهم كان هو الموقف الوطني القومي الصحيح ومن الجدير بالذكر كذلك ان معاهدة سنة ١٩٣٦ كانت أفضل بما لا يمكن ان تقاس من اي جانب مع اتفاقية كليمنصو فيصل ومع ذلك فان الدكتور شهبندر ومن كان يواليه ويسير معه ومنهم حسن الحكيم عارضوها اشد معارضة بحجة وجود ثغرات لا تساغ من وجهة النظر الوطنية المثلى حتى ان فرنسة استغلت هذه المعارضة فنقضتها قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية حيث يفيد هذا ان رفض اتفاقية كليمنصو ـ فيصل كان مبررا كل التبرير عند الشهبندر وأوليائه . وان تمسكهم بواجب عدم قبول اي ثغرات في أي اتفاق يعقد بين سورية وفرنسا اداهم الى رفض معاهدة سنة ١٩٣٦ رغم ما كان فيها من مزايا هامة لأن فيها بعض قيود وشروط مخلة بمعنى السيادة والاستقلال وكل هذا يجعل في تنصل حسن الحكيم من الرفض في قوله ان الفتاة هي التي رفضت

اتفاقية كليمنصو فيصل الذي يفيد انه يحاول تحميلها وحدها مسؤولية ذلك مفارقة عجيبة وقد ركزنا على حسن الحكيم لأنه كان ذا مركز مرموق ونشاط قوي وبروز في عهد فيصل وكان يعد من المعارضين الأقوياء ثم برز في عهد الاستقلال الجديد بعد الحرب العالمية الثانية على ما شرحناه في كلمتنا عنه ولم نشأ ان نقف كثيراً عند أمين سعيد الذي قال ان الفتاة هي التي رفضته كما قال حسن الحكيم لأنه لم يكن ذا بروز ومكانة سياسية وحزبية وكان صحافيا من نوع الصحافيين الذين يحيون بغيرهم ان صح التعبير وكل ما كان من مزية له انه كان ينشط في الكواليس . ولقد قرأنا مؤخرا في المجلد الثالث (الثورة العربية الكبرى) المراسلات التاريخية ١٩٢٠ -١٩٢٣ مؤلفة (سليمان موسى) في الصفحة (١٠) ما يلي :

ومهما يكن من امر فان فيصل عرض مشروع الاتفاق على اعضاء الهيئة المركزية لجمعية (الفتاة العربية) فرفض هؤلاء قبوله . وقال فيصل لهم : ان رفض المشروع معناه اعلان الحرب على فرنسا . فكان الرد : « اننا مستعدون لاعلان الحرب على فرنسا وانكلترا معا . وكان ذلك القرار بداية للأحداث التي وقعت في سوريا وبلغت ذروتها في معركة ميسلون . لقد كان بمقدور فيصل ان ينبذ اعضاء (الفتاة) ويتخذ من الزعماء المعتدلين واجهة لتطبيق مشروع الاتفاق مع فرنسا . ولكنه خشي « اللوم التاريخي » كما قال في رسالة منه الى أبيه :

وتعليقاً على ما عزي الى الفتاة أنها قالت :"انها مستعدة اعلان الحرب على فرنسا وانكلترا معا"نؤكد ان هذا الكلام لم يصدر ولقد كنت عضواً وسكرتيراً للهيئة في هذا الظرف . وكنت ثالث ثلاثة انتدبتهم الهيئة لابلاغ فيصل قرارها بالرفض واقتراحها البديل وهو اعلان الاستقلال وجعل فرنسا وبريطانيا امام امر واقع . وكل ما كان من حوار بين فيصل وبين الهيئة في كل موقف في هذا الصدد هو احتمال شن فرنسا حربا على سورية . وكون من حقنا وواجبنا الدفاع بكل ما نملك . وأن من الأفضل ان يفرض الانتداب على سورية بالقوة من ان يقبله برضائها .

وفي كلام المؤلف تحميل الهيئة مسؤولية الأحداث التي ادت الى معركة ميسلون وبالتالي الى نسف عهد فيصل نتيجة لقرار الرفض وقد تكرر منه ذلك في اماكن اخرى من الكتاب .

ولقد شرحنا في كلامنا السابق ان الفتاة لم تكن منفردة في الرفض اولاً وان هذا الرفض كان تعبيرا عن ضمير الأمة العربية السورية على ما ثبت ذلك بشكل قطعي عن سورية مما يغنينا عن شرح آخر .

ونقول أيضاً تعليقاً على كلام المؤلف المعزولي الى الملك فيصل « أنه كان في استطاعته ان ينبذ الفتاة ويعتمد على المعتدلين ويقبل الاتفاق ولكنه خشي التاريخ على ما كتبه لوالده » .

ان فيصلاً قد نبذ الشخصيات والأحزاب والفتاة في موقف آخر ونسي انه قال (انه يخشى التاريخ) فلم يكن هذا النبذ يجديه شيئاً .

ولقد كانت فرنسا مصممة على فرض انتدابها طوعا او كرها فلما اخفقت في فرضه طوعا بأسلوب اتفاق (كليمنصو) عمدت الى فرضه بالاكراه فكانت الأحداث التي توالت بعد شهر من اعلان الاستقلال وبلغت ذروتها في معركة ميسلون ودخول الجيش الافرنسي الى دمشق وسقوط الحكم الفيصلي على ما شرحناه في فصل آتٍ من هذا الجزء تفصيلاً وافياً . فقد كان موقف الفتاة واكثرية اعضاء المؤتمر السوري واعضاء الفتاة والأحزاب الوطنية الأخرى رفض انذار (غورو) والدفاع بالمستطاع ولكن فيصلاً نبذ هذا الموقف وقبل الانذار ونفذه قبل ان يأخذ موافقة القبول من (غورو) فكانت الكارثة التي فصّلنا احداثها في فصل آخر كما قلنا .

* * * * *

(١٨)

اعادة الركابي للحكومة بعد عودة فيصل

لقد قلنا قبل ان رضا الركابي استقال من مناصبه في غياب فيصل حينما لم يستطع فرض اعتداله ومهاودته ورأى نفسه مغموزاً بخطف الهاشمي وان الأمير زيد عين الأميرالاي مصطفى نعمة مكانه وانزوى الركابي في بيته فلما عاد فيصل رأى ان يجدد تشكيل الحكومة ورأى ان يسترضي الركابي ويخرجه من عزلته ولم نرد نحن الهيئة المركزية للفتاة ان نقف من فيصل في هذه المسألة موقفاً متشدداً لأننا احببنا ان يبقى بيننا وبينه صلة طيبة ننشط في نطاقها لتبديل موقفه من اتفاقية كليمنصو فلم نعارضه في ذلك وعاد الركابي نتيجة لذلك لرئاسة الحكومة وللقيادة العسكرية العامة واستلم في الوقت نفسه مديرية الدائرة الحربية وقد تم اختيار رشيد طليع لمديرية الداخلية ويوسف العظمة لرئاسة اركان حرب الجيش وساطع الحصري لمديرية المعارف واحمد حلمي لمديرية المال واسكندر عمون لمديرية العدلية وعدا اسكندر عمون فان الباقين كانوا اعضاء في جمعية الفتاة وكانوا قد ضموا اليها قبل مدة ما . وقد كان اختيارهم برأينا ورأينا في وجودهم ضمانة ما تجاه وجود الركابي على رأس الحكومة وقد كتبنا كلمات عن ساطع واحمد حلمي واسكندر عمون في مناسبة سابقة .

كلمة عن رشيد طليع ويوسف العظمة اللذين دخلا في حكومة الركابي الجديدة .

ولقد تعرفنا على رشيد طليع ويوسف العظمة اثناء وجودنا في دمشق وقبل تعيينهما في

منصبها المذكورين وهما اسن مني ببضع سنين وتكررت لقاءاتنا معهم في عهد فيصل وبرشيد بعد ، وكنا نلتقي كأصدقاء متوادين ولم يقم بيننا صلة حميمة كساطع وأحمد حلمي .

ورشيد متخرج من المدرسة الملكية العليا في الآستانة وقد مارس بعض الوظائف الادارية في زمن الدولة العثمانية وكان منها متصرفية طرابلس الشام وآخرها منصب متصرف اللاذقية وهو من جبل لبنان ومن الطائفة الدرزية نسبة او عشيرة او في أسرته مشيخة عقل هذه الطائفة ولست متيقنا من انه كان درزي العقيدة وان كنت اظن عدم ذلك وكان متزناً حصيف الرأي والمحاكمة صلبا في وطنيته وعروبته حسن الحديث والثقافة وبعد سقوط عهد فيصل جاء الى عمان وكان الأمير عبد الله قد جاء اليها فاندمج في عهده وتقلد في وظائف ادارية عالية وترأس الحكومة وكان اول من ألف حكومة نظامية والتقيت به حينما ذهبت الى عمان وكان يشكو من تصرفات الأمير وقد مكث في عمان مدة ثم نزح الى مصر وأخذ يتنقل بينها وبين فلسطين وحينما اندلعت ثورة سورية الكبرى سنة ٩٢٥ وكان اندلاعها باديء بدء من جبل الدروز حوران واندمج فيها وأخذ يبذل جهده في سبيل تأييدها ومدها ثم التحق بها وعمل على تنظيمها وقد توفي في أثناء عمله فيها سنة ١٩٢٦ وكنت التقي به حينما كان يأتي الى فلسطين وتتجدد عهد التعارف والمودة رحمة الله عليه .

يوسف العظمة

ويوسف العظمة متخرج من الكلية الحربية في الآستانة بصفة اركان حرب وتيسرت له فرصة ذهب فيها الى ألمانيا ودرس بعض الوقت في معاهدها العسكرية وقضى معظم وقته في الجيش العثماني في البلاد التركية حتى كانت اللغة التركية تغلب عليه ولما انتهت الحرب وعقدت الهدنة وقام عهد فيصل جاء الى دمشق وصار من ضباط جيشها الناشيء الرئيسيين اللامعين وهو ذكي وجدي وذو سمة عسكرية صارمة وان لم يكن متجهما وشرسا وثقافته العسكرية جيدة وقليل الكلام دؤوب على العمل وكانت مواقفه في أزمات عهد فيصل التي كانت تنشب بين هذا العهد وفرنسة قوية صلبة وقد عينه فيصل معتمدا عسكريا لدى السلطات العسكرية الافرنسية في بيروت وكان له نشاط وخدمات مشكورة بالتعاون مع رفيق التميمي على ما شرحناه في كلمتنا عن رفيق . ثم دعي في عهد حكومة الركابي الثاني لاستلام منصب رئيس اركان حرب ثم عين معاونا لوزير الحربية عبد الحميد القلطقجي في وزارة الركابي الاستقلالية التي قامت عقب اعلان الاستقلال وكنا رشحناه للوزارة ولكن صغر سنة نوعا ما ووجود اكبر منه رتبة وسنا في الجيش رجحا ان يكون معاونا للواء القلطقجي في الظاهر على ان يكون هو المدير لشؤون الوزارة . ولكن هذا لم يطل فقد استلم الوزارة بعد نحو شهرين حينما استقال الركابي وخلفه في

رئاسة الوزارة هاشم الأتاسي وحينما تأزم الموقف بين سورية وفرنسا ووجه القائد الافرنسي انذارا مدلاً لسورية على ما سوف نشرحه بعد ، كان رأيه كرأي معظم اعضاء الفتاة والمؤتمر والهيئات والشخصيات الوطنية في رفض الانذار والدفاع ولما قرر فيصل واكثرية الوزارة قبول الانذار بعد ان تبين لهم ان الدفاع غير مجد وغير مستطاع بما هو متيسر في اليد من قوة ولتفوق القوات الافرنسية تفوقا كبيرا رضخ للقرار ولم يجد القبول لأن القائد الافرنسي تعنت، واغتنم فرصة الروح الاستسلامية التي بدت وأدت الى حل الجيش وسحب التحصينات في مجدل عنجر قبل الموافقة الافرنسية على قبول سورية للانذار وحينئذ لم يكن بد من موقف دفاعي وبذل جهده في تحضير وتجهيز ما امكن من أسباب المقاومة وذهب الى ميسلون ليقود عملية الدفاع اليائسة وقد رأى الذين ودعهم وودعوه في هذه اللحظة الرهيبة وكنا منهم عزم الاستشهاد باديا عليه حيث ايقن ان المعركة خاسرة ولكنه، وقد كان من أقوى الذين قالوا بالمقاومة وامكانها مدة من الزمن منفردا في ذلك عن معظم العسكريين، ادرك ان شرفه العسكري والشخصي اصبح يتطلب منه تضحية نفسه ليسجل بذلك مع من يضحون بأنفسهم من مواطنيه احتجاج الضعيف الصارخ على القوي الباغي . وفي الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٠ اشتبكت قوة المقاومة بقيادته مع القوات الافرنسية التي كانت تفوقها كثيرا جدا عدة وعددا ونظاما وقيادة وكبدت العدو مع ذلك بضع مئات من القتلى وتركت في الميدان كذلك بضع مئات من الشهداء وفي مقدمتهم قائدهم الباسل فبلغوا بشهادتهم ذلك الهدف الاحتجاجي النبيل وكتبوا بدمائهم سطرا من نور في تاريخ الحركة العربية والكرامة العربية ودفن هو في ضريح خاص في ميسلون ليكون مزارا خالدا للأجيال رحمة الله عليهم جميعا .

* * * * *

(١٩)

خصوصيات

ولقد كان لي احداث خاصة وشخصية في هذه الفترة وهي جزء من حياتي وقد كان ليمثل ذلك في الفترات السابقة فسجلتها وها انا اسجل الأحداث الخاصة في هذه الفترة ايضا .

استقدام الأسرة من نابلس تسكن في بيت جديد

فأولا : لقد قررت احضار اسرتي من نابلس الى دمشق فلا أدري الى متى ابقى في دمشق ومرض عيون ابي بلغ ذروته حتى كاد يصبح شبه اعمى فأرسلت اليهم خبرا فحزموا اغراضهم الخاصة وسارعوا الى القدوم وقد صحبهم في رحلتهم الحاج فتح الله وقد وضعوا ما في البيت

من فرش واثاث واوان عند .
العفولة ثم الى دمشق وكنت قد استأجرت قبل وصولهم بيتا اوسع من الأول في منطقة دك الباب ايضا وقريب من المسجد الذي كان يسمى بنفس الاسم ومدخله في شارع الصالحية من ناحية الشرق ونقلت أثاث البيت الأول واشتريت بعض الأثاث الجديد من أسرة وفرش وأدوات طعام ومائدة ومطبخ وكراسي ومناضد وطقم كنبايات مخمل مبصدف الخشب وكانت الأسرة مؤلفة من ابي ووالدتي وام زهير وشقيقتي عريفة وبنت عمي بدرية وزهير وشقيقته سلمى وكان عمر زهير نحو ثلاث سنين وعمر سلمى نحو ثلاثة أشهر وكنت اتقاضى كما ذكرت سابقا ثلاثين جنيها من صندوق المؤتمر شهريا وكان المبلغ مجزيا لحياة متوسطة واعتكف ابي في البيت وكان اتى معه بولد قروي صغير اسمه حسن كان يقوده في نابلس فجاء معه وكان له نعم العون في دمشق حيث كان يقوده الى المسجد لصلاة الظهر والعصر ويعود به وكان زهير يمشي معهما احيانا واستمرت حياتنا في الأسرة هانئة الى ان وقع الغزو الافرنسي لسورية حيث غادرت دمشق وبقيت الأسرة وقتا ما فيها ثم عادت واجتمع شملنا ثانية في نابلس على ما سوف نشرحه .

اشتغال اخي في التجارة في نابلس ودمشق ومصر

ومما كان من خصوصياتنا سفر اخي محمد علي لتجارة البطيخ في صيف عام ١٩١٩ ولقد كان له صديق من غزة هو يوسف العلمي الذي مر ذكره في مناسبة الكلام عن وجودي بغزة وكان زميلا لأخي في دار المعلمين في بيروت فلما انتهت الحرب واحتل الانكليز جميع فلسطين اتصل هذا الصديق بشخص من العريش اسمه الشيخ حمدي زكريا وصارا يجلبان اقمشة اوروبية من مصر الى فلسطين التي كانت متعطشة لها وأرسل هذا الصديق بعض هذه البضائع الى اخي لبيعها بالعمولة في نابلس وكان ذلك قبل سفري الى المؤتمر السوري وبعد سفري اتصل بأخي وعرض عليه المتاجرة بالبطيخ حيث يشحن بطيخ منطقة طولكرم المشهور الى مصر وكان لهما زميل من دار المعلمين اسمه احمد الغضبان من طولكرم فأبدى استعداده للمشاركة وجاء أخي الى دمشق فأخبروني وطلب تدبير مبلغ ما ليكون رأس ماله في الشركة وكان قد تجمع معي ومعه وما بقي مع والدي نحو مائتي جنيه فحاولنا ان نفتح له مخزنا في دمشق بمشاركة دمشقي من بيت الحلبي فلم تنجح المحاولة فوافقته على عملية البطيخ واخذ المبلغ وذهب وكانت مهمته التواجد في مصر لاستقبال البطيخ الذي يشحنه احمد الغضبان ويساعده يوسف العلمي ويبيعه في مصر وقد قاسى في عمله الشدائد على ما حدثني ولم يكد يكسب شيئا جديدا غير مصروفه في مصر، وبعد قليل من عودتي عاد هو الى نابلس برأس ماله وفتح محلا لبيع الدخان واغراض تموينية ناشفة اخرى قرب خان التجار في الطريق المؤدية الى جامع النصر وساحته ثم

اسسنا شركة تجارة جديدة على ما سوف اشرحه حينما اشرح قصة عودتي من دمشق واقامتي في نابلس .

* * * * *

(٢٠)

تراجع فيصل عن موقفه وقبوله البديل المقترح

حينما رأى الأمير فيصل ان جبهة الرفض لاتفاقية كليمنصو- فيصل هي الغالبة الراجحة وان الذين ايدوا قبولها لا يستطيعون فرض رأيهم بل ولا الإصرار عليه تجاه الأكثرية العظمى من الجمعيات والتنظيمات الوطنية وجمهور الشعب المتجاوب معهم لم يسعه الا التراجع عن التمسك بالاتفاقية وقبول البديل الذي اقترحته جمعية الفتاة وايدها غيرها من التنظيمات والشخصيات الوطنية وهو اعلان استقلال سورية التام تحت تاجه وجعل العالم امام امر واقع .

دعوة المؤتمر لاعلان الاستقلال

وقد تم الاتفاق على دعوة المؤتمر السوري العام ليكون الاعلان بقرار منه لأنه ممثل لجميع مناطق سورية ومن الجدير بالتسجيل ان الذين كانوا يؤيدون قبول الاتفاقية وينتقدون رفضها لم يسعهم بدورهم الا الاندماج في قبول البديل وكان اعضاء المؤتمر السوري منهم من جملة الموقعين على القرار. وكان المؤتمر كما ذكرنا قبل في حالة تعليق جلسات فقط وكان دعي الى اجتماع طارىء واجتمع فعلا في مناسبة استبدال الحاميات الافرنسية بالحاميات البريطانية وكان عين لجنة لوضع مشروع دستور للمملكة السورية المستقلة التي أبدى رغبته في اقامتها في القرار الذي قرره وقدمته للجنة الاستفتاء على ان تكون تحت ملكية فيصل ومملكة دستورية ديمقراطية شاملة لجميع حدود سورية الطبيعية وكانت اللجنة تنشط اثناء تعليق جلساته في سبيل انجاز مهمتها على ما شرحناه قبل .

وهكذا وجهت الدعوة الى اعضاء المؤتمر واخذ الذين هم خارج دمشق من سورية الداخلية وخارجها يتوافدون على دمشق حتى اذا صارت اكثريتها الكبرى موجودة في دمشق عقد المؤتمر اجتماعا في النادي العربي كالمرتين السابقتين برئاسة عبد الرحمن اليوسف نائب الرئيس لأن الرئيس محمد فوزي العظم كان قد توفي وكان هذا النائب قد ترأس الاجتماع الطارىء لأن وفاة الرئيس كانت قبل ذلك ولقد كان عبد الرحمن في مقدمة من كانوا يؤيدون الاتفاقية وينتقدون رفضها ومما اذكره وفيه ما فيه من المفارقة انه رجاني بالحاح ورجا غيري ان ندعه يرأس الجلسة التي يقرر فيها استقلال سورية .

انتخاب هاشم الأتاسي لرئاسة المؤتمر وتثبيتي في السكرتارية

ولكننا كنا قررنا في الهيئة ان يجدد انتخاب الرئاسة والسكرتيرية واقترح ذلك في الجلسة الأولى التي عقدت برئاسة النائب في الخامس من آذار وقبل الاقتراح ثم جرى الاقتراح ففاز مرشحنا هاشم الأتاسي بالرئاسة وفزت انا بالسكرتارية مجددا .

القاء عوني عبد الهادي بيان فيصل في المؤتمر وموجزه

وجاء فيصل في اليوم التالي وألقى عوني عبدالهادي ، الذي كان سكرتيره الخاص ، بالنيابة عنه خطابا قال فيه اني ادعوكم في الوقت الذي قرب فيه حل المسألة التركية حلا نهائيا في مؤتمر الصلح لتقرير مصير سورية حسب رغبات اهاليها الذين رأوا فيكم الكفاءة للنيابة عنهم وقد وعد مؤتمر الصلح ان يحترم رغبة الشعوب في تقرير مصيرها بل حتم على نفسه ان يقبل بأن يكون مستقبل كل امة حسب رغباتها وارادتها تحقيقا للمبادىء التي نادى بها الحلفاء وحاربوا من اجلها وذكر فيها ذكره جهاد العرب وتضحياتهم في سبيل الاستقلال والحرية وحقهم الشرعي في ذلك وطلب من الأعضاء تقرير مصير البلاد والخطاب منشور في الجزء الثاني من كتاب الثورة العربية الكبرى لأمين سعيد وقد ذكّر الأمير في خطابه بالعراق شقيق سورية وجهاده والوحدة وطلب من المؤتمر ذكر ذلك في سياق ما يقرره وروح الخطاب بل فحواه يفيد بقوة ان فيصلا انسجم في الخطة المقترحة وانه ينتظر ويطلب اقرارها .

موافقة المؤتمر بأكثرية عظمى على اعلان الاستقلال وخلاصة قرار المؤتمر

وعقد المؤتمر في السابع من آذار جلسة وتبارى الخطباء فيها تحبيذ الخطة ووجوب اقرارها وتنفيذها ولم يرتفع صوت معارض بل ولا همس معارض . . وقد وافق المؤتمر بالاجماع وتخلى المعترضون المؤيدون لاتفاقية كليمنصو عن موقفهم او تظاهروا بالتخلي واندمجوا في التيار حيث بدل على انه كان قوياً جارفاً . . وقرر المؤتمر انتخاب لجنة لصياغة القرار وكنت منها وكان منها على اليقين يوسف الحكيم وعلى الظن عثمان سلطان وسعد الله الجابري ووصفي التاسي وعهدت اللجنة لي وليوسف الحكيم وضع مشروع القرار وقرىء ما وضعناه وتم تركيز صيغته ثم عرض على المجلس وناقشه وادخل بعض تعديلات عليه وتم التصويت على صيغته النهائية بما يشبه الإجماع أيضاً .

وفي كتابي امين سعيد وحسن الحكيم اللذين ذكرناهما سابقا نص القرار وفي القرار تكرار لعبارات كثيرة في قرار المؤتمر المقدم للجنة الاستفتاء من حيث التنويه بتطلعات العرب

وجهودهم وجهادهم وتضحياتهم وحقهم الشرعي في تقرير مصيرهم وفي الاستقلال والحرية وتأييد الحلفاء اثناء الحرب وبخاصة الرئيس ويلسون لهذا الحق والتنويه بثورة الشريف حسين وأولاده وما كان لذلك من أثر في انتصار الحلفاء وينتهي بعد ذلك بقرار اعلان استقلال سورية التام بحدودها الطبيعية بدون اي شائبة من انتداب وحماية ووصاية واختير الأمير فيصل ملكا عليها في ظل حكم دستوري ديمقراطي يتمتع فيه جميع السكان بالحريات والحقوق وتكون ادارة المقاطعات لا مركزية واحترام مصالح الحلفاء المشروعة في البلاد والرغبة في الاستعانة البريئة بخبرتهم الفنية ومساعداتهم الاقتصادية وفي القرار جاء امل بجلاء قوات الحلفاء عن جميع مقاطعات سورية الساحلية والجنوبية والشمالية .

استدراك القرار في صدد لبنان

وفي القرار استدراك في صدد لبنان فذكر ان مصيره منوط بأماني اللبنانيين ورغباتهم في كيفية ادارة مقاطعاتهم ضمن حدود لبنان المعروفة قبل الحرب بشرط ان يكون بمعزل عن كل تأثير اجنبي وتنبيه عن ان هذا الاستدراك يتناقض مع قرار اعلان استقلال سورية التام بحدودها الطبيعية حيث يكون شاملا للبنان وحيث يكون الاستدراك هو في صدد كيفية ادارة لبنان داخليا .

نص القرار على الرغبة في الاتحاد مع العراق

وذكر القرار العراق فطالب باستقلاله التام بدون اي شائبه وحقه في ذلك انطلاقا من الأسباب والموجبات التي جعلته يعلن استقلال سورية مع الرغبة في ارتباط القطرين باتحاد سياسي واقتصادي نظرا للصلات والروابط القومية والتاريخية والروحية والاقتصادية التي تربط بين القطرين بحيث لا يمكن لأحدهما ان يستغني عن الآخر وفي القرار امل وتمن على الحلفاء وسائر الدول الصديقة بالمبادرة بالاعتراف باستقلال سورية على النحو الذي ذكر في القرار وانشاء الصلات السياسية والاقتصادية الحسنة معها .

نص القرار على فلسطين كجزء من سورية ورفض دعاوى الصهيونيين وهجرتهم

وقد حرص القرار على ذكر فلسطين في سياق ذكر سورية التام بحدودها الطبيعية حيث قال ومنها فلسطين كما حرص على تكرار النص على رفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود او محل هجرة لهم .

رفع القرار الى الأمير بواسطة وفد برئاسة الرئيس

ووقع على القرار هاشم الأتاسي بصفته رئيس المؤتمر ووقعت عليه بصفتي سكرتير المؤتمر ووقعه جمهور الأعضاء ايضا على ما بقي في ذهني واختار المؤتمر وفدا لتقديم القرار للأمير فيصل وتهنئته باسم المؤتمر وكنت انا من جملة الوفد . وذهبنا الى مقر الأمير في المهاجرين وقدم الرئيس القرار للأمير وهنأه باسم المؤتمر وشكر الملك المؤتمر واكد للوفد ان ما قام به ليس الا ما وجب عليه وأنه يسأل الله ان يوفقه لتقديم كل ما يكفل استقلال البلاد ورفاهها واشهدهم وأشهد الله على ذلك .

تلاوة القرار بصوتي على الجماهير في ساحة الشهداء ـ المرجة من شرفة البلدية

وفي يوم ٨ آذار ٩٢٠ قبل الظهر احتشد جمهور كبير من الشعب في ساحة المرجة امام بناية البلدية التي زالت اليوم وكانت البناية تعج باعضاء المؤتمر وغيرهم وتقدمت انا الى الشرفة المطلة على الجماهير وتلوت القرار بصوت جهوري فقوبل بأشد مظاهر الحماس والابتهاج وكانت المدفعية اذ ذاك تطلق مائة طلقة وطلقة تدشينا للعهد الجديد .

توافد الناس على القصر مهنئين لفيصل ومبايعين له .

وتوافد بعد ذلك على قصر الملك الناس من اعضاء المؤتمر والعلماء والوجهاء والموظفين والتجار ووجوه الاحباء مسلمين ومسيحيين ورؤساء الطوائف المسيحية واليهودية يبايعون الملك ويهنئونه ويدعون له بالتوفيق .

نص بيعة رؤساء الطوائف النصرانية

وتلا بطريرك الروم غريغوريوس حداد عهد بيعة موقعا عليه من جميع رؤساء الطوائف المسيحية اورد امين سعيد في الجزء الثاني من كتابه الثورة ويمكن ان يكون صحيحا وهذا نصه :

انه نظراً لاتفاق الأمة السورية على مبايعة سمو الأمير فيصل ملكا على سورية فان الموقعين على هذا العهد يبايعون جلالته على الشروط السبعة التي اتفقوا عليها هم وإياه عقب دخوله لدمشق في تاريخ ٧ تشرين الأول ٩١٨ وهي اطاعة الله واحترام الأديان والحكم بالعدل واجراء المساواة وتوطيد الأمن وتعميم المعارف واسناد الوظائف لمستحقيها متعهدين بالطاعة والاخلاص لجلالته .

تعليق على الاستدراك الوارد في القرار في صدد لبنان

ونرى ان ننوه بنوع خاص بالفقرة المتعلقة بلبنان في القرار والفقرة المتعلقة بالعراق فقد لاحظنا نحن الذين وضعنا صيغة القرار والذين اقروه رغبة جمهور كبير من اهل لبنان النصارى وبخاصة الموارنة والكاثوليك في ان يكون لبنان مستقلا وكانوا يتمسكون بالحماية الافرنسية لضمان ذلك وكانوا يريدون ضم الاقضية الأربعة التي كانت تابعة لحكم سورية في أواخر العهد العثماني اليه فرأوا ان يراعوا ذلك فذكروا في القرار استقلال سورية التام بحدودها الطبيعية وارادوا في الوقت نفسه جعل الخيار لأكثرية اهل لبنان فيما يريدون من مصير اما استقلال تام ام العيش مع سورية في اتحاد سياسي واقتصادي بشرط ان لا يكون فيه لأجنبي يد ما وهم يعنون فرنسا لأنها هي التي كانت تطمع ان يكون لها هذه اليد ورأوا في سلخ الأقضية الأربعة عن سورية وضمها الى لبنان اقتئاتا لا مبرر له فنصوا على ان يكون لبنان ضمن حدوده التي كانت له قبل الحرب اذا قررت اكثرية اهل لبنان استقلالا تاما له عن سورية .

ولقد ظلت سورية ثم تابَعَها العرب في أقطارهم الأخرى كلما استقل قطر لهم تراعي الحالة الخاصة في لبنان فتجعل له الخيار في الأسلوب الذي يريد ان يكون الحكم فيه مستقلا عن سورية والأقطار الأخرى او متحدا معها بشرط ان يتخلى النصارى عن اي تطلع الى حماية فرنسا او جعل يد بأي شكل لفرنسا او غيرها في لبنان ولقد كانت السلطات الفرنسية العسكرية حملت مجلس ادارة لبنان ابان زيارة لجنة الاستفتاء الاميركية وجمهور النصارى وبخاصة الموارنة والكاثوليك على طلب استقلال لبنان تحت الحماية الافرنسية وسلخ الأقضية الأربعة عن سورية وضمها اليه على ما شرحناه قبل ولقد ذكرنا كذلك القرار الذي وقعه اكثرية اعضاء هذا المجلس في تموز ١٩٢٠ الذي يقرر طلب الاستقلال التام للبنان بدون حماية افرنسية وحاولوا التسلل به لتقديمه إلى سورية وللحلفاء وما كان من ترصد السلطات لهم واعتقالهم اياهم حيث يثبت هذا ان قرار مجلس الادارة الأول المقدم للجنة الاستفتاء انما صدر بالضغط الافرنسي وان أكثرية مجلس الادارة حينما رأت المؤتمر السوري يعطي لبنان الخيار بشرط ان يكون لبنان بمعزل عن اي مد ونفوذ اجنبي ، وان سورية لا تطمع في فرض سيطرتها وحكمها عليه ، سارع الى الانسجام مع ذلك وقرر قراره الجديد .

تعليق على الرغبة في الاتحاد مع العراق

اما الفقرة العائدة للعراق فهي منبثقة من مناهج حزبي الفتاة والعهد ومنشور الملك حسين وما ورد في مقترحاته التي قدمتها له الفتاة في سنة ١٩١٥ بواسطة فيصل على ما ذكرناه قبل حيث كان مطلب الاستقلال العربي ممزوجا بمطلب وأمنية الوحدة العربية ولقد كان فيها استجابة لتذكير فيصل المؤتمر في خطابه ولقد كانت امنية الوحدة العربية بعامة والوحدة السورية العراقية

بخاصة وما تزال تحيك في صدور واذهـان القوميـين العرب الـذين كان رجـال الفتاة والعهـد طليعتهم .

المؤتمر العراقي في دمشق واعلانه الاستقلال وملكية الامير عبد الله

وما جرى في اثناء انعقاد المؤتمـر السوري ، ان عدداً من رجالات العـراق الموجـودين في دمشق ومنهم ياسين الهاشمي وطه الهاشمي مولود مخلص وثابت عبد النور وجميل المدفعي وعلي جودة الأيوبي وراسم سردست وناجي السويدي وتوفيق السويدي ورضا الشبيبي وتحسين علي واسماعيل نامق وصبيح نجيب وابراهيم كمال وعبد الله الدملوجي وحامد صدر الدين واسعد الصاحب الخ . . عقدوا مؤتمرا وقرروا قراراً مماثلا لقرار المؤتمر السوري مع اختيار الأمير عبد الله النجل الثاني للملك حسين ملكا على العراق المستقل بجميع حدوده استقلالا تاما بـدون اي شائبة على اساس دستوري ديمقراطي لا مركزي مع طلب جلاء القوات الانكليزية عنه ومع الرغبة في الاتحاد السياسي والاقتصادي مع سورية .

تلاوة توفيق السويدي لقرار العراق بعدي

وبعد ان انتهيت أنا من تلاوة قرار المؤتمر السوري على الجماهير المحتشدة في ساحة المرجة تقدم توفيق السويدي بصفته سكرتير المؤتمر العراقي فقرأ على الحشد قـرار هذا المؤتمـر وقوبـل كذلك بأعظم مظاهر الحماس والابتهاج .

اجتماعات الهيئة المركزية المتواصلة مع فيصل لتركيز الأمور

ولقد قضينا ثلاثة أيام في ظرف اجتماع المؤتمر السـوري نتردد عـلى قصر الأمير فيصـل واعني الهيئة المركزية للفتاة في دورها الثاني وكانت مؤلفة مني ومن الدكتور احمد قدري وشكري القوتلي واحمد مريود ورفيق التميمي وسعيد حيدر والشيخ كامل القصـاب صبحا ومسـاء وكنا نجتمع به في سرادق نصب له في حديقة القصر لبحث ما يقتضي عمله من امور ومقتضيـات بعد اعلان الاستقلال وكنا نحرص على الاجتماع قبل توافد الناس وانشغال الملك بهم وكـان بعض الأخوان يتخلفون ولكني كنت انا دائم الوجود شعورا مني بأني سكرتير الهيئة الذي يجب ان يكون موجودا .

اتفاقنا مع فيصل على دوام المؤتمر والعناية بمظهره ومركزه واعتباره مجلسا تأسيسيا ومجلس امة

ولقد اتفقنا على ما جرى في المؤتمر ثم اتفقنا على ان يبقى المؤتمر قائما في حالة انعقاد دائم

وان يصبح من جهة بمثابة مجلس تأسيسي لمناقشة مشروع دستور الدولة الذي وضعته اللجنة الخاصة التي كنت سكرتيرها على ما ذكرته قبل ومن جهة بمثابة مجلس امة لمراقبة الحكومة ومحاسبتها وتوجيهها واتفقنا تأسيسا على هذا على ضرورة العناية بمظهر المؤتمر وجعله متلائما مع صبغته الجديدة المزدوجة مجلس تأسيس ومجلس أمة في بنايته وترتيباته حيث يستأجر له بناء فخم متسع ويوسع مكتبه وينال تقدير الحكومة واحترامها في مواقفها وسيرها واتفقنا على ادخال تعديل على العلم .

تعديل صورة العلم ليتميز عن علم الثورة الهاشمية الذي صار علم المملكة الحجازية

واتفقنا على ادخال تعديل على العلم فقد كان العلم المرفوع على سورية في عهد فيصل السابق للاستقلال هو علم الثورة الذي صار علم المملكة الحجازية شرائح سوداء فخضراء فبيضاء يقطها مثلث احمر وقد تم الأمر على الاحتفاظ بهذا العلم كأصل مع تعديل ترتيب الشرائح حيث يكون البيضاء في الوسط وفوقها سوداء وتحتها الخضراء ثم توضع نجمة سداسية بيضاء في المثلث الأحمر كرمز على انبثاق فرع جديد عن الثورة غير مملكة الحجاز وهو المملكة السورية وقد حذا العراقيون حذونا فعدلوا علمهم مثل علم سورية ووضعوا في المثلث نجمتين كرمز على انبثاق فرع جديد ثان عن الثورة .

بقاء العلم السوري المقرر علما لامارة شرق الأردن

ولقد كان علم سورية الجديد هو الذي ارتفع على متصرفية الكرك التي كانت هي السلطة الرئيسية فيما صار يسمى شرق الأردن والتي كانت تابعة لسورية في زمن الدولة العثمانية وظلت كذلك في عهد فيصل فلما سقط هذا العهد وقامت في متصرفية الكرك امارة شرق الأردن برئاسة الأمير عبد الله على ما سوف نشرحه اكثر ابقى الأمير العلم الذي كان مرتفعا على حاله على اعتبار انه انما جاء لانقاذ سورية واعادة مملكتها المستقلة وظل علم الامارة علم المملكة الأردنية حينما صارت مملكة[1] .

---

(١) ولما عقدت معاهدة بين سورية وفرنسة ١٩٣٦ وقامت الجمهورية السورية الاستقلالية برئاسة هاشم الأتاسي لم يكن من الممكن رفع العلم السوري الأول لأنه صار علم دولة اخرى فقررت سورية جعل علمها الجديد الشرائح الثلاث بترتيبها اسود فأبيض فأخضر ووضعت ثلاث نجمات سداسة حمراء في الشريحة البيضاء .

وفي كتابنا نشأة الحركة العربية الحديث بحث في ظروف ورموز علم الثورة الحجازية الذي صار اصل هذه الاعلام .

اتفاقنا مع فيصل على تأليف الوزارة الاستقلالية الأولى برئاسة الركابي

وجرى الحديث في اجتماعاتنا مع الملك فيصل حول تأليف اول وزارة استقلالية وأصر الملك على ان يعهد برئاستها للركابي استمرارا لما كان في عهده وان يكون اعضاؤها من المتقدمين في السن حتى يكون استقبالها في الأوساط العامة حسنا ورأينا ان لا نصطدم معه في هذه المسألة رغم ما كان لنا على الركابي من مأخذ واشترطنا ان يكون مع كل وزير شاب مثقف ذو خبرة من الفتاة المخلصين لها يكون مساعد او مديرا ورقيبا وتستطيع الهيئة المركزية عن طريقه تبليغ ما تقرره وفهم ما يجري ووافق الملك على ذلك . وتم به التوفيق ومن طريف ما كان في اثناء الحديث عن تأليف الوزارة ان رشيد طليع كان مرشحاً لوزارة الداخلية وكان يتولى مديرية الداخلية في عهد حكومة المديرية على ما ذكرناه قبل وكان حاضرا في احدى جلساتنا فقلت له انك من حزب الفتاة فماذا يكون موقفك اذا فقد هذا الحزب الاكثرية في مجلس الأمة فقال اكون مع الأكثرية وغمز بعضنا بعضا لهذا الجواب غير الانضباطي حزبيا وكان سببا في استبعاده من الوزارة برغم ما كان يبدو منه من حزم وحسن بصيرة ودراية .

امين التميمي معاونا للركابي

واتفقنا على تسمية امين التميمي ليظل معاونا لرئيس الوزارة وكان قبل معاونا للركابي الذي كان رئيسا لحكومة المديرين وكان شديد الانسجام في الجمعية وثلاثة من اخوته من اعضائها القدامى وواحد منهم في هيأتها المركزية .

تعيين ممثلين للمنطقتين الجنوبية والغربية في الوزارة

ورأينا من المفيد والضروري تسمية شخصيتين ليكون احدهما ممثلا للمنطقة الجنوبية من المملكة المحتلة من الانكليز اي (فلسطين) وأحدهما ممثلا للمنطقة الغربية المحتلة من الافرنسيين (لبنان والساحل السوري) .

تسمية سعيد الحسني وزيرا للخارجية ممثلا لفلسطين

واتفقنا على تسمية سعيد الحسيني كممثل للمنطقة الجنوبية وزيرا للخارجية وكان رجلا هادئا وقورا ناب عن منطقة القدس مرتين في المجلس النيابي العثماني وسمينا عوني عبد الهادي ليكون معاونا له لكن الملك طلب ان نترك له عوني يبقى سكرتيرا خاصا له وكان جميل مردم بك يبذل جهده للبروز فحققنا له رغبته وسميناه معاونا . وهو من اركان الفتاة وجاء سعيد الحسيني ومارس منصبه فترة قصيرة ثم ذهب الى القدس ولم يعد فسمي عوني عبد الهادي وكيلا له .

تسمية رضا الصلح وزيرا للداخلية ليمثل المنطقة الغربية في الوزارة وفايز الشهابي معاونا له

وسمينا رضا الصلح كممثل للمنطقة الغربية وزيرا للداخلية وهو والد رياض الصلح وكان نائبا في مجلس النواب العثماني مرة ومتصرفا مرة وكان رجلا ناضجا وطنيا قوميا وكان جمال باشا اعتقله هو وابنه ثم اطلق سراح الأب لشيخوخته والابن لصغر سنه على ما شرحناه قبل وسمينا الأمير فايز الشهابي ليكون معاونا له على ما يرد الى ذاكرتي وهو من اعضاء الفتاة القدامى وكان يتولى منصبا رئيسا في مديرية الداخلية ومن قبل مارس وظيفة قائمقام في زمن الدولة العثمانية . وقد قررنا ضم رضا الصلح الى الفتاة وفوتح بذلك ووافق وحلف يمين الاخلاص للجمعية .

تسمية علاء الدين الدروبي رئيسا لمجلس الشورى وكلمة عنه

ورشح علاء الدين الدروبي وهو من حمص وكان قائمقاما ثم متصرفا في زمن الدولة العثمانية لمنصب (رئيس مجلس الشورى) وعضوا في الوزارة وظهر فيما بعد ان ترشيحه لم يكن في موقعه ولقد قررنا جريا على الخطة الخاطئة ضمه الى الفتاة وفوتح ووافق وحلف اليمين ولكنه كان وظل غريبا بقلبه وروحه وعقله عن الفتاة واهدافها ولما صار غزو فرنسة لسورية محققا واستقال هاشم الأتاسي من رئاسة الوزارة عهد اليه فيصل برئاسة الوزارة بوعد ان يكون وسيط خير معتدل بينه وبين الافرنسيين ولكن الافرنسيين لم يكادوا يحتلون دمشق حتى انسجم معهم فأبقوه في رئاسة الوزارة وأمروه بانذار فيصل بمغادرة درعا حيث توقف فترة قصيرة بعد خروجه من دمشق ولقد كان هياج في حوران وفرض الافرنسيون على هذه المنطقة غرامة كبيرة فأرسلوه وزميلا له في الوزارة هو عبد الرحمن اليوسف لتهدئة الهياج وجمع الغرامة فقوبلا بهياج اشد وهجم الهائجون على القطار وفتكوا بالوزيرين غفر الله لهما.

تسمية عبد الحميد القلقطجي وزيرا للحربية ويوسف العظمة معاونا له

ورشح اللواء عبد الحميد قلقطجي لوزارة الحربية ولم يعرف له نشاط وبروز وكان قائد فرقة او لواء مدفعي فيما اذكر وكان هادئا جامدا عسكري السمت معروفا بالاستقامة وقد قررنا ضمه للفتاة وتم ذلك وظل هو الآخر غريباً بقلبه وروحه وعقله عن الفتاة وسمينا يوسف العظمه ليكون معاونا له مع احتفاظه برئاسة اركان حرب الجيش .

تسمية فارس الخوري لوزارة المالية وكلمة عنه

ورشح فارس الخوري لوزارة المالية وكان مارس النيابة عن الطائفة النصرانية الدمشقية

في مجلس النواب العثماني وهو ذكي نبيه وكان ضليعاً بالقوانين ذا ثقافة واسعة عربية وغربية وكان منسجما في عهد فيصل مستقيم السيرة جم النشاط وظل بارزاً ووزيراً للمالية في عهد الوزارة الأتاسية الثانية مالئا للمنصب موحيا بالثقة ولقد ظل يبرز وينشط بعد سقوط العهد الفيصلي وشغل جزءاً كبيراً في تاريخ سورية السياسي وصار من اعلام رجالها الوطنيين النشيطين المستقيمين وتعرض لأذى الافرنسيين ونفوه في ظروف اشتداد الحركة الوطنية في الثلاثينات عن دمشق وصار من اركان الكتلة الوطنية التي قادت الحركة الوطنية بعد فتور الثورة السورية واختير ليكون من وفد المفاوضة مع فرنسة حينما تم الاتفاق على عقد المعاهدة الاستقلالية معها في سنة ١٩٣٦ وظل يبرز ومثل سورية هيئة الأمم واختير في دورة من دوراتها رئيسا لمجلس الأمن فملأ المنصب ورفع اسم سورية والعرب وصار وزيرا اكثر من مرة في عهد الاستقلال الثاني بعد سنة ١٩٤٣ ورئيسا للوزارة ورئيساً لمجلس النواب وكان في كل مناسبة كفيئاً نشيطاً مستقيماً ناضجاً رزيناً . وظل ذا مركز محترم بعد ان شاخ واعتكف في بيته وقد عمر حتى بلغ التسعين ومات في الستينات وكان يحفظ كثيراً من القرآن والأحاديث ويعجب بالقرآن والرسول العربي ويكاد ان يكون مسلما ومما سمعته انه وصى بقراءة القرآن في مأتمه وتم ذلك وكان ينظم الشعر وذا قلم بليغ في النثر وملما بل ضليعا باللغة الانكليزية وقد تعرفت به في عهد فيصل ثم تجدد عهدنا حينما اقمت في سورية والتقيت به مرارا وكنا معجبين ببعضنا وقامت بيننا الفة ومودة وان لم تصل الى الصداقة الحميمة .

تسمية احمد حلمي عبد الباقي معاونا لفارس الخوري

وقد سمينا احمد حلمي عبد الباقي معاونا لوزير المالية وكان يشغل منصب مدير المالية في حكومة المديرين ومنتسبا للفتاة ذا خبرة حسنة وأخلاق قويمة ونشاط جم على ما ذكرناه في الكلمة التي كتبناها عنه سابقا .

تسمية جلال زهدي وزيرا للعدلية وكلمة عنه

ورشح جلال زهدي وزيرا للعدلية وكان رجلا قانونيا وتقلد وظائف قضائية في العهد العثماني وكان ذا اخلاق قويمة مشهورا بالنزاهة والصراحة وأظن انه من اصل تركي مستعرب اتخذ حلبا او دمشق وطنا له فصار سوريا عربيا وقد ضممناه هو الآخر الى الفتاة وكان اشد انسجاما فيها من الدروبي والقلطقجي .

تسمية عارف نكد معاونا له وكلمة عنه

وسمينا عارف نكد على ما يرد الى ذاكرتي معاونا له وكان قد ضم الى الفتاة واخلص لها

وانسجم فيها قلبا وقالبا وهو من اسرة درزية بارزة من لبنان وكان متخرجا من كلية الحقوق قوميا عروبيا وحدويا مستقيما صلبا جريئا على قول الحق بلا مداجاة ولا مجاملة وكان مثقفا حسن الاطلاع نزوعا للبحث وبخاصة في اللغة العربية وآدابها وفي التاريخ والاجتماعيات واهله ذلك ليكون عضوا بارزا نشيطا في مجمع اللغة العربية في دمشق وبعد سقوط عهد فيصل دعا على ما اظن الى لبنان ثم عاد الى سورية فعمل في القضاء وحينما قام عهد الاستقلال الأول برئاسة الأتاسي اندمج في العهد وعين مفتشا للعدلية ثم رجع الى لبنان وأقام فيه يرعى المؤسسات الدرزية الوقفية والتعليمية وكان يأتي الى دمشق من حين الى حين لحضور اجتماعات المجمع وقد تعرفنا به في عهد فيصل وتمت بيننا وبينه الفة ومودة وان لم تصل الى درجة الصداقة الحميمة وقد التقينا به في أيام اقامتنا في دمشق سنة ٩٣٧ اكثر من مرة لقاء مودة ومحبة وقد توفي في السبعينات رحمة الله عليه .

تسمية ساطع الحصري لوزارة المعارف

ورشح ساطع الحصري لوزارة المعارف وهي التي صار يطلق عليها (وزارة التربية والتعليم) وهو في سن اكثر تقدما من الشباب ولا اعتراض عليه من هذه الناحية وقد ملأ الفراغ وظل في المنصب في الوزارة الأتاسية الثانية وقد سبق ان كتبنا كلمة عنه فنكتفي بذلك .

تسمية يوسف الحكيم لوزارة الزراعة وكلمة عنه

ورشح يوسف الحكيم لوزارة الأمور النافعة (التجارة والزراعة والاشغال العامة) وكان متخرجا من مدرسة حقوق الآستانة مثقفا بثقافة حسنة عربية وتركية وغربية وهو من اهل اللاذقية وقد مثلها في المؤتمر السوري العام وكان قبل ذلك تقلد بعض وظائف قضائية في زمن الدولة العثمانية ثم صار سكرتيرا لمتصرفية جبل لبنان في عهد امتيازه وعرف بنشاطه واستقامته وحسن تصرفه وتصريفه للأمور وقد تعرفنا به في المؤتمر وتعاونا معه وصار بيننا وبينه الفة ومودة وان لم تصل الى الصداقة الحميمة وكان عضوا بارزا نشيطا في المؤتمر وادخلناه في حزب الاستقلال ثم اخترناه لوزارة الزراعة كما ذكرنا وقد بقي وزيرا في وزارة الأتاسي التي خلفت الوزارة الركابية ولقد كان معتدلا في موقفه بل مهاودا بعض الشيء ازاء اتفاقية كليمنصو فيصل ثم في ازمة الانذار الافرنسي ولكنه عاد فانسجم مع الأكثرية وسار في تيارها وقد بقي في سورية بعد الاحتلال الافرنسي وانسجم بعض الشيء في هذا العهد بدون غلو ولا انحراف واشتغل في المحاماة وصار وزيرا مرارا في عهود سورية قبل معاهدة سنة ٩٣٦ وبعدها وظل على استقامته وحسن درايته وتصرفه وبعد ان اقمنا في دمشق عام ٩٣٧ وبعده كنا نلتقي به في الفة ومودة

وصار نقيبا للمحامين مرة ثم شاخ فاعتكف في بيته وكتب بضعة كتب كمذكرات وتاريخ للأحداث التي شهدها في لبنان وسورية في زمن الدولة العثمانية وبعدها وقد توفي في عام ١٩٧٩ وقد كاد عمره يبلغ المائة سنة .

تعليق على انتقاد يوسف الحكيم رفض اتفاقية كليمنصو والتطرف في ازمة الانذار الافرنسي

ويوسف الحكيم يوجه في مذكراته نقدا ولوما للمتطرفين في عهد فيصل الذين رفضوا اتفاقية كليمنصو ووقفوا موقف التطرف والشدة في ظروف الانذار الافرنسي الذي اعقبه غزو الافرنسيين لسورية واحتلالهم دمشق واسقاطهم عهد فيصل ولقد فندنا ما وجه الى من سموا بالمتطرفين من نقد لرفضهم لاتفاقية كليمنصو والانذار الافرنسي وسوف نفند ما وجه اليهم من نقد حين نتكلم عنه ومن المفارقات الهامة التي يحسن تسجيلها هو انه اندمج في تيار رفض اتفاقية كليمنصو وكان من المصوتين لقرار اعلان الاستقلال الذي اقترح كبديل لها بل كان من الذين صاغوا مسودة القرار معنا كما ذكرنا ذلك قبل وكان عليه على الأقل ان كان يصدر في نقده عن عقيدة وقناعة سابقة ان لا يندمج في التيار وان يقف موقفا حياديا وان لا يصوت وهو مثقف واع حصيف .

تسمية الأمير مصطفى الشهابي معاونا له

ولقد سمينا الأمير مصطفى الشهابي معاونا للحكيم في وزارة الامور النافعة وكان قد تخرج من مدرسة زراعية جامعية في فرنسا قبل نهاية الدولة العثمانية وانضم للفتاة في اوائل عهد فيصل وانسجم فيها قلبا وقالبا وقد كتبنا عنه كلمة في مناسبة سابقة فنكتفي بذلك .

* * * * *

(٢١)

لجنة ترتيب المؤتمر واستئجار بناية العابد وتجهيزها بكل ما يحتاج اليه المؤتمر وشيء عن ذلك

ولقد اخبرت هاشم الأتاسي رئيس المؤتمر بما تم الاتفاق عليه بين الهيئة المركزية والملك فيصل من وجوب استمرار المؤتمر وغدوه مجلسا تأسيسا ومجلس امة معا ووجوب العناية بمظهره وترتيباته واقترحت عليه الاتصال بالحكومة في صدد ذلك ففعل واقترح عليه رئيس الوزارة تأليف لجنة من اعضاء المؤتمر لانتقاء بناء مناسب واستئجاره وتأثيثه وتجهيزه واختار الرئيس كلا من سعد الله الجابري ورياض الصلح ووصفي الأتاسي على ما يرد لذاكرتي وخصصت

الحكومة الاعتمادات المالية المقدرة من اللجنة وفوضتها في العمل فاختارت الطابق المتوسط من بناية العابد الكبيرة في المرجة ساحة الشهداء وكان له مدخل خاص لا بأس في مظهره في الساحة التي تأتي بعد بوابة البناية الكبيرة وفيه قاعة كبيرة وقاعات وغرف عديدة متنوعة السعة وفيه ما يحتاج اليه من مرافق اخرى وقد جهزت القاعة بمقاعد ومناضد ومنصة لتكون محل اجتماعات المؤتمر العامة وجعل فيها اجنحة ومنصات للوزارة والزوار والصحفيين والخطباء والكتاب وجهزت قاعات وغرف اخرى في البناية بما تحتاج اليه من مقاعد ومناضد ليكون منها مكتب للرئيس ومكتب للسكرتيرين وديوان للتحرير والسجلات وقاعات لاجتماع لجان المؤتمر واحزابه واستراحة اعضائه وجهز فيه محل يكون فيه عمال لصنع القهوة والشاي الخ . .

توسيع مكتب المؤتمر وانتخاب اربعة سكرتيرين وثلاثة مراقبين له

وبعد اتمام تجهيز البناية صارت مقرا للمؤتمر وكنا اجلنا الجلسات بعد جلسة قرار اعلان الاستقلال وكان الانتقال في أواخر شهر آذار ٩٢٠ ودعي اعضاء المؤتمر الى الاجتماع فيه وفي اولى الجلسات اقترح بعضهم توسيع مكتب الرئاسة ووفق على ذلك وتقرر ان يكون للمؤتمر اربعة سكرتيرين وجرى الاقتراع ففزت انا وكل من الدكتور سعيد طليع الذي مر ذكره وكلمة عنه ومراد غلمية وهو مسيحيٌ وكان يمثل مرجعيون وكان عروبيا قوميا استقلاليا لا بأس في ثقافته وصلاح الدين قدورة وكان يمثل صفد وكان شابا نشيطا قوميا عروبيا حسنا في ثقافته هو الآخر وكان يتلو محاضر الجلسات ويسجل اسماء المتكلمين والحاضرين وكان الدكتور طليع ينشط في امور مكتب الرئاسة الخارجية يساعده مراد غلمية .

دوري في مكتب الرئاسة

وكنت انا ولا فخر لولب المكتب والسكرتير الأول صاحب النشاط البارز ومستشار الرئيس في الجلسات والمكتب والمسؤول عن تدبير وتوزيع المخصصات على الأعضاء دون ان استلم مالا حيث كان للمؤتمر امين صندوق يستلم المال من خزانة الحكومة بموجب جدول انظمة واكتب الرقاع فيأخذها الاعضاء اليه ويقبضون مخصصاتهم منه وقد ذكرت قبل حادثا طريفا حيث زارني ابراهيم الحاج حسين عضو المؤتمر عن دير الزور في الستينات واراني رقعة موقعة بتوقيعي لأمين الصندوق ليدفع له مخصصاته وقد احتفظ بها نحو اربعين عاما ونيفا .

انشاء ديوان تحرير للمؤتمر وتعيين نجيب الأرمنازي رئيسا للكتاب وكلمة عنه

واتفقت مع الرئيس على انشاء ديوان كتابي للمؤتمر واخترنا لرئاسته نجيب الأمنازي

يساعده كاتب واثنان وكان يحتفظ بالمحاضر والتقارير والأوراق والسجلات وتصدر بواسطته ما يصدر من مراسلات وقد ظلت كل اوراق وسجلات المؤتمر في حيازته حين علقت جلسات المؤتمر حين تأزم الموقف بالانذار الافرنسي على ما سوف نذكره بعد وظلت في حيازته لأن المؤتمر لم يعد الى اجتماع .

نجيب الأرمنازي

وعلى ذكر نجيب الأرمنازي اقول انه كان شابا ذكيا نشيطا وقد ضمته الفتاة اليها ولكنه لم يندمج فيها قلبا وقالبا وبعد الاحتلال ذهب الى فرنسا وحصل على اجازة الحقوق من احدى جامعاتها على دكتوراه في الحقوق وبرز في عهد الاستقلال الأول سنة ٩٣٦ ـ ٩٣٩ وصار امين السر العام لرئاسة الجمهورية وظل كذلك في عهد الاستقلال الثاني ٩٤٣ وبعده فترة ما ثم عين سفيرا لسورية في لندن والقاهرة فيما اذكر ولم اعرف له نشاطا في الحركة الوطنية وتنظيماتها في العشرينات والثلاثينات التي كان رجال الحركة الوطنية ينشطون وادى نشاطهم الى عهدي الاستقلال وقد تقاعد في الخمسينات وانصرف لكتابة مذكرات وكتب اخرى في السياسة العربية والقى محاضرات في ذلك في معهد الدراسات العليا في القاهرة وكان في الاجمال من الشخصيات السياسية والعلمية السورية اللامعة وصار يلمح في كتاباته شيء من التعالم غير المستحب . وقد التقيت به اكثر من مرة حينما اقمت في دمشق سنة ٩٣٧ وبعده وكان لقاؤنا لقاء أصدقاء ومودة ومعرفة سابقة واخر عهدي به اجتماع في قصر الجمهورية السورية في سنة ١٩٥٨ حينما تمت الوحدة السورية المصرية . توفاه الله في الستينات رحمة الله عليه .

تخليد لذكرى اعلان الاستقلال بلوحة تصور الاعضاء ومجموعة منها صور منوعة

ولقد رأينا تخليد صور المناداة بالاستقلال فعهد المكتب للدكتور سعيد طليع بذلك فأخذ صورا فردية لكل عضو وجده في دمشق في ظرفها وجمع الصور في لوحة واحدة كبيرة مكتوب تحت كل صورة اسم صاحبها وقد رتبت دائرة علوية في اللوحة جعل الملك وسطها وحوله الرئيس الأتاسي والسكرتيرين الأربعة والمراقبين واخذ الدكتور صورا اخرى لرجال الحكومة وبعض كبار رجال العهد وحرص على ان يجعل لنفسه صورة كبيرة في الالبوم وكان في عمله موضوع نقد وقد كان من هذه الصور ومن صورة مصغرة للوحة الكبرى ومن صورة قرار المؤتمر السوري مجموعة أو البوما ووزع على الأعضاء مقابل جنيه من كل واحد غطت النفقات . ولوحتي الكبيرة معلقة في جدار مكتبي وفيها نحو مائة صورة لم يبق من اصحابها على الحياة إلا انا وامين بيهم اما الألبوم ومجموعتي فقد ضاعت في غمرة الانتقالات ولكن بعض الأصدقاء

وورثائهم من بعدهم ظلوا محتفظين بلوحاتهم ومجموعاتهم وانبه على ان اللوحة لا تشمل جميع اعضاء المؤتمر لأن من الأعضاء من جاء متأخرا عن المناداة بالاستقلال .وبالتالي عن وقت اخذ الصور ومنهم من عاد الى بلاده بعد قليل من اجتماعه الأول الذي عقد لتقرير ما تبقى تقديمه للجنة الاستفتاء من قرار وعلى كل فهي تمثل اكثرية الأعضاء الكبرى او ثلاثة ارباع مجموعهم .

* * * * *

(٢٢)

بيان الحكومة في المؤتمر ومداه

وجاءت الحكومة الى المؤتمر في٢٧آذار ٩٢٠ بعد ان تمت ترتيباته وألقت بيانها الوزاري وهو منشور في الجزء الثاني من كتاب الثورة لأمين سعيد وفي ديباجة البيان ان الوزارة تأتي في بدء قيام المملكة السورية المستقلة الى مجلس الأمة لتقرأ بيانها وتبسط خطتها وهي تحيّي المجلس الجليل الذي سوف يكون له الذكر الخالد في الأمة جيلا بعد جيل لأنه كان المعرب الصادق عن رغائبها والمؤيد لحقوقها والمؤسس لحكومتها الجديدة في تاريخها المجيد ، وبهذا دشنت مهمة المجلس بلسان الحكومة كمجلس وتقف امامه وتقدم له الحساب وفي الكلام على كل حال تأييد لقرار المؤتمر وقبول به رسميا وقبول حكومة يرأسها الركابي بخاصة مهم في بابه لأن لم يكن موافقا في سريرته على ما تم . وبعد ذلك نوه البيان بما كان من جهاد العرب بزعامة الملك حسين في سبيل الاستقلال وثورتهم وقتالهم الى جانب الحلفاء وما قدموه من ضحايا جعلهم اهلا للاستقلال واثنى على الملك حسين وابنائه لقيادتهم جهاد الأمة ثم ابدى الأمل بان يقابل الحلفاء وبخاصة بريطانيا وفرنسا بالقبول والموافقة والمساعدة والمودة ولا سيما انهما اعلنا احترامهما الرغبة للأمة في طريقة حكمها لنفسها وانهما يعلمان علم اليقين ان سورية تريد ان تحيا حياة امة مستقلة مطمئنة في ظل سلم عام ودونما تجزئة وشوائب مكدرة مع حرصها على صون مصالح جميع الأمم وخصوصا مصالح فرنسا وبريطانيا الحليفتين العظيمتين وهذه هي خطة وسياسة الحكومة السورية الخارجية ومرتكزها اما سياستها الداخلية فهي بناء الدولة ودوائرها على أساس الحق والمساواة والعدل والكفاءة والاهتمام بعمران جميع المناطق وتوطيد الأمن ونشر العلم وتقوية الجيش لحفظ النظام والأمن والدفاع عن الاستقلال التام والوحدة السورية وقال البيان ان الحكومة ستظل تسير وفق القوانين العثمانية المرعية على ان يدخل عليها حسب الأصول التحويرات والتعديلات المناسبة وطلب من المجلس الاسراع في مناقشة مشروع الدستور حتى تسير شؤون الدولة وفقه وبهذا ايضا سجل اعترافه بالمجلس كمجلس تأسيسي . وطلب بعد ذلك من المجلس منح الحكومة ثقته على أساس بيانها .

منح المؤتمر ثقته للحكومة

وقد خطب بعض الأعضاء معلقين على البيان الوزاري مشددين على ضرورة تهيئة جيش قوي للدفاع وتنظيم دوائر الحكومة على أساس الكفاية وتوطيد الأمن وبث روح الطمأنينة والأمل بين الناس ثم قرر المؤتمر بما يشبه الاجماع منح الثقة للوزارة على الأسس التي جاءت في بيانها على ما كان من تعليقات وتعقيبات الأعضاء وسارعت الحكومة بعد ذلك الى ارسال مذكرة للحلفاء تخبرهم فيها بما قرره المؤتمر السوري الممثل لجميع انحاء سورية من اعلان الاستقلال التام لجميع سورية واختيار الأمر فيصل ملكا عليها وتشكيل الحكومة نتيجة لذلك ورغبتها في اقامة اوثق صلات التعاون والود معها (نص المذكرة في كتاب يوم ميسلون لساطع الحصري ص ٢٦٥ ـ ٢٦٨) .

انشاء حزب او تكتل نيابي باسم (التقدم) يضم اعضاء جمعية الفتاة واصدقاءهم

وقد قررت الهيئة المركزية للفتاة الايعاز لأعضاء الجمعية في المؤتمر بتنظيم انفسهم في تكتل نيابي حتى تسير المناقشات والقرارات على الأصول المتعارف عليها . واجتمع اعضاء الجمعية في المؤتمر قدامى وجدد وكان عددهم نحو (٣٥) وقرروا انشاء حزب نيابي باسم (حزب التقدم) وبذلوا الجهد لضم من يتوسمون فيه الانسجام من اعضاء المؤتمر غير المنتمين للجمعية واستطاعوا ان يضموا اليهم نحو ثلاثين فصار عدد حزب التقدم نحو (٦٥) وهم اكثرية المجلس واختاروني سكرتيرا له ايضا يدعو الأعضاء الى الاجتماعات الخاصة ويعرض عليهم المواضيع التي يجب بحثها في هذه الاجتماعات قبل طرحها في المؤتمر وفق ذلك وقد رشح بعضنا اسناد رئاسة الحزب للشيخ رشيد رضا فتمت الموافقة على ذلك .

انشاء المعارضين للفتاة حزبا او تكتلا نيابيا باسم الحزب الديمقراطي

وكان في المؤتمر اعضاء غير منسجمين مع الفتاة وحاقدين عليها او منقبضين عليها ومعارضين لخططها لأسباب متنوعة وكان في مقدمتهم الشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ تاج الدين الحسني واحمد القضماني فبذلوا جهدهم بدورهم لانشاء تكتل نيابي لهم وتم لهم ذلك فقام حزب نيابي معارض من نحو عشرين عضوا وقد سموه (الحزب الديمقراطي) وكان الاسم موضع تندر لأن القاسم المشترك الذي كان يجمع بين اعضائه هو التزمت نحو اي جديد فكرا وعملاوالتمسك بالتقاليد السائدة مهما كانت بالية رجعية ومن طريف ما كان ان رياض الصلح قال لاخوانه في الفتاة انه يحسن ان يكون في هذا الحزب حتى يكون كابحا ومهدئا فسمحوا له

بذلك وانه كلما كان موضوع مهم برز منا من يؤيده كان احمد القصباني يهتف برياض ويطلب منه الرد على عضو حزب التقدم وكان هذا من مواضيع التندر والتفكه .

ولقد بقي نحو عشرين عضوا في المؤتمر مستقلين غير منتسبين الى اي حزب من الحزبين وكانوا يصوتون مع من يرون بدون تكتل وتنظم وعلى كل حال فان حزب التقدم كان هو الأقوى والأشد تفتحا والكاسح في المؤتمر .

مناقشة المؤتمر لمواد الدستور ودوري مع بعض الرفاق في ذلك

ولقد انصرف المؤتمر بعد منحه الثقة للحكومة الى مناقشة مشروع الدستور وقد قرأت مواد المشروع في جلستين او ثلاث قراءة أولى ثم عاد المؤتمر الى مناقشتها مادة مادة حسب الأصول وظل منشغلا بذلك الى آخر أيامه وقد أقر مواد عديدة بعد مناقشتها وبقيت مواد كثيرة لم يتسع وقته لمناقشتها واقرارها بسبب تعليق جلساته في أزمة الانذار الافرنسي على ما ذكرناه قبل وما سوف نزيده شرحا بعد .

ولقد كان في المؤتمر عدد غير قليل نبهاء ومثقفين وخريجي مدارس عالية وباحثين وعلماء دين فكانت المناقشات حارة وجدية وكنت انا وسعيد حيدر وعثمان سلطان ووصفي الأتاسي ونحن من اعضاء لجنة مشروع الدستور نتصدى للرد والتوضيح وشرح المنطلقات التي انطلقت منها اللجنة في وضع مشروعها وبعبارة اخرى كنا مقرري مواد الدستور وشارحيها ومدافعين عنها ومع ذلك فقد كنا نحترم افكار وتعليقات زملائنا وكثيرا ما كنا نقبل ما يقترحونه من تعديلات وافكار في الصيغ والأسلوب والمعنى معا .

احتدام النقاش حول النص على مساواة المرأة والابقاء على النص القديم الذي يضمن حقوق مساواة كل سوري من حيث امكان تشميل ذلك للذكور والاناث معا

ولقد أراد بعض التقدميين النص بصراحة على مساواة المرأة بالرجل سياسيا ومدنيا وتمثيلا وانتخابا وقد احتدم النقاش بين التقدميين والتقليديين كثيرا والحق انه ليس هناك مانع ديني او اجتماعي يمنع ذلك . وقد جعل القرآن المرأة صنواً للرجل في جميع الأمور العامة والمدنية والايمانية والتكاليف والواجبات والتبعات في الدنيا والآخرة واعترف بشخصيتها المستقلة عن الرجل في ذلك كله حينما امر الله الرسول بأخذ البيعة منها استقلالا عن الرجل ﴿ يا أيّها النبيّ اذا جاءَكَ المؤمناتُ يبايِعْنَكَ على ان لا يُشْرِكْنَ بالّله شيئا ولا يسرقن ولا يَزنين ولا يقتلن اولادَهنّ ولا يأتين بِبُهتَان يفترينه بينَ أيديهنّ وأرْجُلهنّ ولا يعصينك في معروف فبايِعْهن

المرأة الشيخ سعيد مراد الغزي على ما شرحت ذلك في الكلمة التي كتبتها عنه سابقا وكان في الاستطاعة تثبيت ذلك ثم رأينا ان الأمر قد يثير المتزمنين والعوام وكانت الظروف تقضي بتفادي ذلك فقررنا الابقاء على النص الوارد في المشروع المطلق الذي يمكن ان يشمل في التطبيق الذكور والاناث معا وهو حق كل سوري اتم العشرين من عمره ان يكون ناخبا أول وأتم الخامسة والعشرين ان يكون ناخبا ثانيا واتم الثلاثين ان يكون نائبا بالاضافة الى صفات وأهليات اخرى ومما كان من نصوص المشروع وهذا متمم وكامل النص (ان جميع السوريين متساوون في الحقوق والواجبات) حيث يعني هذا التسوية التامة في كل شيء للسوريين جميعهم على اختلاف نحلهم وأديانهم وأصولهم القومية والذكور والاناث معا .

وقد يكون في مشروع الدستور مواد تقليدية ولكن ذلك كان من وحي الظروف والمواد التي تم مناقشتها واقرارها يمكن ان تعد بالاجمال تقدمية بل مواد المشروع يمكن ان تعدل كذلك .

تنبيه في صدد مواد الدستور المنشورة في بعض الكتب

وفي كتاب الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ للدكتوره خيرية قاسمية وكتاب الوثائق التاريخية لحسن الحكيم نصوص مواد الدستور والمرجح انها نصوص المشروع الذي قرىء قراءة أولى ونشر في الصحف لأن مواد المشروع لم تناقش ولم تقرر جميعها كما ذكرنا قبل .

ردود الفعل الخارجية لاعلان الاستقلال

من المفارقات التي اذكرها ان المعتمد الافرنسي واسمه الكولونيل كوس حضر جلسة المؤتمر التي تقرر فيها اعلان الاستقلال وحضر مراسم بيعة اعضاء المؤتمر وغيرهم للملك فيصل بل وهنأ الملك بملكه في حين كان المعتمد الانكليزي غائباً عن كل ذلك .

موقف اللنبي في كتاباته لفيصل قبل الاعلان وتقديمه النصيحة له السفر الى اوروبا

ولقد أبرق اللنبي للملك فيصل قبل اعلان الاستقلال بساعات يحذره من العمل الذي لا يمكن ان يرضى به الحلفاء ويذكره بأن الافضل له ان يتم تفاهم بينه وبينهم ولما سارت الأمور حسب الخطة المرسومة وتم القرار والاعلان ابرق ثانية لفيصل يقول له ان ما تم هو في حكم العدم وان الأفضل ان يذهب الى اوروبا ويتفاهم مع الحلفاء .

تعذر سفر فيصل

ولقد مال فيصل الى الأخذ بهذه النصيحة ولكنه لم يستطع السفر بسبب تلاحق الأحداث وقيام العقبات في طريقه من قبل فرنسة على ما سوف نذكره بعد .

موقف حكومتي فرنسة وبريطانيا ومذكرة الملك لهما

ولقد ذكرنا قبل ان الحكومة السورية عقب تأليفها أرسلت مذكرة الى الحلفاء تخبرهم بما تم وتتودد اليهم ولكنها لم تتلق جوابا وسارع وزير خارجية بريطانيا الى الابراق الى فيصل يقول له ان بريطانيا لا يمكن ان تعترف بما تم ولا يمكن ان تعترف لمؤتمر دمشق بأي حق في الحديث عن فلسطين والعراق ولقد أرسل سكرتير فيصل جواباً للوزير البريطاني بواسطة المعتمد البريطاني في دمشق يذكر فيه ان هذا المؤتمر قد تألف من ممثلي جميع المناطق السورية ساحلا وجنوبا وداخلا وانه اجتمع لأول مرة في دمشق حينما جاءت لجنة الاستفتاء الاميركية وقرر قرارا برغبة سورية في الاستقلال التام ورفض وعد بلفور والمزاعم الصهيونية في فلسطين وكون فلسطين جزءاً مع سورية وبالاتحاد الاقتصادي مع العراق وقرر رغبة سورية في توسيد ملك المملكة السورية الى الأمير فيصل وكل هذا جرى على مسمع ومرأى من بريطانيا وممثلها في حزيران ١٩١٩ وان ما قرره المؤتمر السوري مؤخرا هو نفس ما قرره في احتماعه الأول المذكور ثم أرسل الملك فيصل بعد هذا رسالتين الى الحكومتين الافرنسية والبريطانية يشرح فيهما ما جرى وأسبابه ولكن رئيسي الحكومتين قالا في برلمانيهما انهما لا يعترفان بما تم وان مصير سورية منوط بمجلس السلم الأعلى وزاد رئيس بريطانيا قائلاً ان على الأمير فيصل ان يأتي ويبسط قضية بلاده امام هذا المجلس ولقد أرسل الملك برقية لهذا الرئيس يقول انه على استعداد للسفر بشرط الاعتراف ولو مبدئيا باستقلال سورية وملكيته عليها فلم يتلق جوابا .

كتابة فيصل لويلسون دون جواب

وأرسل الملك الى الرئيس ويلسون مذكرة ايضا شرح له فيها ما تم وكونه تعبيرا عن رغبة الشعب السوري التي ابداها للجنة الاستفتاء التي ارسلها واستنادا الى المبادىء التي كان اعلنها بحق الشعوب في تقرير مصيرها . ولم يتلق جوابا من ويلسون من جهة وقامت حركة في الولايات المتحدة ترمي الى حمل حكومتها على عدم الاستمرار في مشاركة اوروبا في خطواتها وخططها السياسية لأن اوروبا الحليفة اخلت بالمبادىء التي نادت بها الولايات المتحدة بلسان رئيسها من جهة اخرى .

موقف السلطات الافرنسية في بيروت ولبنان ونشاطها ضد القرار

ولقد كان رد السلطات الافرنسية في لبنان على ما جرى في دمشق شديدا حيث حملت مجلس ادارته على وضع قرار فيه احتجاج على قرار المؤتمر السوري واعتبار ما جاء فيه في صدد لبنان تدخلا غير مشروع في شؤون لبنان ورفع هذا القرار الى المندوب السامي القائد العام الجنرال غورو وطلب منه ابلاغه الى مجلس السلام الأعلى وحملت البطرك الماروني ايضا على رفع احتجاج مماثل مع التذكير بمذكرته التي رفعها الى مؤتمر السلم والتي تضمنت رغبة لبنان في الاستقلال مع ضم الأقضية الأربعة وحماية فرنسة ومع انكار تمثيل من حضر المؤتمر من اللبنانيين للبنان وحملت مجلس بلدية طرابلس الشام على اصدار بيان ينكر حق الذين شهدوا المؤتمر من الطرابلسيين بتمثيل طرابلس ولبنان والكلام عنهما وينكر على المؤتمر شرعيته ولقد كان من طرابلس وحدها ستة مندوبين في المؤتمر من وجهائها ومثقفيها وأولي الشأن والبروز فيها وكانوا يحملون مضابط عليها مئات التواقيع بانتدابهم للمؤتمر ومنحهم الكلام باسم البلد .

وكان من يرون مثل هذا العهد بهذه الصفات ايضا فضلا عن عدد غير يسير من جبل لبنان دُروزه ونصاراه فكان ذلك حجة قوية على لبنان والمدن الساحلية وكان من اجل ذلك ما كان من مسارعة الانكار عليهم واذاعت السلطات الافرنسية بيانا نفت فيه ما يشاع من ان ما تم في اجتماع دمشق وقرارها كان بموافقة فرنسة وقالت ان مصير سورية ولبنان هو من شأن مؤتمر السلم الأعلى .

ابتهاج المسلمين في لبنان وبيروت والسواحل وخطبة خطبائهم وموقف السلطات الشديد ضد ذلك

ولقد ابتهج المسلمون في بيروت وغيرها من انحاء لبنان والسواحل المحتلة ابتهاجا عظيما بقرار المؤتمر وبادر بعض خطباء مساجدها الى ذكر الملكين حسين وفيصل في خطبهم والدعاء لهم فجن جنون السلطات واعتقلت الخطباء ونفتهم الى جزيرة ارواد واستدعت خطباء المساجد ونبهت عليهم بان لا يذكروا في خطبهم الا السلطان الخليفة محمد وحيد وكان في الآستانة اسيرا او حليفا للحلفاء الذين كانت قواتهم تحتلها فثارت ثائرة المسلمين وتظاهروا احتجاجا وتظاهر اهل الشام احتجاجا وتأييدا حتى اضطرت السلطات الافرنسية الى الاعتذار واطلاق سراح المنفيين من الخطباء واذاعت بيانا تنصلت فيه من التدخل في شؤون المسلمين المدنية واتهمت سورية بقصد إثارة الاضطرابات والبلبلة في لبنان والسواحل ومع ذلك فانها ظلت في شدتها ازاء الحركات الاسلامية واخذت من جهة اخرى تحشد قواتها على حدود سورية وتهدد وتنذر .

موقف المؤتمر من تصرفات السلطات الافرنسية

ولقد كان لكل ذلك رد فعل في المؤتمر السوري فطلب بعض الأعضاء تخصيص جلسة لمناقشة الموقف واستحاب الرئيس وتبارى الأعضاء في الجلسة في التنديد بالسلطات الافرنسية وبتوكيد ثورة لبنان والسواحل ممثلة برجالات مخلصين من ابنائها مؤيدين من جمهور بلادهم على اختلاف مللهم وقالوا ان هذا هو ترديد لما كان من موقف المسلمين وكثير من النصارى حينما جاءت لجنة الاستفتاء الاميركية حيث تقدموا بعرائض تطلب الاتحاد مع سورية والاستقلال التام لسورية بحدودها الطبيعية ومنها لبنان على مرأى ومسمع من السلطات الافرنسية وعلى رغم ما كان من قمع هذه السلطات وشدتها على ما ذكرناه سابقا .

ابتهاج عرب فلسطين بالقرار وعدم تحرش الانكليز بهم

ولقد كان ابتهاج العرب في فلسطين على ما بلغنا في دمشق وهم الأكثرية الساحقة عظيما بقرار المؤتمر وقد رفعوا الاعلام وزينوا ورغم ما كان من موقف الحكومة البريطانية السلبي من قرار المؤتمر واعتراضها بخاصة على حقه في الحديث عن فلسطين فان السلطات في فلسطين لم تتحرش بالناس فلم يتعكر ابتهاجهم .

استياء اليهود من القرار ومساعيهم ضده

وكان للقرار رد فعل شديد على اليهود زاد في ابتهاج الناس ايضا ولقد حملوا في صحفهم على القرار وطالبوا الحكومة الانكليزية بالوقوف موقف الشدة كما طالبوا انصارهم في بريطانيا وفرنسة بمثل ذلك .

سؤال المؤتمر للحكومة عن ما لمحه من تقصيرها وجوابها

ولقد ألمح بعض اعضاء المؤتمر في خطبهم الى موقف التقصير واللامبالاة الذي تقفه الحكومة ورئيسها تجاه شدة السلطات الافرنسية في لبنان والسواحل وحشدها القوات على حدود سورية وقرر المؤتمر بناء على ذلك توجيه سؤال للحكومة عن ما جرى ويجري في لبنان من السلطات الافرنسية وعن حشودها قواتها على الحدود السورية ولا مبالاة تجاه ذلك ولا سيما لا مبّالاتها بما ترسله من شحنات بطريق سكة حديد رياق حلب اي عبر البلاد السورية الى كليكيا حيث كان فيها بعض القوات الافرنسية وكانت عناصر تركية وعربية تقوم ضدها بحركة كفاح مسلح ومن ذلك حركة عصابات صبحي بركات وابراهيم هنانو التي ذكرناها قبل وجاء احد

الوزراء الى المؤتمر وأظن انه يوسف الحكيم بعد أيام وتلا على المؤتمر جوابا عن اسئلته قيل فيه فيما قيل ان الحكومة لم تسكت عما جرى في بيروت وغيرها وانها احتجت وان السلطات الافرنسية تراجعت واعتذرت وان خبر تحشيد قوات على حدود سورية لا أصل له وان الحكومة تبذل جهدها ونشاطها في سبيل تحقق رغبات الأمة وانها تأمل ان تبلغ المؤتمر بأقرب وقت نتيجة مساعيها .

توزيع الانتدابات في سان ريمو وتعليق عليه

ولقد اجتمع مؤتمر السلم في سان ريمو في أواخر نيسان ١٩٢٠ وقرر توزيع الانتدابات ضاربا بما تم في سورية وبما قرره مؤتمر العراق عرض الحائط ومتنكرا لما كان قرر في ميثاق عصبة الأمم من حق الشعوب في تقرير مصيرها ولما كان من السوريين والعراقيين من تقرير ذلك بلسان مؤتمريهم فقرر فرض الانتداب الافرنسي على لبنان وسورية والانتداب الانكليزي على فلسطين وشرق الأردن والعراق فكان ذلك تتويجا لغدر الحلفاء بالعرب وتآمرهم على بلادهم والذي بدأ في اثناء الحرب وقبل ان يجف مداد عهود بريطانيا للحسين وفي اثناء ما كان العرب يقاتلون ويضحون بدمائهم في نصرتها ونصرة الحلفاء وسجلوا على انفسهم في قرارهم هذا عار الكذب والخديعة والمتاجرة بدماء العرب وثقتهم بهم . والظاهر ان ما كان من اجتماع مؤتمري السوريين والعراقيين في دمشق وقرارهما باعلان الاستقلال التام لكل من العراق وسورية بحدودهما الطبيعية ورفض كل وصاية وانتداب ورفض وعد بلفور والدعاوى الصهيونية وتعيين فيصل وعبد الله ملكين عليهما جعل فرنسا وبريطانيا تتفاهمان على توزيع الانتدابين وتتضامنان في الحصول عليهما من عصبة الأمم حتى تصبح كل منهما حرة في العمل في منطقة انتدابها متسلحة بقرار مؤتمر السلم من جهة ولئلا يطول الأمر فيحدث ما لا تحمد عقباه في العراق وسورية من جهة اخرى دون مبالاة بما في ذلك من غدر ونقض لوعديهما باحترام رغبات اهل البلاد .

برقية من اللنبي لفيصل تبليغ قرار الانتداب ودعوته الى أوروبا

وقد أبلغ قرار الانتداب لفيصل ببرقية من الجنرال اللنبي جاء فيها ان حكومته امرته بتبليغه قرار الحلفاء بالاعتراف بسورية والعراق دولتين مستقلتين على ان تكونا تحت انتداب دولة مساعدة لهما وان مهمة الانتداب على سورية اوكلت لفرنسا وعلى العراق لبريطانيا وان حكومته تشعر شعورا قويا بأن الوقت قد أزف للوصول الى خطة تأتلف بها مطالب الشعب السوري مع هذه القرارات . وطبعا قصد في كلمة سورية بسورية الداخلية فقط ومما جاء في برقية

اللنبي تذكير لفيصل بأنه كان كتب للحكومة البريطانية باستعداده للسفر الى اوروبا بشرط الاعتراف باستقلال سورية ثم قال له ان حكومته مستعدة بناء على القرارات المتخذة اخيرا للاعتراف مبدئيا بسموه رئيسا لدولة سورية المستقلة الا انها تعتقد ان قضية ملكيته ينحصر البت فيها رسميا في مؤتمر الصلح وحده وأنها لذلك تلح على سموه بان يأتي الى أوروبا بدون ابطاء ويبسط قضيته امام المؤتمر الذي سوف يجتمع في باريس في آخر شهر مارس ١٩٢٠ وهي تأمل ان يجد سموه السبل لحضور المؤتمر ويعود اللنبي فيلح عليه بضرورة الاسراع في السفر ويقول ان حكومة جلالته راغبة في اعطاء آماله وأمانيه الاعتبار التام ومنحه الفرصة لبسط قضيته .

احتجاج الحكومة على الانتداب وعلى سلخ شرق الأردن ودمج وعد بلفور في انتداب فلسطين

ولقد سارعت الحكومة السورية إلى تسجيل احتجاجها على الانتداب فأرسلت للحلفاء مذكرة تصف قرارات الانتدابات افتئاتا على استقلال سورية التام الذي قرره ممثلوها الشرعيون ونقضا للوعود المقطوعة والتصريحات المنشورة المتوالية باحترام رغبات الشعب واحتجت بخاصة على قرار انتداب بريطانيا على شرق الأردن وفلسطين الذي يعني سلخهما عن امهما سورية وعلى دمج وعد بلفور في قرار انتداب بريطانيا على فلسطين وتوكيد رفض ذلك كله كما احتج محمد رستم حيدر بصفته مندوبا عن الحجاز في مؤتمر السلم كحليف من الحلفاء ايضا .

الالحاح على فيصل بالسفر وعقبات فرنسا في طريق ذلك

ولقد كان نوري السعيد حينما عاد من رحلته الى اوروبا التي سافر اليها لتسليم رسائل الملك لبريطانيا وفرنسا التي يبلغهما فيها قرار المؤتمر السوري الح على الملك بالسفر الى أوروبا وقال له ان الأوساط الرسمية الانكليزية تلح على ذلك وجاء الحاح الحكومة البريطانية في رسالة اللنبي معززاً لذلك وورد في هذه الأثناء رسالة من محمد رستم حيدر الى عوني عبد الهادي يذكر فيها ان الاعتراف مأمول وان من الضروري والمفيد قدوم الملك فزاد كل هذا عزم الملك على السفر ولكن العقبات التي وضعها المندوب السامي الافرنسي في بيروت على ما سوف نشرحه بعد عطلت تحقيق هذا العزم .

بلاغ فرنسا في مدى انتدابها واقتراحها باستقلال سورية

ثم ورد على الملك بلاغ من رئيس وزراء فرنسا بتاريخ مارس ١٩٢٠ بلغه فيها ان فرنسة

تؤكد اعترافها بأن للأهالي الناطقين باللغة العربية في القطر السوري الحق في حكم انفسهم بأنفسهم شعوبا مستقلة كما قرر مؤتمر السلم وكما كانت فرنسة اذاعته في بيانات سابقة وانها قبلت مهمة الارشاد والمساعدة التي عهد اليها بها مؤتمر السلام لهؤلاء الأهالي وبلادهم لأنهم محتاجون الى ذلك ومحتاجون الى وقت طويل للوقوف بأنفسهم بعد استعباد طويل وخروج من حرب تركت البلاد خرابا وانها ستضمن لهم الاستقلال والحماية من كل اعتداء ضمن الحدود التي يعينها مؤتمر السلم وستنظم شؤون البلاد وادارتها الى ان تصبح قادرة على الوقوف بنفسها .

رد فعل شديد للبلاغ الافرنسي في المؤتمر والشعب

ولقد كان لرسالة فرنسة هذه بنوع خاص رد فعل شديد في المؤتمر وفي الناس عامة وجعلتهم موقنين بأنهم قادمون على موقف عصيب وأنهم لا بد لهم من اعداد واستعداد للمواجهة والدفاع عن استقلالهم وحريتهم واحباط المآرب الاستعمارية الافرنسية .

اسقاط حكومة الركابي وتعيين الأتاسي خلفا له

وكان معظم اعضاء الفتاة يعتقدون ان الركابي لن يسير سيرا جادا في امر الاستعداد والدفاع وكان مستمرا على مواقف المراوغة والاستخفاف بقرارات هيئة الفتاة المركزية وتبليغاتها ثم شاع وذاع امر اهتمامه بالاشتراك مع نسيب البكري للحصول على امتياز استثمار غور الاردن فاجتمع المؤسسون بدعوة من الهيئة التي كنت سكرتيرها في بيت الركابي نفسه ودارت مناقشة حامية صريحة ووجهت تنديدات شديدة للركابي اضطر تحت ضغطها الى اعلان عزمه على الاستقالة وقدم استقالته فعلا في اوائل مارس ١٩٢٠ الى الملك ولم يسع الملك تحت ضغط الظروف الا قبولها ورشحت الهيئة هاشم الأتاسي بديلا له فوافق الملك وعهد اليه برئاسة الوزارة وطلب منه تسمية الوزراء حسب الأصول .

تسمية الشهبندر لوزارة الخارجية ودوافعها وفتور معارضته بعد ذلك

وكان الدكتور عبد الرحمن شهبندر اشد الناس انتقادا وحماسا للدفاع وعدم الاستسلام والمهاودة وقبول قرارات الانتداب ووجوب الاستعداد والوقوف موقفا شديدا فرأت الهيئة ان ترشحه لوزارة الخارجية في الوزارة الجديدة ووافق الملك وهاشم على ذلك . وجريا على الخطة ارسلت الهيئة اليه من يفاتحه في الانضمام للجمعية وتحليفه يمين الاخلاص لها واستجاب وحلف وأظن ان الشيخ كامل القصاب هو الذي تولى ذلك وقد كان وظل غريبا عنها بروحه وقلبه على ما ذكرته في ترجمته ومن الجدير بالتسجيل انه تخلى عن شدته واندفاعه ومعارضته

وانسجم مع الملك والوزارة حتى في قرار الموافقة على قبول الانذار الافرنسي على ما سوف نذكره بعد حيث يبدو انه وهذا مع الأسف شأن كثيرين ـ بعد ان حقق املا في البروز في منصب مهم جنح الى المسايرة للاحتفاظ بما حقق او ان مسؤوليات المركز الرسمي املت عليه موقفاً كان يقف ضده ويرفضه حينما كان حرا غير مسؤول .

تسمية يوسف العظمة لوزارة الحربية واسماء الوزراء الآخرين

وكان يوسف العظمة كذلك شديد الحماس للمقاومة والدفاع ورفض الاستسلام والاستعداد للكفاح فرشحته الهيئة لوزارة الحربية ووافق الملك وهاشم على ذلك وتألفت الوزارة الجديدة من هاشم للرئاسة والداخلية والشهبندر للخارجية ويوسف العظمة للحربية ورضا الصلح رئيسا لمجلس الشورى وفارس الخوري للمالية وساطع الحصري للمعارف وجلال زهدي للعدلية ويوسف الحكيم للتجارة والزراعة .

وفي كتاب الملك الذي وجهه للرئيس بتعيين الوزارة حث على بذل المساعي في تحقيق رغبات الأمة باتخاذ افضل التدابير للدفاع عن الاستقلال المقدس وحفظ الأمن والعمل على تمتين لحمة التضامن بين طبقات الأمة على اختلاف فئاتها ومللها وأديانها .

بيان الوزارة امام المؤتمر ونيلها الثقة على اساسه

وجاءت الوزارة الجديدة الى المؤتمر في الثامن مارس ٩٢٠ وألقت بيانها امامه وقد ذكرت في بدء بيانها ان اساس خطة الوزارة هو تأييد الاستقلال التام الناجز المتضمن في جملة ما يتضمنه حق التمثيل الخارجي والاصرار على الوحدة السورية في حدودها الطبيعية مع رد طلب القسم الجنوبي من البلاد وهو فلسطين وطنا قوميا لليهود ورفض كل مداخلة اجنبية تمس السلطان القومي ثم وعد بالاستفادة من كل طاقات الأمة والبلاد المادية والمعنوية لتنظيم قوة عامة تضمن للبلاد حياتها وكيانها واستقلالها والاهتمام بحفظ الأمن والشدة ضد من يخله . وقد أشير في البيان الى الاعتراف المبدئي باستقلال سورية في قرارات سان ريمو والى قرار الانتداب الذي يتناقض مع استقلال سورية التام ووعد بالسعي في ازالة هذا التناقض وأشير الى تصريحات بريطانيا باستعدادها للاعتراف بالدولة السورية وملكية الملك فيصل عليها . وقال البيان ان مؤتمر السلم سيعقد في أواخر الشهر وان للحكومة الأمل في ان يعيد النظر في قراراته السابقة ويتذكر وعود وعهود الحلفاء للعرب وسورية مع التوكيد على ان قوة الشعب وعزمه الثابت على الدفاع عن الاستقلال والوحدة كفيلان بتحقيق امالنا اذا لم ينصفنا المؤتمر . وقد خطب بعض الأعضاء معقبين ومعلقين على البيان ومشددين على ان يكون الدفاع والاستعداد

له عن استقلال سورية وحدودها الطبيعية واحباط المطامع الاجنبية واليهودية فيها هم أهمّ الأكبر للحكومة . وطلبوا تعهد الحكومة بذلك . ووقف الشهبندر قائلا بحماس ان الوزارة دفاعية وقد قامت للدفاع وستدافع الى النهاية فمنح المؤتمر الحكومة الثقة على هذا الأساس .

وفيما تقدم يظهر ان جميع عناصر الدولة والمؤتمر قد اندمجوا فيما كان وصار شعار الجميع وفي هذا رد آخر على ما وجه اليه فيما بعد من انتقاد هامس وغير هامس .

انتخاب الشيخ رشيد رضا لرئاسة المؤتمر خلفا للأتاسي

وبتعيين هاشم الأتاسي لرئاسة الوزارة خلت رئاسة المؤتمر وجرى انتخاب لها ورشح حزب التقدم رئيسه السيد رشيد رضا ففاز وقد ظل رئيسا الى ان علقت جلسات المؤتمر نتيجة لأزمة الانذار الافرنسي .

ولقد كانت الوزارة السابقة وضعت قانونا للتجنيد الاجباري ولكنها لم تخط خطوة ما في تنفيذه فعدلته الوزارة الجديدة . ووسعته وجعلت التجنيد عاما ومدته سنة بدلا من ستة اشهر وصودق عليه ونشر في ١٧ مارس ١٩٢٠ كما قررت الوزارة فرض قرض وطني بمبلغ نصف مليون دينار ورصده لتنفيذ خطة التجنيد والدفاع ولقي القرض تجاوبا مقبولا .

* * * * *

(٢٣)

شروط فرنسة لتسهيل سفر الملك وموقف الملك منها وخطبه واحاديثه المتساهلة

ولقد كان الملك قد عزم على السفر الى اوروبا بناء على ما تلقاه من دعوة ملحة ومتواصلة من الجانب الانكليزي بنوع خاص في مناسبة انعقاد مؤتمر السلم في باريس في أوائل حزيران او اواخر مارس ولكن السلطات الافرنسية في لبنان اشترطت لاستقباله وتسهيل سفره من لبنان واستقباله في فرنسة ان يعترف مبدئيا بالانتداب الافرنسي ولقد كان الملك فيصل على ما سمعناه منه يفسر الانتداب تفسيرا يزيل عنه الصفة الاستعمارية الكريهة ويجعله غير مخل بالاستقلال ويتكلم في هذا المعنى مع من يعرف تساهلهم ويرون وجوب التساهل .

ولقد أقام مأدبة افطار رمضانية في قصره في أواسط مارس وكنت ممن حضرها والقى خطابا او حديثا مطولا استعرض فيه الموقف وذكر التيارين السائدين واحدهما يرفض اي تساهل ويرى الأكرم والأشرف رفض ما يراه مخلاً بالسيادة والاستقلال ادنى اخلال والموت بشرف وثانيهما يفسر الأمور بتفاؤل ويرى السير في مقابلة الموقف بترو حتى لا تقع الكارثة ولا سيما ان

قوة البلاد ضعيفة والوقت ضيق غير متسع لاعداد قوة كافية وقد خرجت من الحرب منهكة وكان يمزج استعراضه هذين التيارين بمقاطع (أي الاستقلال يؤخذ ولا يعطى) و(لكن يجب اعداد القوة التي تأخذه وهذا يتوقف على وقت وجهد) ثم طلب من الحاضرين وهم وجوه البلاد وزعماؤها وأولو الرأي فيها التروي والاناة وعدم الانفعال . وكان حديثه في الاجمال دعوة الى تفسير الأمور تفسيرا خاليا من التشاؤم والى مداراة الموقف وبالتالي الى عدم التصلب غير ان الجو المشحون بالاستقلال ورفض كل تساهل وبالحقد على غدر الحلفاء او مقاصدهم السيئة رغم ما كان من جهاد العرب وجهودهم وتضحياتهم لم يسمح بتجاوب قوي لكلام الملك وبالتالي لم يسمح بقبول شرط السلطات الافرنسية بالاعتراف مبدئيا بالانتداب لتيسير سفر الملك من لبنان واستقباله في فرنسا ومع ذلك فلقد ارسل الملك نوري السعيد الذي جعل نفسه مقبولا بصورة ما لدى الافرنسيين الى الجنرال غورو المندوب والقائد الافرنسي في بيروت ليحاول ايجاد طريقة مناسبة يتمكن بها الملك من السفر الى اوروبا على امل ان يتمكن من الاتفاق مع فرنسة على تسوية مقبولة ويظهر ان الافرنسيين تخوفوا من عواقب الحاح بريطانيا على فيصل بالسفر ووعدهم بالاعتراف به فقرروا حسم الموقف وتفجيره .

تفجير فرنسة للموقف والانذار الفرنسي الشفوي اولا

فطلب المندوب السامي القائد من نوري السعيد ابلاغ فيصل انذارا بأنهم يعلقون تيسير سفره على تنفيذ ما يلي : ١ ـ السماح للقوات الافرنسية باحتلال محطات سكة حديد رياق . ٢ ـ الاعتراف بالانتداب الافرنسي . ٣ ـ السماح بتداول العملة الورقية الصادرة من البنك السوري اللبناني في المنطقة الداخلية . ٤ ـ الغاء قانون التجنيد الاجباري ووقف تنفيذه .

وزادوا من جهة ثانية حركاتهم وتحشيداتهم العسكرية على الحدود السورية

مذكرات وبرقيات فيصل في صدد ذلك

ورجع نوري السعيد خائبا يحمل الانذار وسارع الملك حينما بلغ الانذار الشفوي الى ارسال رسائل الى قناصل الدول الحليفة في دمشق يبلغها ما بلغه نوري السعيد من انذار فرنسي وما رافق ذلك من زيادة الحشود العسكرية ورفض المندوب الافرنسي تيسير سفره الى اوروبا استجابة لدعوة بريطانيا وفرنسة طالبا من حكوماتهم الحيولة دون سقوط الشعب السوري امام القوة الغاشمة التي هدفت حرب الحلفاء الى منعها وتأليف لجنة تحكيم من دول الحلفاء تعرض عليها المواقف مظهرا استعداده واستعداد شعبه لقبول حكمها ثم ارسل برقيات لحكومات انكلترا وايطاليا والولايات المتحدة وعصبة الأمم يطلب منها التدخل والتوسط لدى فرنسة لمنع

اراقة الدماء ويبدي استعداده للتفاهم بشرط الاحتفاظ على الشرف والكرامة والسفر الى اوروبا استجابة لدعوة بريطانية وفرنسا لعرض القضية على مؤتمر الصلح .

رد فعل الانذار في المؤتمر وسؤاله لحكومته وبيانها الدفاعي

ولقد توتر جو المؤتمر بخبر الانذار وعقد جلسة خطب فيها بعض الأعضاء محتجين منددين وطلبوا حضور الحكومة للادلاء بايضاحات عن الموقف ولبت الحكومة وأرسلت احد وزرائها واظن انه الدكتور شهبندر في ١٣ تموز ١٩٢٠ فألقى بيانا شرح فيه الموقف على النحو الذي اجملناه . ومما قاله الوزير أن الشروط التي بلغناها جاءتنا شفوية فلم نرد ان نجيب عليها ما لم نتلقاها مكتوبة . وهي في حد ذاتها مخالفة لرغائب الأمة وعزمها على المحافظة على استقلالها وسيادتها ومخالفته في الوقت نفسه لروح مقررات مؤتمر السلم . وان الملك طلب من قناصل الدول الحليفة ثم من رؤسائها التدخل والتوسط والتحكيم . واننا لا نرفض المفاوضات للوصول الى حل لمختلف المواضيع وان الملك مستعد للسفر استجابة لدعوة فرنسة وبريطانيا لبسط القضية امام مجلس السلم وبذل الجهد للتفاهم على أي حل لا يمس استقلالنا وشرفنا ويكون قائما على أساس الحق والاستقلال واننا في الوقت نفسه مصممون كل التصميم على الدفاع عن شرفنا وحقوقنا بكل ما اعطانا الله من قوة .

ولقد فكر الملك والحكومة في ارسال وفد الى اوروبا ما دام يوضع في سبيل سفر الملك واستقباله عراقيل ولكن تلاحق الأحداث حالت دون ذلك حيث بادر غورو الى زيادة التحشيدات وامر قواته باحتلال رياق والمعلقة .

الانذار الافرنسي الكتابي وازمته المتلاحقة

واردف ذلك بكتاب بعنوان (صاحب السمو الأمير فيصل) وفي طيه مذكرة فيها توكيد الانذار الشفوي ومطالب جديدة اخرى وقد ناشد غورو (وطنية فيصل واخلاصه لأمته) بقبول الانذار وتنفيذ المطالب حتى ينتهي التوتر بين فرنسة وبين المنطقة الشرقية وفي المذكرة شرح طويل للأوضاع المتوترة بين فرنسة وهذه المنطقة ولمظاهر العداء التي كانت تظهر في مناسبات عديدة ومتنوعة نحو فرنسة واشارة الى احتشاد عدد كبير من اعداء فرنسة في هذه المنطقة وبروزالحركات العدائية نحوها وما يحظون به من رعاية وعناية واشارة الى احتلال جيش سوري لمجدل عنجر خلافا لما اتفق عليه مع كليمنصو سابقا والى حركات العصابات العربية على جنوب لبنان من ناحية مرجعيون وما كان ينتج عن ذلك من سفك دماء نصارى لبنان وارهابهم وازعاج القوات الافرنسية والى حركات العصابات التي تزعج القوات الافرنسية في شمال سورية

مع ذكر أسماء كثيرة لأعداء فرنسة في دمشق واشارة الى رفض سورية لاستعمال فرنسة خط حديد رياق ـ حلب لتموين قواتها في كليكيا والى الاصرار على رفض الانتداب الذي عهد به مؤتمر السلم الى فرنسة والذي يقصد به مساعدة سورية وتنظيم أمورها الخ . . وانتهت المذكرة بالمطالب الآتية : ١ ـ التسليم بحق فرنسة بالتصرف المطلق بسكة الحديد رياق وحلب ووضعها تحت امرة القوات المسلحة الافرنسية ٢ ـ السماح باحتلال حلب كعملية وقائية من رد فعل تركي . ٣ ـ الغاء التجنيد الاجباري وتسريح القوات النظامية واعادة الجيش الشريفي الى حجمه الذي كان عليه في ١ كانون الأول ١٩١٩ . ٤ ـ قبول الانتداب الافرنسي الذي يحترم استقلال اهالي سورية ولا يناقض مبدأ الحكم بسلطة سورية تستمد شرعيتها من ارادة الشعب والذي ليس هو الا مساعدة ومعاونة ولا يعني استعمارا ولا الحاقا ولا ادارة وحكما مباشرة . ٥ ـ قبول وتداول العملة الورقية ٦ ـ تأديب المجرمين واعداء فرنسة الشديدين وجاء في نهاية المذكرة ان هذه الشروط يجب ان تقبل وتنفيذ جملة بدون تجزئة وخلال اربعة ايام من منتصف ليل ١٥ تموز ١٩٢٠ واذا جاء من سموكم قبل انقضاء الموعد اعلان يشعر بقبولها فينبغي ان تكون اوامرك قد صدرت في نفس الوقت الى السلطات المختصة بعدم معارضة جنود فرنسة الزاحفة لاحتلال المواقع المشار اليها سابقا ويجب ان يؤيد قبول الشروط كتابيا قبل ١٨ تموز ١٩٢٠ وان يتم التنفيذ الكامل قبل ٣١ تموز ١٩٢٠ وفي هذه الحالة ستكتفي فرنسة بهذه الشروط المعتدلة واذا لم يستلم المندوب السامي القائد العام جوابا فيه موافقة على هذه الشروط فستكون فرنسة مطلقة اليد في العمل ولا تتحمل مسؤولية المصائب التي قد تحل بالبلاد وانما تتحملها حكومة دمشق وتطرفها الذي لا انظر اليه إلا اسفاً ولكني مستعد لمواجهته بعزم لا يتزعزع .

قرار مجلس الادارة اللبناني وأثره في تعجيل الانفجار

ولقد كان حادث قرار مجلس ادارة لبنان المطالبة بالاستقلال التام والاتحاد الاقليمي مع سورية الذي كان ضد خطط وآمال فرنسة والذي وقعته أكثرية اعضاء المجلس خلسة وأخذت منه نسخة موقعة وحاولوا الخروج تسللا به من بيروت الى دمشق فأوروبا الذي أثار السلطات الافرنسية في بيروت اشد اثارة وجعلها تترصد الأعضاء وتعتقلهم وتحاكمهم وتحكم عليهم بالغرامات والنفي وترسلهم منفيين الى كورسيكا والذي أثار حماسا وابتهاجا عظيمين في دمشق ودويّ في لبنان وسورية معا كان في هذه الظروف اي في ١٠ تموز ١٩٢٠ على ما ذكرناه قبل وقد استطاع بعض الضالعين فيه ان يفلتوا ويصلوا الى دمشق فالمتبادر ان هذا الحادث زاد في حنق السلطات الافرنسية ضد سورية اعتقادا منها انه كان لعملائها او على الأصلح لاعداء فرنسا اصبعا في تفجير الموقف .

اثر الانذار الشديد في دمشق ومسلسل الأحداث التي كانت بعده الى نهايتها

ولقد هز الانذار الكتابي الشديد الاعصاب والأفكار هزا عنيفا وأثار اضطرابا وتوترا شديدين وانقساما في مختلف الأوساط وعاشت دمشق بالدرجة الأولى وسورية بالتبعية الأيام العشرة التي اعقبته في حالة هياج وغليان وتوتر وبلبلة شديدة وهذا شريط مسلسل لما وقع هذه الأيام التي عشنا في اهوالها مع التنبيه الى ان التسلسل ليس متتابعاً توقيتياً فقد كانت الفترة قصيرة والأحداث متداخلة .

برقيات فيصل

١ ـ أرسل سكرتير الملك عوني عبد الهادي بأمر الملك برقية الى ممثلي الدول في دمشق يبلغهم نص الانذار ويناشد حكوماتهم الوقوف في جانب الحق وعدم السماح للقوة الغاشمة بنسف استقلال سورية الذي كان تحقيقا لرغباتها التي اعلنت حكومات الحلفاء احترامها لها والذي حاربت سورية والعرب الى جانب الحلفاء في سبيله ومنع سفك الدماء ولكن البرقية بقيت بدون صدى .

رأي اللنبي في قبول الانذار

٢ ـ وكان اللورد اللنبي قائد الحلفاء في فلسطين في هذا الظرف فأرسل الملك الأمير عادل ارسلان الى فلسطين ليشرح له الموقف ويتصل بالدول الأوروبية ويسأله رأيه في الانذار قبل البت في الأمر رفضا او قبولا وعلم الملك بأن رأي اللورد اللنبي هو قبول الانذار والتفاهم مع فرنسة ولقد كان الملك في قرارة نفسه يميل الى هذا على ما ظهر منه سابقا من مواقف وفي مناسبة اتفاقية كليمنصو وشرحناه قبل فزاده رأي اللنبي ميلا الى ذلك .

نشاط اللجنة الوطنية

٣ ـ وكان رد فعل الانذار واحتمالات قبوله شديدا في اوساط الشعب المحقون بأشد الحقد والكراهية لفرنسة وقد اجتمعت اللجنة الوطنية الشعبية الدفاعية التي كانت تألفت في ظل استبدال الحاميات تحت رئاسة الشيخ كامل القصاب والتي كان قوامها ممثلو الأحزاب الوطنية والأحياء وكنت انا فيها ممثلا لحزب الاستقلال على ما شرحته قبل فقررت اكثريتها وجوب رفض الانذار والدفاع بكل ما يمكن ودعوة الشعب الى بذل المال والنفس في سبيل ذلك وتكررت اجتماعاتها في سبيل التوعية واعلان رأيها .

الهياج والمظاهرات وحادث الهجوم على القلعة

وتكررت التظاهرات الشعبية حيث كانت تقوم كل يوم صاخبة غاضبة مطالبة برفض الانذار والدفاع ومعلنة استعدادها للبذل والتضحية وكانت المظاهرات تأتي الى بناية المؤتمر حينما يكون في حالة انعقاد لتدارس الموقف لتشد من عزيمة جبهة الرفض فيه وكانت آخر المظاهرات بعد قبول الانذار على ما سوف نشرحه بعد وهاجم المتظاهرون ليلا القلعة ونهبوا ما في مخازنها من سلاح واطلقوا سراح المسجونين فيها وكان اشتباك بينها وبين قوى الأمن وباتت دمشق ليلة ٢٠ تموز ١٩٢٠ في رعب وفزع وغليان عظيم وكانت اصوات الرصاص والمتفجرات تهز الاسماع فتزيد الرعب والفزع وقد وقع نحو ٢٠٠ قتيل وجريح في الاشتباك من الطرفين فزاد ذلك من الهول والفزع وعقدت اللجنة الوطنية اجتماعها الأخير بعد ذلك ونشرت بيانا بالرفض وانذار الحكومة وتحميلها مسؤولية قبول الانذار الجسيمة .

اعلان الادارة العرفية

٤ ـ وتحسبت الحكومة من عواقب هياج الشعب وتوسعه فأعلنت الإدارة العرفية التي تسمح بحكم البلاد بقوانين وقواعد فوق العادة وبحكم عسكري وتتعطل بها القوانين العادية العائدة للأمن والجرائم ولكن ذلك لم يمنع الشعب من موالاة مظاهراته وصخبه وكان من ذلك الهجوم على القلعة وما جرى في أثنائه الذي ذكرناه آنفاً .

اجتماع مؤسسي الفتاة وانقسام الرأي فيها في الموقف

٥ ـ وطلب اعضاء الفتاة المؤسسون من الهيئة المركزية التي خلفت هيأتنا عقد اجتماع عام وتم ذلك وكان انقسام في الرأي بين الرفض والتروي والقبول وكانت اكثرية الهيئة التي كان الركابي ركنها الأقوى في جانب التروي والقبول .

اكثرية المؤسسين في جانب رفض الانذار ومنطلقهم في ذلك

ولكن اكثرية المؤسسين كانت في جانب الرفض والمقاومة وكنا منهم . ولقد كانت حجتنا هي اعتقادنا بأن فرنسة سوف تسير في سورية كما تسير في تونس والجزائر والمغرب التي جاءت اليها بحجة المساعدة ثم صارت فيها سيرة استعمارية احتكارية استيطانية مع شدة القمع والقسوة والارهاب سواء أكان دخولها سورية نتيجة لقبول الانذار أم بالقوة عنوة وكنا نعرف ان قوتها متفوقة عدة وعددا وانما اندحار القوة السورية والمقاومة السورية هو الغالب ولكن ما دامت

النتيجة واحدة فان الاكرم والأشرف ان نرفض وان ندافع لأننا نكون قد سجلنا موقفا قوميا ابيا كريما ويكون ما تفعله فرنسة في سورية مستندا الى القوة الغاشمة وحسب ويكون لسورية حق استئناف الكفاح بكل اسلوب في حين اننا اذا قبلنا نكون كمن اسقط حقه في الكفاح ورضي بذلك المصير المشؤوم وكان الى هذا احتمال صمود القوة العربية مدة ما وردفها بقوى شعبية متطوعة في الميدان وفي شكل عصابات جانبية وكان من شأن ذلك لفت نظر العالم الأوروبي وحمله على التدخل في الموقف لايجاد حل فيه كرامة وشرف استنادا الى ما يلمس من تقزز الأفكار الأوروبية من اي حركة حربية جديدة بعدما قاسى العالم ما قاساه من ويلات الحرب وبلائها ولا سيما ان ما تكون سورية قد فعلته هو حق شرعي مسلم به بما نادى به الحلفاء كهدف للحرب وهو منح الشعوب حق تقرير مصيرها واحترام رغباتها وقد أظهرتها سورية قوية اجتماعية بالاضافة الى ما كان من جهودها وجهادها والثورة العربية التي ساهمت في نصر الحلفاء مقابل وعود وعهود بالاستقلال والحرية وتحقيق المصالح القومية . وكان يوسف العظمة يقول ان في الامكان بما هو متيسر من قوة حربية نظامية وما هو محتمل من ردفها بالقوة الشعبية الوقوف في وجه الغزاة مدة ما . وهذا المنطلق كان نفس المنطلق الذي انطلق منه الرافضون لاتفاقية كليمنصو وعلى ما شرحناه قبل .

الأحداث اثبتت صدق المنطلق

ولقد اثبتت الحوادث صدق منطلقنا واعتباراتنا فقد قبل الملك ورجال الحكومة انذار غورو وسرحوا الجيش وسحبوا تحصينات مجدل عنجر فلم يفدهم هذا شيئا بل استغله غورو في القضاء النهائي على عهد الاستقلال ثم امعن هو والسلطات الافرنسية في سورية قمعا وقسوة وتصرفا مطلقا في مختلف الشؤون وجنحت فيما جنحت اليه الى تقسيم سورية الى دويلات طائفية واقليمية وذهب كل ما زُوّق به الانتداب ووصف به من نعومة هباء وسرابا وكان هذا المسلك هو مسلكها في لبنان قبل الغزو وبعده ايضا . وكان لبنان قابلا بل مرحبا بالانتداب الافرنسي غير رافض ولا مقاوم له وقاست سورية ولبنان طيلة ربع قرن ما قاسته من سوء تصرف وقسوة واحتكار وحكم مطلق ولم تتخلص منه سورية الا بالكفاح المسلح والمقاومة المستمرة بالأساليب المتنوعة .

موقف المؤتمر واكثريته في جانب الرفض والبيانات التي اذاعها

٦ ـ ولقد عقد المؤتمر السوري جلسات عديدة في هذه الفترة وقررت اكثريته في اولى الجلسات رفض الانذار والدفاع والمقاومة حتى النهاية وقررت اذاعة بيان باسم المؤتمر يقول فيها

يقول انه لا يحق لأي جهة ان توافق على اي اتفاق ولا تبرم اي اتفاق بدون موافقته وان ذلك اذا وقع يكون باطلا لأنه ضد رغبة الشعب الذي يمثله وارسل الى الملك وفداً يبلغه قراره هذا وقرر اذاعة بيان ثان يحمل فيه الحكومة مسؤولية التهاون في الدفاع والتفريط باستقلال البلاد وشرفها وفي جلسة من جلساته طلب من الحكومة الحضور لايضاح الموقف فلم تلب فقرر اذاعة بيان يتنصل فيه باسم الشعب من كل اتفاق وعقد تبرمها الحكومة فيهما موافقة على قبول الانتداب والخضوع للانذار وقال في هذا البيان ان الحكومة لا يجوز لها ذلك لأنه خروج عن قرارات المؤتمر بالاستقلال التام ونقض لبيانها الذي اخذت من المؤتمر الثقة على اساسه وحملها مسؤولية ذلك .

قرار الحكومة بتعليق المؤتمر

ولقد قررت الحكومة بعد قبولها الانذار على ما سوف يأتي شرحه تعليق جلسات المؤتمر وجاء وزير الدفاع يوسف العظمة الى المؤتمر وتلا مرسوما ملكيا بتعليق جلساته لمدة شهرين نظرا للظروف الحاضرة وكان المؤتمر قبيل ذلك اصدر بيانه الأخير الذي ذكرناه .

سفر كثير من أعضائه الى بلادهم

وقد سافر كثير من أعضاء المؤتمر بعد ذلك الى بلادهم ومنهم أكثر المندوبين الفلسطينيين ومن جملتهم صديقنا وزميلنا ابراهيم القاسم عبد الهادي وزميلنا عادل زعيتر كما أخذ كثير ممن كان موجوداً في دمشق من الفلسطينيين وغير الدمشقيين من غير أعضاء المؤتمر الذين كانوا أتوا الى دمشق لأسباب ودوافع متنوعة في الانصراف الى بلادهم بسبب تأزم الموقف واحتمالات تفاقمه .

انقسام الحكومة في الرأي واكثريتها في جانب القبول

٧ ـ ولقد انقسمت الحكومة الى فريقين فريق اكثريته قابل بالانذار والتسليم وعلى رأسه الملك وفريق رافض داع الى الدفاع والمقاومة وكان يوسف العظمة من هذا الفريق ولست الآن متأكدا مما كان الشهبندر وساطع من الفريق الأول أو الثاني وان كان ما أعرفه فيهما يجعل القول انهما من الفريق الثاني أكثر احتمالا وكان ميل أكثرية الحكومة الى القبول والتسليم مما يشجع الملك عليهما أيضاً .

دعوة الملك لمؤسسي الفتاة والمؤتمر ومحاوراته لهم

٨ ـ ولقد دعا الملك اعضاء الفتاة المؤسسين ثم دعا اعضاء المؤتمر وتحاور معهم وكنت ممن

حضروا واشتركوا في الحوار وقد ثبتت اكثرية كل من الفريقين على موقفه بالرفض وايجاب المقاومة والدفاع بقدر المستطاع وشرحوا ما ذكرناه من منطلقات واعتبارات .

محاورات الملك مع الشخصيات الأخرى

٩ ـ ولقد كان الملك يستدعي شخصيات عديدة من غير الفتاة والمؤتمر ويتحاور معهم ايضا وكان منهم فريق في جانب القبول وفريق في جانب الرفض والمقاومة وكان وجهاء دمشق ورجال المال والاقتصاد في الجانب الأول .

موقف الهاشمي ورأيه في عدم امكان الدفاع

١٠ ـ ولقد كانت الحكومة والملك كلفوا ياسين الهاشمي يتولى قيادة الدفاع عن دمشق وقيادة جبهة عنجر ولكن الهاشمي اعتذر عن المهمة وزاد فقال ان ما هو متوفر لدى الجيش من سلاح وعتاد وجنود لا يمكن ان يجدي في اي عملية دفاعية .

اجتماع كبار الضباط والجيش والمتقاعدين وتأييدهم لرأي الهاشمي

ومع ان هذا القول لم يكن مفاجئا فقد سارع الملك عند سماعه الى دعوة كبار ضباط الجيش وكبار الضباط المتقاعدين الموجودين في دمشق وطلب منهم درس الأمر مع الهاشمي موضوعياً وعسكرياً واجتمعوا ودرسوا وانتهوا الى تأييد ما قاله الهاشمي وقالوا ان ما عند الجيش من عتاد لن يمكّن من الصمود اكثر من ساعات قليلة حتى في حرب غير جدية اما اذا وقف الفرنسيون جادين فلن تكون مقاومة اكثر من دقائق قليلة رغم ما قاله يوسف العظمة من ان بالامكان الصمود مدة اطول وان من المحتمل ان يتطور الأمر خلال ذلك ويقوم كفاح شعبي مسلح وان يكون لذلك اثر في الموقف السياسي .

قرار الملك والحكومة بقبول الانذار

١١ ـ وجاء رأي المجلس العسكري حاسماً بالنسبة للملك والحكومة فقرروا قبول الانذار وكان منطلقهم ان في القبول تفاديا لكارثة تحيق بسورية من جراء الحرب وويلاتها ونتائجها واندمج في القبول ومنطلقه واسبابه يوسف العظمة وساطع الحصري والدكتور الشهبندر مع انه كان يسعهم ان يسجلوا معارضتهم او يستقيلوا حيث يبدو انهم قنعوا بما قنع به زملاؤهم وظللت وما زلت اعتقد انه كان من واجبهم الاستقالة والانسجام مع قناعتهم بالرفض والمقاومة ولقد ترتب

على قبول الملك والحكومة نتائج مريرة ومنها الاسراع في تنفيذ حل الجيش وسحب تحصينات مجدل عنجر ، واغتنام غورة الفرصة وامر جيشه بالزحف نحو ميسلون ثم احتلال دمشق الباغي بعد معركة ميسلون الشعبية على ما سوف يأتي شرحه .

كتاب فيصل الى غورو بذلك وجوابه بوجوب التنفيذ

١٢ ـ وأرسل الملك في ١٨ تموز ١٩٢٠ الى غورو كتابا بواسطة المعتمد الافرنسي العسكري يعلن عن قبول الانذار وجاءه جواب في ١٩ تموز يذكر استلام الكتاب ويقول انه ليس المطلوب الآن تبليغ قبول الانذار وانما التنفيذ الفعلي للمطالب التي يجب ان يبدأ في ١٨ تموز وينتهي في ٣١ منه حسب ما جاء في المذكرة ثم قال المندوب في جوابه انه يمدد وقت البدء يوما ويجب ان يتلقى الجواب مع بدء التنفيذ قبل ٢١ تموز ووعد بأن لا يحرك الجيش نحو الشام الا في هذا التاريخ .

جواب الملك بالموافقة واسراعه في التنفيذ

١٣ ـ وارسل الملك جوابا بواسطة المعتمد الافرنسي قال فيه (رغبة في انقاذ شعبي من ويلات الحرب واملا في انشاء سلم موطد لا يتسنى الا بالاحتفاظ بصداقة الحلفاء ومودتهم وخاصة مودة فرنسة اقبل مطالبكم المذكورة في مذكرتكم المؤرخة في ١٤ تموز وقد صدرت الأوامر بتنفيذها) . وفعلا فقد صدر امر الملك بتسريح الجيش النظامي فسرح وسحب القوات والتحصينات من جبهة عنجر فسحبت وامر بفض المؤتمر وامر باعطاء الأوامر لمحطات سكة الحديد رياق ـ حلب بأن تكون تحت تصرف القوات الافرنسية ثم كُتبتْ مذكرة جوابية فيها اخبار ما تم تنفيذه ووعد بالاستمرار على اتمام التنفيذ في الموعد المحدد وسُلّمت المذكرة للمعتمد الافرنسي في دمشق وأرسل هذا برقية لغورو ينبئه فيها بانه استلم المذكرة الجوابية المطلوبة من الحكومة السورية وارسلها اليه بالبريد .

زحف القوات الافرنسية بحجة عدم وصول خبر التنفيذ

١٤ ـ ولكن غورو امر جيشه بالزحف في ٢١ تموز بحجة انه لم يصل اليه خبر بدء التنفيذ وطير الملك برقية لغورو احتج فيها على الزحف ونعته بأنه خرق للوعد رغم انه اعلم بقبول مطالبه وبدء بتنفيذها وطلب منه توقيف الزحف وسحب الجيش ولم يأبه لذلك واصر على موقفه وأرسل الملك الى حكومات الحلفاء بواسطة قناصلها برقية شرح فيها الموقف وطلب منها التدخل ولكن لم يكن ذا جدوى .

ارسال ساطع الحصري وجميل الالشي لغورو وعودتهما خائبين واصرار غورو على الوصول الى ميسلون وطلباته الجديدة مستغلا الانهيار الحكومي

١٥ ـ وأرسل الملك في نفس الوقت ساطع الحصري وجميل الالشى ومعهما المعتمد الافرنسي الى غورو ليناقشوه في الموقف فزعم ان البرقية التي سلمها المعتمد لدائرة البرق لم تصل اليه إلّا متأخرة وبعد الزحف وجادله ساطع وقال له ان الملك على كل حال أرسل اليه جواباً يخبره بالقبول ووصل اليه وانه ارسل اليه جوابا يخبره بوصول جواب الملك ولكنه قال ان ذلك لم يكن كافيا لأنه كان ينتظر جوابا بالتنفيذ وهذا تأخر عليه وانه لا يستطيع ان يوقف زحف الجيش الا عند ماء ميسلون ووافق على تأخير استمرار الزحف بعد ذلك بشرط ان تذيع الحكومة بيانا تعذره وتبرر زحف الجيش وان تباشر حالا بجمع السلاح من ايدي مسرحي الجيش والأهالي وان تقبل فورا ببعثة افرنسية للاشراف على التنفيذونزع السلاح والاشراف على شؤون الحكومة الادارية والعسكرية والاقتصادية والتعليمية وان هذه الشروط الجديدة واجبة القبول حالا وانها اذا لم تقبل وتنفذ جميعها فيكون له حرية التصرف . ومما لا ريب فيه ان غورو لا يمكن الا ان يكون عرف ان الحكومة السورية بدأت بالتنفيذ فضلاً عن انه استلم جواب فيصل يقينا بالقبول ولكنه استغل بلؤم ونذالة هلع الحكومة وانهيارها وتسريح الجيش وسحب القوات من مجدل عنجر وهدم تحصيناتها فصمم على احتلال دمشق والقضاء على العهد الفيصلي وقد عاد ساطع وهو مقتنع بذلك . ومما لا ازال اذكره ان ساطعا شكى من تصرفات رفيقه الالشى وارتاب في انه ضالع بشكل ما مع الافرنسيين (وقد ذكر ساطع هذا في كتابه يوم ميسلون الذي فيه تفصيل لمسألة الانذار الافرنسي وتطوره ورحلته بالاضافة الى ما فيه من نصوص كثيرة من البيانات والمذكرات التي مرت الاشارة اليها) .

كلمة عن جميل الالشي

وجميل الالشى هذا متخرج من الكلية الحربية العالية في زمن الدولة العثمانية اركان حرب وكان ضابطا في الجيش العثماني وعهد اليه في اوائل الحرب في دمشق بتخريج ضباط احتياط شباب العرب المتخرجين من المدارس العالية وكانوا يسمون (الخدمة المقصورة) وبعد دخول فيصل لدمشق اندمج في عهده وكان ممن ارسلهم فيصل مع شكري الأيوبي الى بيروت في اول هذا العهد على ما ذكرناه قبل وفي بيروت رأيته لأول مرة حينما ذهبت الى سراي الحكومة لمقابلة الدكتور احمد قدري الذي كان هو الآخر جاء مع الأيوبي ثم رأيته بضع مرات في دمشق ولم يقم بيننا تعارف ولا صداقة وقد عينه فيصل معتمدا عسكريا لدى السلطات الافرنسية في

بيروت وكان مع رفيق التميمي على ما ذكرناه سابقا ويبدو انه صارت له صلات حسنة مع هذه السلطات فكان ذلك مما جعل فيصل يرسله مع ساطع وحسب ما ذكره ساطع في مذكراته وشكى أنه لم تكن هذه الصلات بريئة ولقد ظهر مصداق هذا بعد الاحتلال الافرنسي حيث كان وزيرا للحربية في الوزارة التي عينها فيصل قبل مغادرته دمشق برئاسة علاء الدين الدروبي حيث انسجمت وهو منها اشد انسجام في العهد الاحتلالي ولما قتل علاء الدين الدروبي في حوران تألفت وزارة حديدة برئاسته بطلب ومباركة الافرنسيين وانسجم معهم وظل يدور في فلكهم .

حادث تأخر برقية المعتمد الافرنسي الذي اتخذه غورو حجة

١٦ ـ ولقد كان امر تلك البرقية التي زعم انها لم تصل موضوع بحث وكلام حتى لقد اتهم حسن الحكيم الذي كان مديرا عاما للبرق والبريد بتأخيرها او باهمالها لأنه كان من الفريق الرافض للرضوخ والقائل بوجوب المقاومة والدفاع وهو من حزب العهد على ما ذكرناه في كلمتنا عنه وسحبت يده من العمل وجرى له محاكمة ظهرت فيها براءته وتبين ان تأخر البرقية بسبب عطل في الخطوط . وفي مذكراته الجزء الأول شرح الحكيم هذه المسألة وعلى كل هذا فغورو كما قلنا لم يكن يجهل حتما ان الحكومة السورية قبلت انذاره وبدأت بتنفيذ شروطه ولكنه يعد لعبة البرقية لتنفيذ تصميمه الباقي والاستفادة من الانهيار بلؤم ونذالة كما قلنا قبل .

دعوة فيصل الى المقاومة والدفاع

١٧ ـ ولقد كان الملك حائرا خائرا وفكر في الدفاع والمقاومة حينما رأى ما رأى من تعنت ومراوغة ولؤم غورو ولكنه لم يلبث ان صدم بحقيقة اضاعته فرصة المقاومة الرسمية في تسرعه في تسريح الجيش وسحبه قوات مجدل عنجر وهدم لتحصيناتها ثم النفور والفتور اللذان احدثهما في الشعب وفي رجال المؤتمر والفتاة من قبول الانذار فعاد وابرق لغورو يعلمه انه قبل شروطه الجديدة ايضا ويناشده توقيف الزحف ومنع الكارثة ولكن غورو لم يأبه لذلك واستمر في خطته لأنه صار على يقين بأنه مسيطر على الموقف .

وصول الجيش الافرنسي الى ميسلون

وظل الجيش زاحفا نحو ميسلون فوصل اليها وعسكر فيها واخذ يستعد للزحف على دمشق .

حركة المقاومة اليائسة

١٨ ـ وحينئذ ايقن الملك انه امام تصميم باغ فأذاع بيانا في ٢٢ تموز ١٩٢٠ على الشعب شرح فيه ما فعله في سبيل دفع الكارثة وما كان من تعنت القائد الافرنسي الذي صمم على دوس شرف الأمة ودعا الشعب الى المقاومة والدفاع واذاعت القيادة العامة للجيش منشوراً مماثلاً وفعلت كذلك الحكومة وبذل وزير الحربية جهده في تجميع المسرحين وتوريع السلاح والعتاد عليهم وتوجيههم الى ميسلون وانشأ على وجه السرعة بعض الأجهزة الحربية والتموينية .

عزم يوسف العظمة على تضحية نفسه

وذهب يوسف العظمة لتهيئة ما يمكن من اسباب المقاومة وقد رأى الذين ودعهم وودعوه في هذه الرهبة عزم الموت باديا عليه حيث كان موقنا بأن المعركة خاسرة ولكنه وقد كان أقوى الذين قالوا بالدفاع وامكانه من رجال الحكم والجيش مدة ما بل منفردا عنهم في ذلك ان شرفه العسكري والشخصي اصبح يطلب منه تضحيته نفسه ليسجل بذلك مع من يضحون بأنفسهم من مواطنيه احتجاج الضعيف الصارخ على القوي الباغي .

الاتجاه الشعبي نحو ميسلون

١٩ ـ واخذ المنادون ينادون الناس في الأسواق بوجوب الالتحاق بالجبهة واستجاب كثير من الناس واخذوا يتجهون الى ميسلون حاملين زواداتهم وبطانياتهم واسلحتهم على اختلافها ومنها السيوف والسكاكين والمسدسات والبنادق ومما اذكره ان الامير زيد كان يتجول في سيارة في الشارع وفي جانبه شخص يهتف بالدعوة الى المقاومة وعلى فمه بوق كبير لتكبير الصوت وكنت أسير في الشارع انا ومعين الماضي فتوقف وقال لنا « ها نحن قد نزلنا على رأيكم » فقلت له « حسنا كان ذلك ولكن جاء متأخراً او غير ذي جدوى بعد ان سرحتم الجيش وسحبتم قواتكم من مجدل عنجر وهدمتم تحصيناتهم قبل ان تتأكدوا من قبول الافرنسيين قبولكم للانذار» .

ذهابي لوزارة الحربية ووضع نفسي تحت تصرفها اداء للواجب

٢٠ ـ ومما فعلته شخصياً اني ارتديت بدلة عسكرية وذهبت الى وزارة الدفاع ودخلت على يوسف العظمة قبل يوم من توجهه نحو الجبهة وقلت له رغما عما جرى فاني اضع نفسي تحت تصرفه لأكون قد اديت واجبا ما في المقاومة فشكرني وامر رئيس الشعبة الثانية واسمه شريف الحجار ان اكون معه في المخابرات وفي اليوم الثاني اتوني بشخص من آل القباني البيروتيين اسمه

هاشم على مـايرد لبـالي قالـوا انهم قبضوا عليـه في جبهة ميسلون ويشتبهـون بانـه جاسـوس للافرنسيين وكان اشقر لا يزيد عمره عن ٢٢ سنة وكان يرتجف خوفا وسألته عن سبب وجوده في الجبهة فقال انه جاء من بيروت منذ عشرة أيام لزيارة بعض أقاربه وانه ذهب مع الناس يرى ماذا في ميسلون واخذ يحلف الايمان وهو يبكي عـلى براءتـه وأنه مسلم ولا يمكن ان يتجسس للافرنسيين الخ . . ودونت كـلامه وارجعتـه الى مكان تـوقيفه ووصيت بعـدم الاعتداء عليـه وتأمين طعامه ومنـامه بـالحسنى ثم كلمت شريف الحجـار في صدده وقلت اني مـوقن ببراءتـه وان حب الاستطلاع ساقه الى الجبهة واوقعه في الشبهة ثم اطلقنا سراحه . ولم اعرف احدا من اخواني وزملائي في الفتاة والمؤتمر فعل ما فعلت وكان ذلك واجباً ايقنت به منسجما مع دعوتي الى المقاومة والدفاع بعد ان دعي الى ذلك ولو كان متأخرا غير ذي جدوى .

نشاطي في لجنة التكاليف الحربية

ومما كان من نشاطي في هذا الظرف العصيب اني كنت عضوا في لجنـة شكلتها اللجنـة الـوطنية باقتراح من الحكومة باسم لجنة التكـاليف الحربيـة ومهمتها جمـع الاعانـات والسلاح والعتاد والملابس وامداد القوات الشعبية بما تحتاج اليه من ذلك وقد اتخذت اللجنة دائرة البلدية مركزا لها واخذت تنشط في مهمتها .

الصدام الأول بين الافرنسيين وقوة مجدل عنجر المنسحبة

٢١ ـ ولقد بدأ الصدام بين القوات العربية والقوات الافرنسية في ٢٢ تموز ١٩٢٠ حيث اشتبكت القوات العربية المنسحبة من مجدل عنجر نحو ميسلون مع قوات افرنسية في طريقهـا الى هذا الموقع وجرى تبادل النيران بالمدافع والبنادق وتكبد الطرفان بعض الخسائر واستطاعت القوات العربية متابعة انسحابها الى ميسلون .

برقية فيصل الأخيرة لغورو بدون جواب

٢٢ ـ ورغم مناشير الملك والحكومة والقيادة بدعوة الناس الى الدفاع والمقاومة وبكلمـة اخرى رغم كون حالة الحرب قد قـامت بين سـورية وفـرنسة ورغم البـلاغ الحربي بحـوادث الاشتباكات فان الملك عاد يتمسك«بحبال الهوا» على حـد المثل فـأرسل الى غـورو في ٢٣ تموز ١٩٢٠ برقية يقول فيها نحن نأبى الحرب وقد قبلنا مطالبكم في مذكرتكم المؤرخة في ١٤ تموز ونفذنا كثيرا منها ونحن مستعدون لتنفيذ الباقي في الموعد المحدد وان قبول مطالبكم الجـديدة

يعرض البلاد لحرب اهلية ويجعلها مع الحكومة عرضة للهلاك ولم يرسل غورو اي جواب وظلت قواته تتقدم نحو ميسلون وذهب يوسف العظمة لتنظيم المقاومة بقدر ما يمكن وقد سرح الجيش واصبح الأمر رهنا بمن امكن جمعه من المسرحين وما جمع من سلاح وعتاد وما انضم اليهم من قوى شعبية متطوعة .

الاشتباك في ميسلون وتغلب الافرنسيين والخسائر في الطرفين واستشهاد يوسف العظمة مع آخرين

وبمجرد وصول القوات الافرنسية الى ميسلون اخذت تطلق مدافعها على الحشود العربية وكان ذلك في ٢٤ تموز فقاتلتها القوات العربية بالنار وكانت القوات الافرنسية تفوقها اضعافا مضاعفة في العدد فضلا عن تفوقها الكاسح في العدد واستطاعت ان تهزم الحشود العربية بعد اشتباك دام استطاع العرب ان يوقعوا به خسائر في العدو وسقط منهم بالمقابل مئات من الشهداء وفي مقدمتهم قائدهم الباسل فحققوا بشهادتهم ذلك الهدف الاحتجاجي النبيل وكتبوا بدمائهم سطورا من نور في تاريخ الحركة العربية والكرامة العربية .

الهرج والفوضى في دمشق

٢٣ ـ ولم تلبث اخبار الكسرة المتوقعة ان انتشرت، والباقون احياء من الحشود ان اخذوا يعودون الى دمشق في حالة محزنة، فساد الهرج والاضطراب وانطلقت الشائعات لتزيد الاعصاب توترا والأفكار بلبلة .

اتجاه رجال العهد القوميين نحو درعا وانتظارهم للملك فيها

٢٤ ـ وفي هذه الاثناء كان كثير من رجال العهد القوميين رسميين وغير رسميين وسوريين وغير سوريين يغادرون دمشق على قطار اعد لهم متجهين نحو درعا حيث كانت النية اتخاذ مركز هناك للحكومة والمقاومة والاتجاه نحو شرق الأردن واقامة حكم ومقاومة فيه لأن سقوط دمشق اصبح مؤكدا .

توزيع جميل مردم بك بعض المال على اعضاء الفتاة قبل سفرهم

٢٥ ـ وذهب عدد كبير من اعضاء الفتاة الى بيت جميل مردم قبل مغادرتهم لدمشق يطلبون منه بعض المال الموجود تحت يده من مال الجمعية وكنت معهم وقد وزع فعلا نحو الفي

جنيه عليهم، منهم من كان نصيبه اربعين ومنهم من كان نصيبه اقل واخذت انا اربعين وضعت نصفها في البيت ونصفها في جيبي وركبت القطار مع حقيبة ثياب مع الراكبين الى درعا حيث نزلنا فيها في انتظار الملك والنتائج .

خروج الملك وانتظاره في الكسوة

٢٦ ـ وكان الملك قد خرج قبلنا على قطار خاص توقف في الكسوة مترقبا للحوادث وقد رأيته جالسا قرب قطاره وحوله حاشيته حزيناً كئيباً، وتركناه في الكسوة ووصلنا الى درعا قبله ولم يخرج معه من الوزراء الا ساطع الحصري والدكتور الشهبندر .

استقالة الأتاسي واسناد الرئاسة للدروبي وآخرين من المعتدلين الذين ترضى عنهم السلطات بأمل ان يكونوا وسيلة للتفاهم

وقد رفع هاشم الأتاسي استقالته للملك قبل خروجه فقبلها ورأى ان تتألف الوزارة من وزراء معتدلين قد ترضى عنهم السلطات الافرنسية فيكونون وسيلة تفاهم بينها وبينه حيث كان لا يزال أمل في حين ان كل البوادر تدل على ان الأمر بالنسبة اليه وصل الى نهايته وقد عين علاء الدين الدروبي رئيسا وعين كلا من عبد الرحمن اليوسف رئيساً لمجلس الشورى وعطا الأيوبي للداخلية وبديع المؤيد للمعارف وجميل الالشي للحربية وفارس الخوري للمالية ويوسف الحكيم للزراعة وجلال زهدي للعدلية ومعظم هؤلاء كانوا من الفريق الذي يؤيد قبول الانذار وتنفيذ المطالب الافرنسية وقد ابقتها السلطات الافرنسية بعد احتلالها دمشق لمدة ما وانسجمت معها ولكنها بطبيعة الحال لم تستطع ان تحقق ما امله فيصل فيها لأن ذلك لم يكن وارداً بل ونفذ رئيسها أمر السلطات بانذار فيصل في درعا على ما سوف نذكره .

دخول القوات الافرنسية لدمشق وبيان قائدها

٢٧ ـ وقد دخلت القوات الافرنسية دمشق في ٢٦ تموز واذاع قائدها بيانا قال فيه ان الأمير فيصل قد جر البلاد الى شفا الحرب والدمار وانه (أي القائد) قد فرض على سورية عشرة ملايين فرنك كغرامة حرب وانه سيباشر بنزع السلاح ثم ارسل للحكومة السورية مذكرة طلب فيها المبادرة لدفع الغرامة وتسليم ما في مخازن الحكومة وايدي الجنود السوريين من سلاح وجمع عشرة آلاف بندقية من الأهالي وتسليم كبار المذنبين ليحاكموا امام محاكم عسكرية . وأجابت الحكومة على المذكرة بالقبول وشرعت في تنفيذ المطلوب متعاونة في ذلك مع القوات الافرنسية .

احتجاج الملك

٢٨ ـ واحتج الملك على بيان قائد الحملة الى غورو ثم ارسل مذكرة الى وزير خارجية بريطانيا والى اللورد اللنبي قائد الحلفاء يبلغهما ما وقع وما اذاعه قائد الحملة وما كان من تعنت مندوب فرنسة وسوء نياته وتصميمه على القضاء على استقلال سورية رغم قبوله بكل مطالبه وتنفيذها ويقول فيما يقول فيها ان فرنسة تثأر منه لموالاته الدائمة لبريطانية وانه ينتظر رأيهم ومشورتهم .

عودة الملك بأمل ما الى دمشق ثم مغادرته اياها بانذار فرنسي

٢٩ ـ وارسل نوري السعيد الى غورو الذي كان في عاليه ليبذل آخر جهد يائس وشاع انه تلقى اخبارا مشجعة فعاد مع حاشيته من الكسوة الى دمشق على القطار الذي كان جاء عليه ولكنه لم يلبث ان تلقى مذكرة من قائد الحملة بوجوب مغادرته لدمشق على قطار اعد له في صباح ٢٨ تموز وانه لم يعد له اي صفة وارسل للقائد احتجاجا قال فيه ان صفته وشرعيته منحها له ممثلو الشعب السوري وانه ليس من حق فرنسا ولا غيرها نزعها وان ما فعلته فرنسة كان خرقا لمقررات مؤتمر السلم وميثاق عصبة الأمم وعملا غير عادل وليس له اي سند الا القوة الباغية الغاشمة المتفوقة .

٣٠ ـ ولكن لم يكن بد من مغادرة دمشق في الموعد المحدد وجاء في المساء كثير من الناس فودعوه متأثرين يائسين وكان الموعد المحدد الصباحي مبكرا جدا لئلا يكون له وداع حافل ومع ذلك فقد جاء بعض الرجال البارزين فودعوه ايضا وقال لمن سألوه انه ذاهب الآن الى درعا ولا يعلم كيف تسير الأمور .

الذين اذكرهم ممن خرجوا الى درعا

٣١ ـ وجاء الى درعا حيث لبث فيها في قطاره فترة ما وكان ينتظره فيها جل الذين خرجوا قبله من دمشق من رجال العهد واعضاء المؤتمر والفتاة والأحزاب والحاشية الخاصة وبعض رجال الحكم وممن اذكره ممن كان في درعا احمد مريود ونبيه العظمة ومعين الماضي والشيخ كامل القصاب وامين التميمي ومحمد علي التميمي ورفيق التميمي والأمير عادل ارسلان ورشيد طليع والحاج امين الحسيني وعارف العارف وسليم عبد الرحمن ورياض الصلح وخير الدين الزركلي والشيخ عبد القادر المظفر وصبحي الخضراء وفؤاد سليم وعثمان قاسم وعلي خلقي وعوني القضماني وشكري الطباع وعمر شاكر وعبد القادر سكر وجميل المدفعي وعلي جودت الأيوبي

وراسم كردست وقد اكون نسيت اسماء أخرى وكان مع الملك في قطاره اخوه الأمير زيد ونوري السعيد واحسان الجابري وساطع الحصري والدكتور احمد قدري والدكتور الشهبندر .

كانت النية في اقامة حكومة في درعا او شرق الأردن ولكن انذار الافرنسيين وانسجام الحكومة الدروبية وموقف بعض الحوارنة جعل الملك ينفض يده من البقاء ويتجه الى حيفا فأوروبا

٣٢ ـ ولقد كانت النية كما قلت قبل، الاقامة في حوران او شرق الأردن واقامة حكومة وطنية وبذل الجهد لجمع الشباب واستئناف المقاومة وقضينا ثلاثة أيام في درعا نأكل وننام في نادي الضباط والملك مع حاشيته في قطاره وكان بعضنا يذهب الى القطار فيتحدث معه ومع الحاشية وجاءت في اليوم الثالث طيارات فرنسية فحلقت فوق حوران والقت مناشير تخاطب فيها اهالي حوران منذرة بعدم الاستجابة لأي دعوة فيها شغب ومقاومة حتى لا يتعرضوا لقصف وتدمير وجاء بعض مشايخ حوران يخبرونه بذلك ويظهرون تخوفهم وتجمع بعض الرعاع حول قطار الملك كأنما ينوون نهبه وكانوا يظنون على ما يبدو ان فيه خزائن الملك المليئة بالذهب والفضة ولعل بعض العملاء اطمعوهم وحركوهم وتصدى لهم آخرون وطردوهم وجاء هؤلاء ومنهم محمد المفلح نائب درعا في المؤتمر الى الملك يعتذرون ويقولون انهم طردوهم . وفي هذا الموقف الشديد جاءت برقية من علاء الدين الدروبي للملك يقول فيها ان السلطة العسكرية تبلغ جلالتكم بوجوب الخروج من حوران وتنذر انها ستقصف قرى حوران بالقنابل اذا لم يغادرها وهكذا تجمعت البوادر المريرة وجعلت الملك امام حالة لا خيار فيها فأمر قطاره بالتحرك نحو حيفا في أول آب ٩٢٠ وودعه الموجودون في درعا وداعا صامتا حزينا ولقد اقترح عليه بعض رجاله الاتجاه نحو شرق الأردن ولم الشعث هناك ولقد ارسل الملك الأمير عادل الى فلسطين للاستطلاع قبل تحرك قطاره وارسل هذا من فلسطين برقية يقول فيها ان المندوب السامي يرحب بقدومه الى فلسطين وانه مستعد لارسال قطار خاص له وان الحكومة الانكليزية تنصحه القدوم ثم الاتجاه الى اوروبا وفي البرقية يقول الأمير عادل بانه ينصح بالاتجاه نحو شرق الأردن وان الافرنسيين لن يأتوا اليه ولكن الملك كان قد فقد الأمل في نفسه وفي الشعب فصمم الاتجاه نحو حيفا ثم الى اوروبا وقد صحبه اليها ساطع الحصري واحسان الجابري ونوري السعيد والأمير زيد .

تفرق الجمع من درعا نحو فلسطين وشرق الأردن ومصر واوروبا

٣٣ ـ وتفرق الجمع بعد رحيل الملك فمنهم من اتجه نحو شرق الأردن ومنهم من اتجه نحو فلسطين وكنت انا ومعظم الفلسطينيين ممن اتجهوا نحو فلسطين لأنه لم يكن هناك ما يخشونه

باستثناء الحاج امين وعارف العارف اللذين كانا محكومين بالسجن عشرة اعوام على ما ذكرناه قبل حيث اتجها مع من اتجه الى شرق الأردن وكان معظمهم من السوريين والعراقيين وسافر بعض السوريين الى حيفا ايضا ومنهم من بقي في فلسطين ومنهم من سافر الى مصر ومنهم من سافر الى اوروبا ولبث الملك في حيفا بضعة ايام ثم ابحر الى اوروبا ومعه من ذكرنا من الأعضاء .

٣٤ - وهكذا انتهى هذا العهد الذي دام نحو عشرين شهرا من اوائل تشرين الأول ١٩١٨ الى آخر تموز ١٩٢٠ والذي بدأ والنفوس جياشة بعظام الآمال وانتهى وقد تحطمت تحطيا موجعا .

دخول غورو دمشق ووقفته امام قبر صلاح الدين وتعليق عليها

٣٥ - ولقد جاء غورو بعد ايام الى دمشق واستقبله رجال الحكومة وكثير من وجهاء الشام استقبالا حسنا ومشوا في ركابه وسمعنا انه جاء الى مقبرة صلاح الدين الأيوبي بطل الحروب الصليبية العظيم وهتف قائلا امام القبر انا قد جئنا ثانية ولن نعود . كأنما اراد ان يربط بين غزوته الباغية والغزوات الصليبية القديمة الباغية ويجعل غزوته حلقة من حلقات هذه الغزوات مما ينطوي فيه من معان أليمة ووقاحة سمجة وانها لمن نفس الدوافع ضد الاسلام وبلاد العرب وقد أبى الله الا ان يخزي قومه في النهاية وبعد ربع قرن حيث خرجت فرنسة من سورية مدحورة مذمومة وفرح المسلمون والعرب بنصر الله .

ذكر موقف مماثل لأللنبي في المناسبة

ونذكر في هذه المناسبة ما نسب الى اللنبي قائد الحلفاء بعد ان احتلت قواته القدس قوله (الآن انتهت الحروب الصليبية) حيث ربط هو الآخر غزوته بتلك الغزوات العدوانية التي انتصر المسلمون والعرب فيها في النهاية بعد كفاح دام مئتي سنة وطردوا الصليبيين ويظهر من هذا وذاك روح العداء اللئيم والعدوان الشرير التي كان تعمل في هذين القائدين واضرابهما ولقد استطاع المسلمون والعرب ان يدحروا الانكليز والافرنسيين معا من بلادهم في المشرق والمغرب في مدة لا تزيد عن أربعين عاما بعد كلمتي القائدين الفاجرتين اللئيمتين وسجلوا انتصارهم العادل وردوا اقوالهم الباغية لهم وبعد ان كانت فرنسا وبريطانيا الباغيتان امبراطوريتين عظيمتين صفيت امبراطوريتهما ونزلتا الى اروقة ثانوية واذا كان الانكليز قد غرسوا جرثومة الشر الخبيثة في جزء من بلادهم (فلسطين) فقد كان ذلك على حساب صليبيتهم التي وقف قائدهم يقول ان حروبها انتهت بنصرهم فقد دحروا عنها ايضا وسجلوا على انفسهم

وصليبيتهم من جراء غرس تلك الجرثومة الخبيثة عار الابد دينيا وسياسيا ولسوف يجثيها المسلمون والعرب بدورها ويطهرون بلادهم منها مهما طال الزمن وعظمت التضحيات كما فعلوا بالغزوات الافرنسية البريطانية الحديثة والغزوات الصليبية القديمة والغزوة الاسرائيلية القديمة .

الاحكام التي اصدرها المجلس العسكري الافرنسي ضد القوميين

٣٦ ـ وبعد بضعة ايام من الاحتلال اذيع بيان من المجلس العسكري للفرقة المحتلة فيه احكام الاعدام على كل من كامل القصاب وعلي خلقي واحمد مريود والأمير محمود الفاعور وفؤاد سليم وصبحي الخضراء وصبحي بركات ومنح هارون وعوني القضماني وشكري الطباع وعمر شاكر وسليم عبد الرحمن وعمر بهلوان وعثمان قاسم وسعيد حيدر وعبد القادر سكر وخليل بكير وحسن رمضان وعادل ارسلان ومحمد اسماعيل ورشيد طليع وعوني عبد الهادي واحسان الجابري والدكتور احمد قدري ورفيق التميمي وتوفيق اليازجي ورياض الصلح وخير الدين الزركلي ومحمد علي التميمي وبهجة الشهابي ونبيه العظمة وشكري القوتلي وعيد الحلبي وياسين دياب وخالد الحكيم وصادق حمزة ومحمود احمد البزة ورياض محمد حسن فرحات وعبد المجيد البزة ومحمود فرح سليمان وموسى بورقيلي والشيخ عبد الله عز الدين وطرفة الحاج فياض شرارة ومحمد سويدان وادهم خنجر وعلي حرب ومحمود قاسم وعبد الحسين سرور ونمر بلبوز ومحمد تامر وسعيد يوسف تامر ومصادرة املاكهم وفيه حكم بنفي كل من كامل الأسعد وعبد الله الأسعد وحسن يوسف ونصر الله صعب والحاج محمد بري والسيد عبد الحسن شرف الدين ومصادرة املاكهم وقبض على كل من احمد اللحام وياسين الجابي وسليم طبنج وعبد الفتاح المدفعي وعارف الجراح وياسين الحواصلي ومحمد غضوب من ضباط الجيش السوري وارسلوا منفيين الى ارواد . والأسماء مزيجة منها في المؤتمر واعضاء في الفتاة واحزاب اخرى ومنها اعضاء في اللجنة الوطنية ومنها ما كان بارزا سياسيا ومنها من كان له نشاط شعبي ومنها من كان له نشاط في حركات الكفاح المسلح في الشمال والغرب والجنوب وهناك اسماء عديدة كان لأصحابها نشاط وبروز قويا ومواقف شديدة في الرفض وضد فرنسة لم ترد في البيان ومنها اسمي واسماء معين الماضي وابراهيم هنانو والدكتور شهبندر والشيخ عبد القادر المظفر وغيرهم وقد تكون سقطت أو سهي عنها[1].

---

(١) ورد في كتاب « السجل الذهبي للمجاهدين السوريين لمؤلفيه الياس الفاضل ورامز محيشاوي . تقديم صابر فلحوط ، اسمنا ضمن المحكومين بالاعدام وقد ورد بعد اسم رفيق التميمي .

من اهم اسباب الانهيار غدر فرنسا وبريطانية بخاصة

هذا وغني عن البيان ان زوال الحكم الاستقلالي الفيصلي يرجع في الدرجة الأولى وقبل كل شيء الى غدر بريطانيا وفرنسة وما يبيتاه للعرب وبلادهم وبلاد الشام خاصة من نيات استعمارية تسلطية حيث جعلتهما تتنكران لكل القيم الأخلاقية فتقطعان عهودهما ووعودهما للعرب اثناء الحرب بينما كانتا تبيتان الغدر والخيانة لهم مما جعل العرب يثقون بهم ويحاربون في صفوفهم ويبلون البلاء الحسن الذي ساهم على كل حال في النصر الذي أحرزاه مع حلفائهما في سبيل استقلالهم وحريتهم التي بدأوا الجهاد من أجلها في زمن الدولة العثمانية ونالهم ما نالهم من مطاردة وبلاء وقدموا ما قدموه من تضحيات وشهداء وقد استغلت بريطانيا وفرنسة ذلك وحملتا العرب على التحالف معهما من أجله ولو أخلصتا بعض الاخلاص ووفيتا للعرب بعض الوفاء وجنحتا الى تبادل المنافع معهما كأصدقاء أحرار لا كأصدقاء عبيد مستعمرين لما كانت هذه الفاجعة وما تبعها من فواجع ومآسي طيلة ربع قرن آخر ومسؤولية الانكليز وجريمتهم أشد لأنهم استغلوا ثقة العرب وفيصل بهم تلك الثقة الكبرى الى ان كان معوّلاً عليه الأم استغلال واتخذوا منهم وسيلة مساومة لئيمة دنيئة حتى اذا نالوا من فرنسة مآربهم نبذوهم وقطعوا بهم الحبل وأطلقوا يد فرنسة الباغية في سورية لتنطلق يدهم الباغية في العراق وفلسطين وشرق الأردن . وعظم جريمة بريطانيا يتجلى أيضاً في كونها هي التي اتصلت بالعرب وأثارتهم وتعاهدت معهم ثم خانتهم قبل ان يجف مداد عهدها في ما كان من اتفاقها مع سورية بعد إتفاقها مع الشريف حسين على اقتسام بلاد الشام والعراق مناطق استعمار ونفوذ وفي ما كان من اتفاقها مع اليهود بعد اتفاقها مع الشريف في منحهم فلسطين وطناً قومياً لهم ثم فيما كان منها من مراوغات وانكار حينما عوتبت كذبا وخداعا ثم فيما كان من تحريض عهد فيصل على كراهية فرنسة ورفضها بكل شدة كوسيلة للضغط على فرنسة ونيلها منها مآربها .

أسباب الانهيار وعدم تنظيم قوة حربية كافية

ومن الأسباب التي يمكن ان تذكر في هذا الصدد عدم الاهتمام الجدي لتنظيم القوة الحربية وتنميتها بالاضافة الى الخطأ في تسريح القوة الثورية التي دخلت لدمشق مع فيصل ولقد كان ياسين الهاشمي مسؤولا عن هذا الأمر وقد عهد اليه لما كان عليه من مقدرة عسكرية وجد وصرامة ولكنه كان يعتذر بعدم توفر الامكانيات الكافية المالية والاداتية فضلا عن ضيق الوقت حيث لم يكن في الامكان في ظرف بضعة اشهر انشاء وتنظيم جيش قوي ذي جدوى في عدده وعدته ، لقد امكن في هذه الفترة تنظيم جيش قوامه (٨٠٠٠) رجل مقسم الى ثلاث فرق ويملك (١٥٠٠٠) بندقية وبعض المدافع وكان هذا عملا حسنا حقا ولكن العتاد كان قليلا اولا

ولم يكن في امكان هذا الجيش على كل حال ان يقف امام قوة متفوقة عليه تفوقا كبيرا في كل شيء .

من أسباب الانهيار عدم تحلي فيصل اذ ذاك بالصفات المقتضية

ومن الأسباب المهمة ايضا عدم تحلي فيصل اذ ذاك بصفات الزعيم القوي الوضح الألمعي المؤمن بزعامته وقوته والواثق بنفسه وشعبه الحازم الرأي القادر على الاملاء الحاسم والذي ينفخ فيمن حوله القوة والايمان والحزم والاقدام او يحملهم على الفناء فيه والايضاح لما يقرر ويحسم وكان التردد والشعور بالضعف والحاجة الى الغير وعدم الثقة بالشعب وامكانياته وعدم العمل الجاد في طريق ذلك من الصفات التي كان يلمسها فيه الاصدقاء والاعداء معا

من اسباب الانهيار عدم نضوج رجال الحركة وهشاشة بنية الامة العربية بفعل السبات الطويل

ومن الأسباب التي يجب ان تذكر عدم النضوج في رجال الحركة والعهد وكونهم دون مستوى الاحداث التي واجهوها وان لم يكونوا يتحملون تبعة كل ذلك وانما يتحمل الزمن شيئا كثيرا منه لأن الوقت الذي عبر بين سير الحركة وعهد التجربة الفيصلي كان قصيرا جدا لا يعقل ان ينتج فيه نضوج كاف يستطيع ان يضمن نجاح حركة امة مفككة الأوصال موزعة الأهواء والأفكار والميول فقيرة في كل شيء مرتكسة في الجهل التام مضى عليها قرابة الف عام وهي في سبات فقدت فيه كيانها وخمدت حيويتها واستساغت تسلط الغير واندمجت فيه ثم فوجئت بما فوجئت به من مختلف التيارات والدسائس والمؤامرات التي حاكها رجال دولتين عظيمتين هما قدم ثابتة ويد نافذة في التلاعب بالأمم والأساليب الاستعمارية وفقدتا كل حاسة تستمع للحق وتشعر بالشرف والوفاء والحياء جنحت الى قضاء مصالحها عن طريق البغي والعدوان والتآمر. بدلاً عن طريق المنطق والصداقة والقصد ولقد كانت تثريبات من فيصل ومن وجهاء الشام ومن المعتدلين والمتهاودين من رجال العهد الفيصلي ضد الموقف الصلب الذي وقفته جبهة الرفض من الانذار الافرنسي ومنهم من اختص بالتثريب والمسؤولية جماعة الفتاة والاستقلاليين كما صاروا يسمون، وكان هذا التثريب في اثناء الأزمة هامسا واستمر الى ما بعد الغزو الافرنسي ولقد كان هذا في سياق الموقف الذي وقفته جبهة الرفض من اتفاقية كليمنصو ولقد شرحنا ذلك وفندناه في سياق بحثنا في امر هذه الاتفاقية وما قلناه هناك يقال هنا بتمامه ردا على التثريبات التي وجهت للرافضين ولجماعة الفتاة بخاصة لأن الموقفين متماثلان وفي أمر واحد اصلا ونتيجة ولقد قلنا في سياق ردنا الأول ان الفتاة مع اعتزازها بموقفها لم تكن فيه وحدها بل كانت اكثرية الأحزاب واكثرية المؤتمر واكثرية الرأي العام الشعبي ولقد انسجم المثربون والمنتقدون فيه بل

وصار بعضهم متحمسا له واندمج بكل قوته . في اعلان الاستقلال الذي قدم بديلا له ووقع بذلك المثربون في مناقضة صارخه على ما ما نبهنا عليه سابقا ولو لم تحل الكارثة ونجح البديل لكانوا انسجموا فيه ووقعوا في المناقضة الصارخة مرة اخرى ولقد قبل فيصل وحكومته الانذار ونفذوه ولم يمنعهم من هذا موقف الرفض الذي كان وظل موقفا قوميا ونظريا ولم يكن هو الذي ادى الى الكارثة مباشرة فصار التثريب في غير محله من هذه الناحية ايضا .



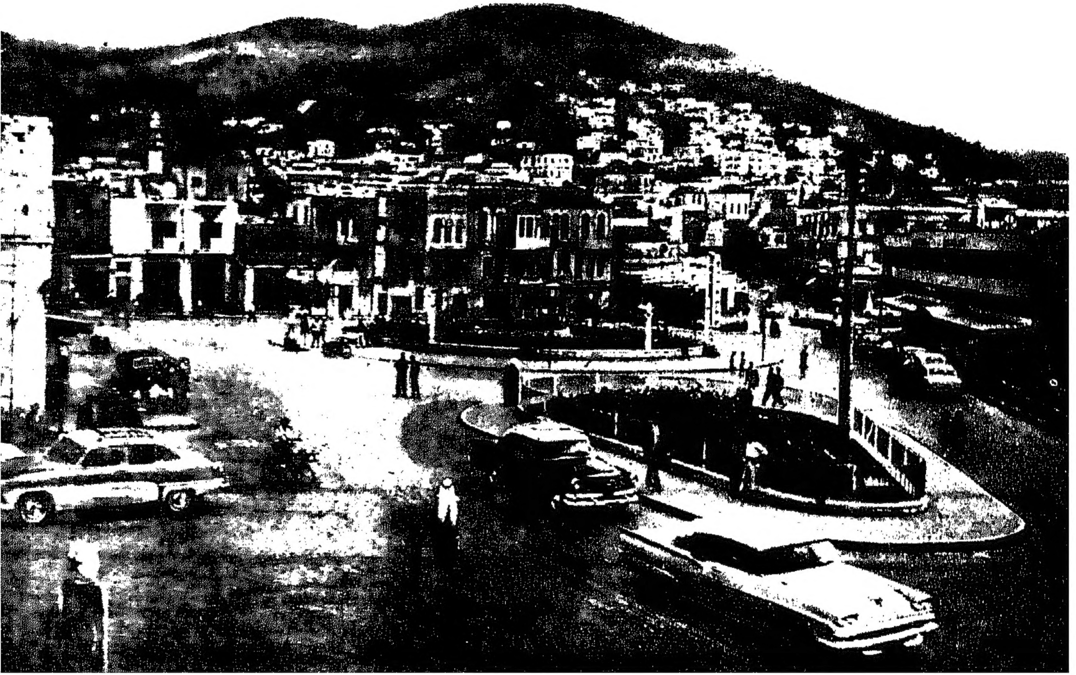
المؤلف
محمد عزة دروزه
في ظهور الاشرفية
لبنان
١٩١٨

المؤلف مع آل الشهابي في شتوره لبنان ١٩٤١

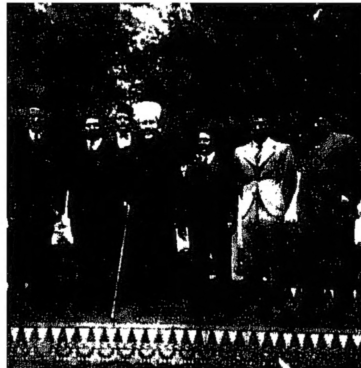




الوفد العربي الفلسطيني في لندن ١٩٢١ - ٩٢٢



مدينة نابلس



المؤلف
مع الحاج
امين الحسيني
في القاهره
١٩٣٥

الفهارس في الجزء الأخير
صور الغلاف الأخير
نابلس في العهد الفيصلي

محمد عزة دروزة

مذكرات وتسجيلات



مئة عام فلسطينية



الجزء ٢